سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ - صَفَر ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest September '89 N°130

"لن ادع ابي يموت" (مأساة واقعية) ١٦
ماذا تعني طرفة العين؟ ٢٢
اللوكسمبور، جنة صغيرة ٢٦
الدب الهلالي (قصة قصيرة) ٣٣
الحقيبة المسروقة ٤٢
رحلة "بسمارك" الاخيرة ٤٦
قصص عطاء ٥١
الفرسان الملكيون ٥٤
الارصاد الجوية في العصر الذهبي ٦٠
صيد المرجان ٦٦
غرباء حتى نلتقي ٧٣
الزنبقة السوداء ٧٧
مفتاح السعادة ٨٣
مايكل كاين: التمثيل حياتي ٨٥

لانجاب أطفال أصحاء ٣٧

لعبة الارقام ٩٣
طاقة "نظيفة" من اصدقاء الطبيعة ٩٦
بالي تقاوم الاغراء ١٠٤
عالم من ورق ١١٤
ما رأيكم في وجبة عنكبوت؟ ٤

حديقة افكار ٣ - صور من الحياة ٢٥ - اصداء من عالم الطب ٤٥ -
تأملات معاصرة ١٠٣ - دائرة المعارف ١١١ - الضحك خير دواء ١٤٤

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٣٨ طبعة . ١٥ لغة . ٢٨ مليون نسخة شهريًا

الكبت الجنسي عقدة أم وهم؟

(ص ٩)

حمية السوائل للوزن الزائد ٣٠٪

(ص ١٢)

المخدرات: سقوط نجم

(ص ١١٧)

فندق الشام

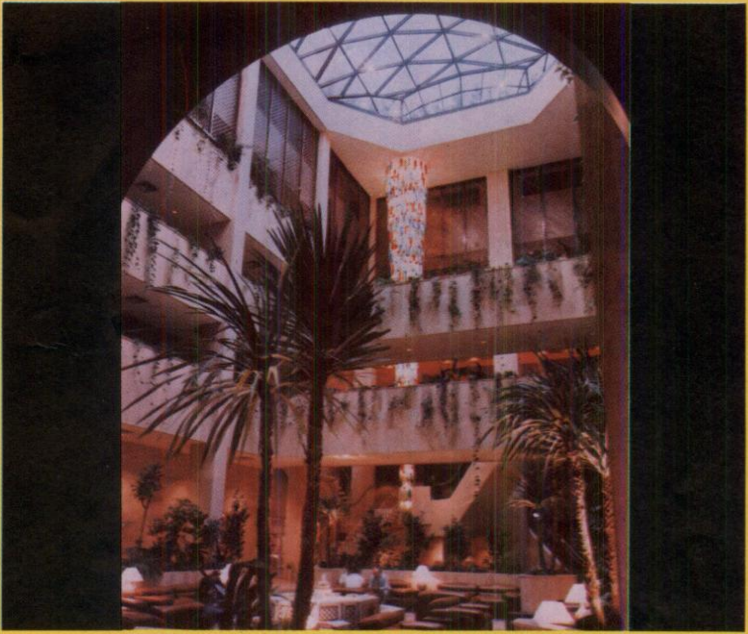

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس، MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1989 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September '89 N° 130 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

ئيس التحرير: **كين غيلمور**. مدير التحرير: **فرنسيس ج. شيل**. المدير العام: **جورج ف. غرون**.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ٥٠٠ل - سورية ٢٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د

أسلوب للحياة...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس

اسلوب للحياة من سيتيزن...

أسلوب للحياة...

PHAROS
فاروس

سيتيزن
CITIZEN

سيتيزن هي ماركة مسجلة لشركة ساعات سيتيزن - اليابان

حديقة أفكار

- من احلى اشياء الحياة حتمية توقفنا المنتظم عما نفعله، مهما كان، لنكرّس انتباهنا لتناوُل الطعام.

ل.ب

- الاماكن النائية تبقى نائية فقط اذا لم تذهب اليها.

أ.ف.

- الصديق يسمع الأغنية في قلبي وينشدها لي عندما تخونني الذاكرة.

ب.غ

- احدى سيئات الانقطاع عن العمل انك لا تستطيع ان تتوقف لترتاح.

ف.ج.

- لا احد يعرف ما فيه الكفاية لكي يكون متشائماً.

ن.ك.

- الكلمات الجميلة كالجياد البرية وهي مثلها تصعب السيطرة عليها أحياناً.

ت.ب.

- ما نفعله خلال ساعات عملنا يحدد ما لدينا، وما نقوم به في اوقات فراغنا يحدِّد ما نكون.

جورج ايستمان، صناعي امريكي (١٨٥٤ - ١٩٣٢)

- السبب الذي يجعل الناس يلقون اللوم على الاجيال السابقة هو انه ليس لديهم سوى خيار واحد آخر.

د.ل.

ما رأيكم في وجبة عنكبوت؟

تلتهم العناكب يومياً مقادير هائلة من الحشرات تفوق في وزنها مجموع سكان العالم!

لو كنت في حقول الرز والقطن في الصين خريف ١٩٨٨ لشاهدت منظراً غريباً: مزارعين يبنون خياماً صغيرة من قش. تلك الاكواخ الغريبة المخروطية المنتشرة على مدى ألوف الهكتارات والتي لا يتعدى ارتفاعها خصر الانسان. بنيت لهدف مهم هو ايواء العناكب في سباتها الشتوي.

ينفق معظم العناكب في فصل الشتاء. وتلزم هذه الكائنات

Photo: © Robert P. Carr / Bruce Coleman, Inc.

شهور لتعويض أعدادها. لكن نزيلات "الفنادق" إستيقظت هذا الربيع من سباتها وهي تنضح صحة وحيوية. فهرعت الى الحقول جماعات متهيئة لمهاجمة الحشرات التي تحاول امتصاص الحياة من نباتات الرز والقطن الطرية.

وهكذا، نتيجة حماية العناكب واعطائها دفعاً مبكراً، زاد الصينيون محصولهم وتجنبوا استعمال المبيدات الكيميائية.

ولئن يكن الصينيون أول من وظّف قوة العناكب على نطاق واسع، فان خبراء الزراعة في بلدان أخرى ساروا مع الركب وبدأوا يدللون هذه الكائنات المفيدة.

غالباً ما تصنف العناكب بين الحشرات، لكنها في الحقيقة تنتمي الى فئة أخرى من المخلوقات تسمى العنكبوتيات. وهي ألدّ أعداء الحشرات، اذ تقضي على أعداد منها تفوق تلك التي تقضي عليها المبيدات الكيميائية. ويقدّر أن الحشرات التي تلتهمها العناكب في يوم واحد تفوق بوزنها وزن مجموع سكان العالم.

"الرجل العنكبوت." ان القضاء على الحشرات هو واحدة من منافع العناكب. ويُدرس حالياً امكان استخراج ادوية من العناكب لمعالجة اختلالات الدماغ. وقبل مضي وقت طويل قد تستخدم العناكب تطبيقياً في مجالات مختلفة تراوح بين جراحات زرع الاعضاء وصناعة الصدرات الواقية من الرصاص.

ويلارد ويتكوم أستاذ فخري لمادة علم الحشرات في جامعة فلوريدا، وهو لا يزال يمتدح منافع العناكب منذ عشرات السنين. ويلقبه زملاؤه المعجبون "الرجل العنكبوت." وهو أثبت بجدية كثيراً من خصائص العناكب المفيدة.

عنكبوت الموز، مثلا، كائن رمادي أو بني، غير مؤذٍ للانسان يعيش في المناخات الدافئة. وهو يحب الصراصير ويمكنه ابقاء المنزل نظيفاً من هذه الحشرات البغيضة. يقول ويتكوم: "هذا النوع من العناكب يعتبر في أمريكا الوسطى ضيفاً مكرّماً، فهو يأكل الحشرات والسحالي الصغيرة التي تزحف على الجدران وأي شيء تكرهه ربات البيوت."

ودرس ويتكوم نوعاً آخر هو العنكبوت الذئبي الذي يعيش في الحقول ويبلغ متوسط قطره ٢٥ مليمتراً. ووجد ويتكوم أن ترك "أحزمة" من الاراضي المعشبة حول حقول القطن وفول الصويا يعزز نمو النباتات التي تفضلها العناكب، فاذا بها بعد ذلكُ تمشط الحقول مجاناً.

في جامعة كاليفورنيا في بيركلي يزرع البروفسور ميغيل ألتييري كساء عشبياً بين الاشجار في بساتين التفاح المهملة. وينجم عن ذلك ازدياد مذهل في أعداد العناكب التي تقضي على الفراشات الصغيرة التي تتحول يرقاناتها "ديداناً" في التفاحات الفاسدة. ويقدر ألتييري أن محصوله الذي يمكن تسويقه زاد بنسبة ٢٢ في المئة.

في تكساس وجد مارفن هاريس، وهو استاذ في جامعة "آي أند إم"، أن العناكب تستطيع الحد من انتشار المنّ في بساتين الجوز. يقول: "ان العناكب

تختلف عن الخنافس الصغيرة والزنابير (الدبابير) وبقية الاعداء الطبيعيين التي ترحل بعيداً اذا أتى موسم صيدها فقيراً. اذ تنتظر العناكب عدة أسابيع وهي تتضور جوعاً مترقبة طعامها الآتي." ونتيجة ذلك تحل كثيراً من مشكلات الحشرات قبل أن يلاحظها المزارع.

وفي مين عمد دانيال جانينغز، من مصلحة الغابات الامريكية، الى تجنيد العناكب في حرب ضد دودة الصنوبر، أفتك أعداء غابات الصنوبر والتنوب في شمال شرق البلاد. ولأن العنكبوت الواحد يستطيع التهام خمس أو ست دودات في اليوم، فإن حشداً من العناكب يؤدي دوراً بارزاً في منع انتشار الآفة. كذلك تهاجم العناكب نوعاً مؤذياً من الحشرات يدعى "فراشة الغجر."

شباك العنكبوت. على رغم أن قلة من أنواع العناكب تحمل خطراً، مثل العنكبوت الاسود والعنكبوت البني، فإن الغالبية الساحقة غير مؤذية للبشر. والتقارير حول لدغات العناكب مبالغ فيها كثيرا. ففي تحقيق أجري في كاليفورنيا على ٦٠٠ اصابة تبين أن ٨٠ في المئة لسع حشرات.

من ناحية أخرى، يحق للحشرات على أنواعها أن ترهب العناكب، لأن هذه طورت وسائل حاذقة للصيد لا تصدق. من ذلك اطلاق البصاق. إن العناكب الباصقة كسولة جداً بحيث توحي أنها لا تستطيع اصطياد شيء. ولكن حين يزحف الواحد منها مقترباً من ذبابة - صيده المعتاد - يهتز جسده ويطلق كتلة من البصاق بسرعة فائقة لا تدع للذبابة مجالا للهرب. فجأة تجد الفريسة نفسها مسمرة تحت طبقة من الغراء. عندئذ يتهادى العنكبوت نحو الذبابة وينهي المهمة بواسطة السم المخدِّر في أنيابه.

وسموم العناكب تؤثر في عمل الجهاز العصبي لدى الحشرات. فهي تغيِّر المادة الكيميائية التي تربط بين أطراف أعصاب الضحية وعضلاتها. وعلى أثر "عضة" العنكبوت يستمر دماغ الحشرة في إرسال الأوامر الى الاعصاب، لكن هذه الاوامر لا تصل الى العضلات. وتصبح الحشرة عاجزة عن الحركة فيما يلتهمها العنكبوت وهي حية.

هذه فكرة تقشعر لها الابدان حقاً، ولكن ليس بالنسبة الينا. والحقيقة أن بعض العناصر المكونة لسم العنكبوت قد تفيد صحة الانسان. وهنالك مجموعة من الباحثين تختبر مواد كيميائية في العناكب بادخالها في أدوية الصرع وفقدان الذاكرة.

أما العناكب التي تحوك الشباك فهي أيضاً صيادة قاتلة. العنكبوت المثلث، مثلا، ينسج شبكة مثلثة ويبقيها مشدودة، كما يفعل الصبي عندما يشد مطاط مقلاع (نقافة). وعندما تصطدم حشرة بالشرك يرخي العنكبوت شبكته فترتدّ ملتفة حول الضحية. وهنالك "العنكبوت الجزداني" الذي يغزل أنبوباً حريرياً يشبه اصبع قفاز معوجة ناتئة من الارض. ثم يكمن متحفزاً داخل الشاشة الحريرية الكثيفة. وعندما تزحف حشرة على الغطاء الخارجي، يعضها العنكبوت فتعلق فجأة بأنياب ملتصقة بقوائمها.

أقوى من الفولاذ! ما يثير اهتمام العلماء بالعناكب الحائكة هي الاسلاك الحريرية التي تشكل الشباك. تبدو الشبكة واهية لأن السلك الحريري دقيق جداً. لكن الحقيقة أن بعض أنواع هذه الاسلاك أقوى من الفولاذ. وأقوى هذه الانواع ذاك المسمى "حرير السَحْب" الذي يتعلق به العنكبوت متدلياً أمام وجهك أو يتنقل به مع الريح بحثاً عن مراعٍ أكثر اخضراراً.

هنالك ثلاثة أنواع من العناكب على الأقل تصنع هذا النوع من الاسلاك التي، اذا ما غزلت لتصبح أغلظ، تضاهي بقوتها ألياف النايلون أو الكربون المستعملة في صناعة الطائرات المتطورة. والى ذلك فإن هذه "الحرائر" مرنة خلافاً لألياف كثيرة من صنع الانسان.

وتعمل شركة "تكنولوجيا البوليمر البروتييني" في سان دييغو بكاليفورنيا، على اختبار أسلاك العنكبوت. ويعتقد المسؤولون في الشركة أن هذه المادة ستستعمل يوماً في صناعة صمامات القلب، والشرايين الاصطناعية وسواها من الأجزاء المزروعة.

وانضم الجيش الامريكي الى الركب أيضاً. ففي المركز العسكري للابحاث والتطوير والهندسة في ناتيك بولاية مساتشوستس، يأمل عالم البيوكيمياء ديفيد كابلان وزملاؤه تقليد سلك العنكبوت لصنع صدرات واقية من الرصاص تكون أخف وزناً وأكثر راحة من صدرات "كفلار" المتيبسة التي يستعملها رجال الشرطة والجنود.

إن تربية العناكب قد لا تضاهي تربية الماشية يوماً. ولكن هنالك نوع من العناكب على الاقل يمكنه أن يزودنا الطعام. يعيش هذا النوع (★) في غابات غينيا الجديدة.

يقول مايكل روبنسون مدير حديقة الحيوانات الوطنية في العاصمة واشنطن: "تجمع العناكب الاناث السمان في قضيب أخضر مجوف من الخيزران. ثم يسد طرفا القضيب ويوضع في الجمر الحامي لمدة خمس عشرة دقيقة حتى يسود لونه. ولدى اخراج العناكب المشوية تكون جلودها الصلبة تفسخت وأصبحت العناكب جاهزة للاكل، بقوائمها أو من دونها."

قد لا نرى العناكب يوماً تقدم طعاماً على موائدنا. ولكن اذا وظف مزارعونا جيوشاً من العناكب في حماية حقولنا، فستهبط أسعار المنتجات الزراعية وتنقى تربتنا ومياهنا ومأكولاتنا من رواسب المبيدات.

نويل فيتماير ■

(★) Nephila maculata

حصر ارث

أصر ابن جيراننا البالغ السادسة من عمره على أنه يريد أن يرث مرآب البيت وكل ما يحويه بما في ذلك سيارة العائلة وأدوات والده وآلة جزّ العشب. فسألته امه: "وماذا تترك لاختك المراهقة؟" فأجابها من دون تردد: "يكفيها الهاتف."

م.س.

صَبَاحَ الخيرْ!

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2960

Reader's Digest
المختار
سبتمبر (ايلول) ١٩٨٩
صفر ١٤١٠
السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم باسلوب ممتع

الرومانسية دواء الكبت الجنسي؟

ان خمود الرغبة الجنسية في الحياة الزوجية ظاهرة شائعة. لكن الاسباب قد تكمن خارج غرفة النوم

آن مديرة مصرف في الحادية والثلاثين من العمر، وزوجها بوب مدير شركة في السابعة والثلاثين. ويعتقد أصدقاؤهما أنهما يعيشان حياة سعيدة. لكن آن وبوب وحدهما يعرفان الحقيقة. فخلال ثماني سنوات من حياتهما الزوجية تمتعا بسنة واحدة فقط بما تسميه آن "شبه حياة جنسية طبيعية." أما ما تبقى من هذه المرحلة فكان "زواج تجنب،" وهذا يحزن أكثر لأن كلا منهما يكنّ للآخر حباً جماً. هل يواجه آخرون مثل هذه المشكلة؟

يقول الاطباء النفسيون ان فقدان الرغبة الجنسية أي ما يسمّى "الرغبة الجنسية المكبوتة" - اصبح أكثر المشاكل الجنسية شيوعاً. ويقدر الخبراء أن واحداً من كل خمسة أشخاص يواجه مشكلة ما تتراوح بين الاعتدال والخطورة في ما يختص برغبته الجنسية في مرحلة ما من حياته. في هذا العصر المادي يجد كثيرون صعوبة في فهم المشكلة، بمن فيهم بعض من يلجأون الى المساعدة المتخصصة.

Condensed from Newsweek (October 26, '87), © 1987 by Newsweek, Inc., New York, N.Y. Photo: Ernest Coppolino

في بعض الاحيان يكون تشخيص الرغبة الجنسية المكبوتة ومعالجتها أصعب من مقاربة سواها من المشاكل الجنسية. ولا سبب وطيداً لذلك. قد تنجم هذه الحالة عن الكآبة أو الضغط أو الخلافات الزوجية أو علة جسدية كنقص في الهورمونات، لكنها تأتي غالباً من مصدر أكثر غموضاً: الخوف من العلاقة الحميمة.

قد تنجم الرغبة المكبوتة عن المخاوف التي تولدها "البطولات" الجنسية التي تُعرض في السينما أو على شاشة التلفزيون. فهي تثير لدى الرجال والنساء قلقاً من العجز عن بلوغ ذلك المستوى المضخَّم. والعبء يبدو كبيراً على نحو خاص لدى الرجال الذين قد يتجنبون الجنس لخوفهم من العجز عن التصرف الصحيح. وتتفاقم هذه المخاوف بسبب ما تتوقعه النساء من جراء هذه الافلام.

ولا تزال الابحاث الجارية على الرغبة الجنسية المكبوتة ضئيلة، اذ لم تعطَ هذه المشكلة هويتها الطبية السريرية إلا في العقد الماضي. لكن الازواج الذين يمارسون وظيفتين في آن يشكلان العدد الاكبر بين مرضى الكبت الجنسي. وهم يتذمرون عادة من التعب أو من ضجر الرتابة. تقول جنيفر كنوف المديرة المشاركة لبرنامج التثقيف الجنسي والمعالجة الجنسية في جامعة نورث وسترن بولاية ايلينوي واحدى مؤلفي كتاب عن الرغبة الجنسية المكبوتة: "يكتشف الزوجان أنهما لا يستطيعان وضع الاولاد في أسرتهم وكبس زر سحري للوصول الى الاثارة الكاملة."

يقول المعالجون المختصون أن ليست كل حالات الرغبة الجنسية المكبوتة سبباً للقلق. ففقدان الاهتمام لفترة قصيرة يعدّ حالة طبيعية. وأحياناً لا يحتاج المصاب الا الى الاطمئنان الى أن تواتر ممارسته للجنس ليس أدنى من المعدل الطبيعي.

ومع ذلك فهناك تفاوت كبير بين الناس في ما يختص بتواتر الممارسة الجنسية ويعتمد هذا التفاوت على عدة عوامل، بما فيها السن وعمر الزواج والوضع الصحي العام.

أما التواتر المقبول فيعتمد على ما يسعد الشريكين. ويرى العالم النفساني ريتشارد هانيش أن ليست هنالك مشكلة الا "عندما يتزوج شخص يتطلب الجنس مرة في الشهر، شريكاً يتطلب الجنس يومياً."

والاختلاف حول تكرر الممارسة الجنسية هو أحد أكبر أسباب الزواج غير السعيد. والعكس صحيح أيضاً: إن الزواج غير السعيد هو أقوى أسباب الرغبة الجنسية المكبوتة. والحقيقة أن الذين يعانون هذه العلة قد يكونون ذوي دوافع جنسية طبيعية ولكن يقيدها الغضب أو القلق المكبوت.

وهذه هي بالتأكيد حال آن وبوب. تقول آن ان بوب يبقي غيظه مكبوتاً ويجد صعوبة في التصريح عن حاجاته. وهي، من الناحية الاخرى، حساسة تجاه الازدراء والتجاهل، لذلك فإن نقد بوب اللاذع لها يشعرها بأنها "غير مشبعة." وبعد سنة من ممارستهما الجنس مرة أو مرتين في الاسبوع فترت رغبتهما، بل تلاشت. وآن

مقتنعة بأن مشاجراتهما كانت السبب الرئيسي في ذلك. تقول: "انها الامور الصغيرة التي تتراكم فتصل الى حد يجعلني خائفة من ممارسة الجنس لأن لا شيء في حياتي يجري على ما يرام."

إن الازواج الذين يواجهون هذه الخلافات يفيدون عادة من طلب المشورة المتخصصة. وعندما تعمق جذور الرغبة الجنسية المكبوتة يعالج المرضى بمزيج من الجلسات الكلامية (للوصول الى مصدر مشاكلهم) والتمارين السلوكية (التي تساعدهم في تعلم الشعور بالرغبة من جديد). وكثير من الاختصاصيين يشجعون المرضى على احياء مزاج رومانسي قبل بدء الممارسة الجنسية - باطلاق العنان للخيال أو بقراءة كتاب مثير أو أي شيء آخر يقلل من القلق الذي هو نقيض الرغبة.

وقد نجح الارشاد المتخصص في تحسين وضع بوب وآن، اذ تمت معالجتهما لدى الدكتورة دومينا رنشو من جامعة لويولا في شيكاغو.

عندما أتى بيل وماري لمقابلة الدكتور رون بوديل مدير مركز العلوم الجنسية في لوس انجلس، كانا منقطعين عن ممارسة الجنس منذ عدة أشهر. يقول بوديل: "كانا يكبتان غضبهما ويعجزان عن الافصاح عن مشاعرهما. لم يكونا قادرين حتى على المعانقة."

تبين أخيراً أن والد ماري كان عدائياً وعنيفاً، وأن ماري كانت تضرب بقسوة في طفولتها. أما والد بيل فترك المنزل الى غير رجعة، وكانت أمه امرأة متسلطة لم يستطع ارضاءها يوماً. يقول بوديل: "كانا يعانيان خوفاً واضحاً من النبذ بحيث أن العلاقة الحميمة كانت تخيفهما."

أعطاهما بوديل "فرضاً" منزلياً في شكل جلسات ملامسة غير جنسية. في البدء كانا خجولين كغريبين، لكنهما تعلما تدريجاً كيف يحتضن أحدهما الآخر ويتحدثان عن شعورهما. تقول ماري: "أحياناً كنا نتضامّ في غرفة الجلوس خمس دقائق. كنت في حاجة الى التأكد من أن بيل يهتم بي."

بعد سنة ونصف سنة عاود بيل وماري ممارستهما الجنسية. تقول ماري: "نشعر بالتقارب الشديد الآن، وهنالك رومانسية في زواجنا أكثر من السابق على حد بعيد."

لقد طرأ تحسن كبير على فهم المشاكل الجنسية ومعالجتها، ولكن ما زال أمام الباحثين كثير يتعلمونه عن الرغبة الجنسية المكبوتة. لكن الأكيد بالنسبة الى كثير من الازواج أن الرغبة الجنسية ليست تلك النزوة السهلة التي لا تنضب، كما تصورها الثقافة الشعبية.

ديفيد غلمان ■

يبدأ الحب الحقيقي عندما لا نتوقع شيئاً في المقابل.

انطوان دي سانت اكزوبري،

كاتب فرنسي (١٩٠٠ - ١٩٤٤)

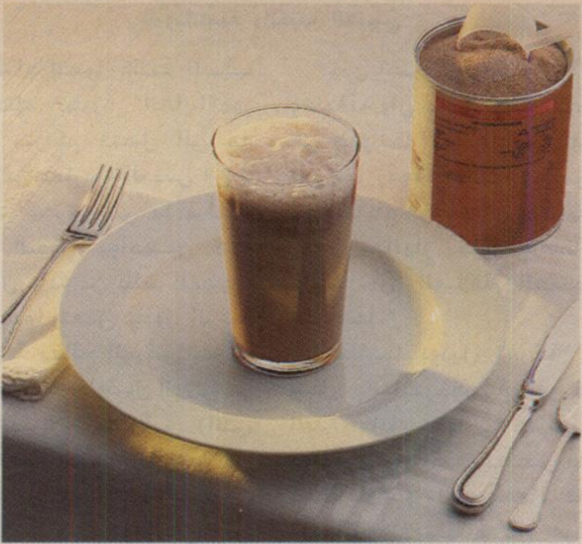

حمية السوائل للوزن الزائد ٣٠٪

... ولكن هل نجاحها مضمون ومأمون العواقب؟

أنظمة الحمية السائلة الغنية بالبروتيين (١) هي "صرعة" الموسم. ويشار اليها سريرياً بعبارة "صيام"، وهي ساعدت مئات الالوف من الناس على انقاص ما يراوح بين ٢٥ و٣٥ كيلوغراماً من وزنهم في مدة لا تتجاوز ١٦ أسبوعاً. وهذه ادعاءات مفرحة ذات رنّة حسنة، ولكن هل الامتناع عن تناول الاطعمة الجامدة أشهراً طويلة مأمون العواقب؟ وهل يظلّ الوزن منخفضاً أم ان "الصيام" حل سريع موقت لا يلبث مفعوله أن يزول على المدى الطويل؟

تعرف أنظمة الحمية السائلة أيضاً بأنظمة "الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة جداً" (٢). ومن يتبعها يمتنع عن تناول الطعام الجامد لمدّة تصل الى

(١) Liquid protein diets
(٢) Very low calorie diets «VLCDs»

Condensed from Family Circle (March 14, '89), © 1989 by The Family Circle, Inc., New York, N.Y., Photo: Ernest Coppolino

١٦ أسبوعاً (وربما أكثر) يقتصر ما يتناوله خلالها على بضعة اكواب يومياً من الشراب المنكّه الغني بالبروتيين، يراوح مجموع محتواها الحراري بين ٤٠٠ و٨٠٠ وحدة.

في الاسبوع الأول يفقد الفرد بين كيلوغرامين وأربعة كيلوغرامات من وزنه. وفي الاسابيع التالية يخسر بين كيلوغرامين وكيلوغرامين ونصف كيلوغرام أسبوعياً.

صيغ قديمة وجديدة. يدعي أنصار هذه الصرعة أن هناك فرقاً كبيراً بين أنظمة الحمية السائلة الرائجة اليوم وشبيهاتها التي راجت قبل عشر سنين وانطوت على مخاطر كبيرة. وتقول الدكتورة فاليري بيل أستاذة الطب السريري في المركز الطبي بجامعة نيويورك ومديرة برنامج الحمية السائلة هناك المعروف بـ"أوبتيفاست": "الصيغ الجديدة كاملة الغذاء."

وكانت الصيغ القديمة تفتقر كلياً الى المقدمات الاساسية التي يحتاج اليها الجسم للمحافظة على الحياة، أو توفرها بكميات غير كافية. ولقد أرتبطت تلك الصيغ بستين وفاة على الأقل، ربما كان سببها عدم انتظام في النبض ناتج من سوء تغذية حاد.

وتشتمل أنظمة الحمية السائلة الجديدة على المواد المغذية الاساسية. فهي توفر للجسم ما يحتاج اليه من بروتيين رفيع النوعية وكربوهيدرات (٣) وأحماض دهنية وفيتامينات ومعادن وسواها من المواد المغذية. وهكذا تتقلص الأخطار التي ارتبطت بالصيغ القديمة.

وفي حين كانت الصيغ القديمة تُباع من دون وصفة طبية ومن دون استشارة طبيب، فإن الصيغ الجديدة تستلزم اشرافاً طبياً. ويتوافر بعض هذا الاشراف في برامج صحيّة ترعاها المستشفيات للتحقق من أن ضغط دم المريض ونبض قلبه طبيعيان، ولاجراء تحليل للدم تجنباً لأي مضاعفات قد تنشأ. ويجتمع متبعو هذه الحمية الجديدة في لقاءات أسبوعية لرفع معنوياتهم. وبعد انتهاء فترة "الصوم" يعودون الى تناول الطعام الطبيعي في اشراف اختصاصي، ويُشجَّعون على الانضمام الى جماعات متابعة داعمة تقدم اليهم معلومات اضافية عن أصول التغذية والرياضة البدنية وتعديل بعض أنماط السلوك.

مقاومة الاغراء. على رغم أن فكرة "عدم الاكل" طوال أشهر كفيلة بتثبيط عزيمة أي انسان، فان التخلي عن الطعام سهل الى حد مدهش كما يؤكد كثيرون ممّن خبروه. جين فرانك، مثلا، مديرة مكتب في الاربعين من عمرها، طول قامتها ١٥٠ سنتيمتراً، وكان وزنها ٩٣ كيلوغراماً، وهي تقول: "أن يجد المرء نفسه غير مضطر الى أي اختيار بين أصناف الطعام أمر أسهل من اتباع حمية عادية." وبعد ستة أشهر نقص وزنها ٣٠ كيلوغراماً.

ولاحظ الدكتور جورج بلاكبيرن مدير المختبر الغذائي في مستشفى ديكونيس

(٣) الكربوهيدرات هي المواد النشوية والسكرية.

في بوسطن، أن الناس الذين يثابرون على برامج المتابعة لمدة سنة على الأقل ينزعون الى المحافظة على ما خسروه من وزن. ووجد، بعد سنة من انتهاء برنامج "أوبتيفاست"، أن الافراد الذين أهملوا التردد على برامج المحافظة على نقص الوزن المكتسب استعادوا ضعفي الوزن الذي استعاده أولئك الذين ثابروا على المشاركة في برامج المتابعة.

والصائمون الناجحون هم، إجمالا، أناس لم يجرّبوا أنظمة حمية كثيرة في الماضي. أما ذوو الوزن الذي يترجح صعوداً وهبوطاً فيواجهون صعوبة في خفض وزنهم بسبب مشاكل نفسية، غالباً بسبب اتجاه وراثي الى السمنة المفرطة. وهم سرعان ما يعودون الى عاداتهم السابقة في الاكل التي كانت السبب الرئيسي لسمنتهم المفرطة.

رون بلوك في الثانية والاربعين ونائب رئيس شركة لبرامج الادمغة الالكترونية. خلال ١٦ أسبوعاً من الصوم فقد ٤٤ كيلوغراماً من وزنه، وكانت تلك المرة الأولى يلتزم نظام حمية حقيقياً. وخلال برنامج المحافظة على الوزن الناقص خسر سبعة كيلوغرامات أخرى وحافظ على وزنه الجديد أربعة أشهر. وهو يقول: "ما زال الطعام يغريني، ولكن بات في امكاني أن أحارب ذلك الدافع الملّح الى الافراط في الاكل."

تأثيرات جانبية. أنظمة الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة جداً قد تبدو جذّابة، لكنها تنطوي على بعض المعوقات المهمة، ومنها مسألة الكلفة. ففي الولايات المتحدة يتعين أولا دفع ٣٠٠ دولار هي رسم الفحص الطبي والتشخيص الغذائي والنفسي وبعض الفحوص المخبرية. يلي ذلك مبلغ ١٠٠ دولار على الاقل يدفع كل أسبوع على امتداد ١٦ أسبوعاً، وهو يغطي تكاليف المراقبة والاجتماعات وثمن المنتجات الغذائية الغنية بالبروتيين. وبرامج الحمية هذه تدر على المستشفيات أرباحاً طائلة، وهذا من أسباب قيام حملات دعائية واسعة لترويجها.

ومن التأثيرات الجانبية لانظمة الحمية السائلة شعور بالتعب وجفاف الجلد وتساقط الشعر والغثيان والدوار والاكتئاب. وتختفي هذه الاعراض في الاسابيع القليلة الاولى وتبطل جميعها حالما يعود الفرد الى تناول الطعام. ونادراً ما تحصل مضاعفات خطرة، كنوبة قلبية.

ما يجهله معظم الناس هو أن أنظمة الحمية السائلة تلك مخصصة للاشخاص الذين يفوق وزنهم الوزن الطبيعي ٣٠ في المئة على الأقل. وفي المتوسط، يتعين على الفرد الملتزم أن يخسر بين ٢٥ و٣٥ كيلوغراماً من وزنه وأن يتغلب على مشاكل صحيّة أخرى متصلة بالسمنة المفرطة، مثل ضغط الدم العالي وارتفاع مستوى الدهن في الدم وداء السكري. وبما أن معظم الساعين الى خفض وزنهم لا يلزمهم سوى انقاص خمسة كيلوغرامات أو سبعة، فعليهم أن يختاروا برامج اكثر اعتدالا.

يقول الدكتور ثيودور فان إتكي مؤسس "مركز أبحاث السمنة المفرطة" في

مستشفى سان لوك - روزفلت في مدينة نيويورك: "كلما قلّ ما عليك أن تخسره من وزن، ارتفعت نسبة التأثيرات الجانبية لانظمة الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة." وعندما يتخلص الناس المفرطو السمنة من الوزن الفائض فانهم غالباً يخسرون شحماً لا عضلا. أما الاقل سمنة فيخسرون عضلاً إذا لم يحصلوا على وحدات حرارية كافية.

أما الدكتور بلاكبيرن فيؤكد: "سواء اعتمد المرء حمية سائلة أو سواها، تبقى ارادة التغيير هي السر الجوهري لخفض الوزن نهائياً. وإن كنت تبحث عن نظام أو عن طبيب يتولى هذا الامر عنك فإن فشلك محتوم. فعندما تتولى أنت مسؤولية خفض وزنك تستطيع تحويل أي نقص في الوزن نجاحاً نهائياً ثابتاً."

كارلا رولفنغ ■

قوة الاعلان

قد يعيش المرء حياة ملأى بالبطولة والسقطات والابوة والشجاعة والألم فلا يلاحظ ذلك أحد خارج نطاق عائلته واصدقائه. لكن صوِّر اعلاناً تلفزيونياً جذّاباً عن المرء ذاته فيغدو رجلا شهيراً.

لم يحتج أحدهم الى اكثر من ٣٠ ثانية من الاعلان التجاري لكي ينال الشهرة. ويقول الاعلان: "عندما كان بيل دمبي في فيتنام حلم بالعودة الى الوطن وبممارسة لعبة كرة السلة. لكن حلمه هذا مات عندما فقد ساقيه من جرّاء صاروخ اطلقه الفيتكونغ. ثم اكتشف الباحثون ان مواد دوبون البلاستيكية في وسعها تأمين اطراف اصطناعية أشبه ما يكون بالاطراف الطبيعية. واليوم عاد بيل الى ممارسة لعبة كرة السلة، والبعض يقول إنه ما زال يتمتع بالمهارة ذاتها.

لا يحب دمبي دائماً اهتمام الآخرين به. انما في بعض الأحيان يؤثر فيه تقدير الناس له. ومما يتذكر: "جاءني رجل يوما يشرح لي مشاكله واخبرني انه كان فقد الأمل من كل شيء. ولكن مشاهدته لي في الدعاية قلبت حياته رأساً على عقب. ثم شكرني لاني غيّرت مجرى حياته. أمّا أنا، فابتعدت عنه لكي لا يشاهد الدموع تنفر من عيني."

ب.غ.

شرف المهنة

بول بوكوز، أحد مؤسسي "المطبخ الحديث" الذي يعتمد الاطباق الخفيفة والبسيطة، لم يتردد في خرق التقليد. ففي العام ١٩٧٥، عندما قلّده الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان وسام الشرف، طبع بوكوز هذه المناسبة المهمة بطابعه الخاص. فأي انسان غير بوكوز كان سيحضر الحفلة باللباس الرسمي، اما هذا فقد اصر على ارتداء البرنس والقبعة الابيضين اللذين يلبسهما رئيس الطهاة فكأنه كان يقول لكل رؤساء طهاة فرنسا "اني فخور بان اكون طاهيا وان عليكم ان تحذوا حذوي!"

ك.و.

مأساة واقعية

لم يفصل الفارس عن الموت إلّا شجاعة ابنته الصغيرة

«لن أدع أبي يموت»

كولين كوك فتاة مرحة في التاسعة من عمرها. وكانت تنتظر على أحر من الجمر النزهات الاسبوعية على متون الخيل مع والدها كيم، شريف مقاطعة تيتون(★) وكان منزلهما في فيكتور بولاية إيداهو لا يبعد كثيراً عن جبال غراند تيتون الخلابة. وفي الغرب انتصبت جبال بيغ هول الوعرة موطن الدببة والقنادس والايائل.

ومتعة كيم بركوب الخيل تضاهي متعة ابنته. فزوجته جنيفر حامل، لكن كولين ظلت مدة طويلة فتاة وحيدة مما وطّد العلاقة بين الأب والإبنة.

كان كيم في الثالثة والثلاثين من العمر، وقد عاش في فيكتور منذ سنوات المراهقة عاملا في مزرعة العائلة. وهو رجل ناحل ذو عينين بنيتين وشاربين متدليين، يحترمه الناس لصدقه وكدّه في العمل. وقد علّم ابنته ألّا تقبل بأقل من الافضل في كل شيء.

(★) الشريف هو المسؤول الامني في بلدة أمريكية.

Illustrations: Dan Brown

صباح ٣٠ مايو (أيار) ١٩٨٧ ركب الاب وابنته جواديهما متجهين نحو بقعة في جبال بيغ هول لم يكن أي منهما بلغها سابقاً. وكانت كولين مرتاحة على فرسها السهلة القياد، أما والدها فركب فرساً صغيرة في الثالثة من عمرها جديدة وجفولا.

سلك الاثنان طريقاً في الغابة، ثم قادا الفرسَيْن بين أشجار الحور والصنوبر. لم تعد هناك درب واضحة، بل واد صخري شديد الانحدار خطّه نهر جليدي.

استغرق بلوغ احدى القمم ساعة ونصف ساعة إذ انها تعلو السهل ٣٠٠ متر وتبعد ستة كيلومترات عن المنزل. كان العرق يتصبب من الفرسين، فترجّل كيم وكولين لاراحتهما. وبعد دقائق قال كيم انه سيذهب لاحضار بعض المرطبات من عِدْل الخرج فيشربانها خلال الاستراحة.

وفيما كولين جالسة على صخرة سمعت صوتاً خلفها يشبه حفيف ذيل فرس. استدارت، وإذا بها ترى والدها يتدحرج على الارض ثم يجثو ويمسك وجهه بين كفّيه. كان الدم يسيل بين أصابعه، فأسرعت اليه كولين وهي تتساءل: هل زلّت قدمه فهوى؟ هل ضرب رأسه بصخرة؟

في سيل الدم شعر كيم بفجوة مفتوحة فوق عينه اليمنى التي لم يعد يرى بها فأدرك أن المهرة رفسته، لكنه لم يتذكّر كيف أو لماذا. كان متأكداً من امساكه عنان الفرس وهو يمدّ يده الى الخرج، مما يبقيه في مأمن من الرفسات. أتراه أوقع شيئاً فانحنى ليلتقطه.

باختصار، لم يعد يذكر شيئاً.

أدركت كولين أن جرح والدها خطير، إذ ان الرفسة فتحت فجوة في أعلى خده الايمن كاشفة الدماغ. وخطر للفتاة أن والدها يحتضر، لكنها ما لبثت أن أبعدت الفكرة عن بالها وقالت له بعزم: "سأطلب نجدة،" محاولة إخفاء نبرة الرعب في صوتها.

يد مرشدة. شعرت كولين بخفقان قلبها، فركبت فرسها وهبطت المنحدر. لكنها احتارت في أي طريق تسلك. وتصارع في فكرها خياران: أتكمل السير أم تعود الى والدها؟ لكن صوتاً داخلها ظل يهمس: لا تتركي أباك!

أيقنت كولين ان عليها إنقاذ والدها بنفسها. فتسلّقت المنحدر ثانية. وفيما هي تحاول تمالك أعصابها تذكّرت ما قالته معلمتها الأسبوع الماضي في الصف: "إذا وقعتم في مصيبة، إدعوا لربّكم."

علمت كولين أن الوضع الآن مصيبة بلا شك. ولمّا اقتربت من والدها ترجّلت وألصقت جبينها بجنب الفرس وأغمضت عينيها مبتهلة: أرجوك يا ربي، ساعدنا للخروج من هنا. لا تدع أبي يموت!

راحت كولين تتذكّر دروس الاسعاف الأولي التي تعلّمتها في المدرسة: التأكد من أن المصاب لا يزال يتنفس، ثم ايقاف النزف. فتناولت بعض الثلج النظيف عن الارض وضغطته بعناية على وجه والدها لتمسح عنه الدم. ثم قالت له مطمئنة: "سنحاول العودة الى البيت. سنصل بالطبع، أنا أكيدة من ذلك لأنني صلّيت."

كان كيم يترجح بين الوعي والاغماء.

لكن صوت ابنته أيقظه تماماً، وفرح عندما رآها قد عادت. فهو سلّم بموته في الجبل، لكنه قلق لاحتمال ضياع ابنته أو إصابتها بمكروه وهي تحاول بلوغ المنزل وحدها. لذا أدرك أن عليه استجماع قواه لكي يرشدها الى مكان أليف.

وكانت فرس كيم بعيدة ترعى في بقعة مشجرة، لكنه لم يكن يقوى على ركوبها في أي حال. وبدأ الوالد وابنته رحلتهما على الأقدام. فكانت كولين تسنده بيد وتقود فرسها بالأخرى. وأوشك كيم على الاغماء ثانية لشدة الألم.

بعد اجتياز ثلاثين متراً شعر كيم بغثيان قوي. فجلس على الأرض ليرتاح قليلا، إلّا أن كولين حضته على الوقوف مدركة أن الوقت من ذهب. وكان تقدمهما بطيئاً، فتقيأ كيم غير مرة، وكانت كل حركة تثير في رأسه ألماً حاداً.

راح كيم يشجع نفسه على متابعة السير، فيختار موقعاً على بعد ستة أمتار مثلا ويحاول بلوغه. وما إن يصل اليه حتى يختار هدفاً جديداً. لقد قرر بلوغ درب الغابة لأن كولين لن تستطيع الخروج وحدها من هذه المتاهة إن هو قضى.

مرت الساعات وبدأ الماء ينضب من جسم كيم بفعل التقيؤ. أدركت كولين أن والدها فقد كل حس بالوقت. وانتبهت الى أن التباطؤ قد يكون قاتلا، فمضت تحضه على متابعة السير. لكنها في قرارتها خشيت أن يكون أبوها على شفير الموت.

فارس بلا فرس. كان جرح كيم يهد طاقته، لكنه فهم أن ابنته لن تتركه يستسلم. فتعجب من عزمها وأسلوبها إذ لم تفقد السيطرة على الأمور لحظة.

بعد خمس ساعات من مغادرة القمة دنا الاثنان من السفح. وتنبّهت كولين الى درب الغابة. لقد بلغتها في الوقت المناسب، إذ جلس والدها عند جذع شجرة خائر القوى.

فهمت كولين من ارتسامات وجهه أنها لن تستطيع حضه أكثر، فقالت له: "عدني بأن تنتظر هنا. سأذهب وآتي بالنجدة."

امتطت كولين فرسها وتوجّهت نحو البيت غير أكيدة من أنها سترى والدها ثانية على قيد الحياة. وابتهلت: "يا رب، لا تدع الأوان يفوت." وكانت فرس ابيها تتبعها، وحين شعرت بالقرب من البيت تجاوزتها نحو الإسطبل.

كانت جنيفر كوك تعمل في حديقتها وقد بدأت الشكوك تساورها، إذ ليس من عادة زوجها وابنتها الغياب طويلا. وإذ بها تسمع في الخامسة والنصف وقع حوافر وصهيل فرس. فأسرعت نحو البوابة للترحيب بالفارسين، الا أنها ذهلت لرؤية فرس كيم تخبّ في اتجاهها، وحدها.

وكان كيسي (١٤ عاماً) شقيق كيم الاصغر يقود شاحنة المزرعة، فنادته جنيفر وقلبها يطرق بسرعة: "أسلك طريق الوادي وتبيّن ما حدث لكيم وكولين."

وللحال انطلق كيسي.

كانت فرس كولين مسرعة نحو المنزل عندما سمعت الفتاة هدير سيارة. وما لبث كيسي أن تمهّل قربها فصرخت: "إنه أبي! تركته قرب سدّ القنادس." فتابع كيسي طريقه وبعد لحظات لمح أخاه مستنداً الى جذع الشجرة والدم يكسو وجهه.

طمأن كيسي أخاه بثقة لم يكن هو أكيداً منها. قال: "سآخذك الى البيت." ثم رفعه برفق وأجلسه على المقعد الخلفي. عندئذ أمسك كيم كتف أخيه ونبهه لكي يقود الشاحنة على مهل، ثم أضاف: "إن لم تفعل، فسأقودها أنا."

فرصة ثانية. كان كيم واعياً عندما نقلته سيارة اسعاف من منزله الى عيادة وادي تيتون على بعد عشرين كيلومتراً. وكان جرحه مليئاً بالتراب والحصى فصار باباً مفتوحاً لالتهاب جرثومي في الدماغ.

حقنه الطبيب لورنس كورتيس مضادات حيوية عبر الأوردة. وقد أخذه العجب كيف أن فتاة في التاسعة تمكنت من إنقاذ مصاب بهذا الجرح البالغ في أعالي الجبل. فهي من دون شك أنقذت حياة والدها.

أدرك كورتيس أن انقاذ بصر العين اليمنى أمر بعيد الاحتمال بسبب خطورة الجرح. كما خشي حصول تلف في الدماغ، فاتصل بأطباء جرّاحين في المركز الطبي الذي يبعد ساعة في السيارة، حيث تتوافر تسهيلات كبرى.

في ليلة الأحد تلك نُقل كيم الى غرفة الطوارىء في المركز الطبي حيث انتظره جرّاح العين بيتر زيمرمان وجرّاح عصب العين ستيفن مارانو. وأظهر تخطيط بالدماغ الالكتروني أن أياً من عظام الجهة اليمنى من وجه كيم لم تسلم من الاصابة.

عمل زيمرمان ومارانو الى ساعة باكرة من الفجر التالي. ففتح مارانو جبين كيم، ونزع كسر العظم والانسجة التالفة من مقدم الدماغ. ثم استعمل نسيجاً موهوباً لرتق الغشاء الوقائي الذي يغلّف الدماغ.

وحاول زيمرمان انقاذ العين اليمنى، لكن الأمل كان ضئيلا. وبعد مرور عشرة أيام من دون أن يبصر كيم بعينه اليمنى تعين على الجرّاح اقتلاعها. وخلال هذه الجراحة الثانية، جبر الجرّاحون عظام الوجنة المحطمة والعظمة المكسورة خلف العين.

وبقي اكتمال الشفاء رهناً بروح كيم المناضلة.

تقدير الشجاعة. شاع الخبر في منطقة الوادي وخارجها عن انقاذ كولين حياة والدها. وذات يوم، فيما كانت جالسة على سرير والدها في المستشفى، دخل مسؤول من دائرة الاطفاء في مقاطعة تيتون ومعه شهادة تقدير لـ"الشجاعة في مواجهة المصاعب." كما منحها "مجلس العدالة الجزائية" في ايداهو جائزة "العمل البطولي لانقاذ حياة إنسان."

والمدهش أن كيم لم يصب بأي ضرر فعلي في الدماغ. وبحلول أغسطس (آب) عاد الى عمله بدوام جزئي. لقد أعطاه لقاء الموت ذهنية جديدة إذ قال: "نادراً ما يحظى المرء بفرصة ثانية. لكن كولين

منحتني هذه الفرصة، وسأشرك فيها الآخرين." فتطوّع للتعليم في مدرسة خيرية وللتحدث مع مجموعات من الاحداث فيفسّر لهم أهمية تمالك الاعصاب لدى حدوث مشكلة.

ثم جاء النبأ السعيد: لقد اختيرت كولين واحدة من عشرة "أبطال صغار" في الولايات المتحدة، وستكرّم في العاصمة واشنطن.

وفي احتفال منح الجوائز قال السناتور ستيفن سيمز ممثل ولاية ايداهو ان شجاعة كولين هي من الصنف الذي جعل الولايات المتحدة دولة عظمى.

وفي اليوم التالي صُوِّرت كولين مع الرئيس الامريكي آنذاك رونالد ريغن. وأرسلت إليها الصورة لاحقاً بالبريد موقّعة من الرئيس: "الى كولين كوك، البطلة الحقيقية."

في صيف ١٩٨٩ استعاد كيم كوك عافيته وعمله في حماية القانون والنظام في مقاطعة تيتون. وهو لا يزال حريصاً على نزهاته الاسبوعية مع كولين على متون الخيل في الريف. ويقول: "توطدت علاقتنا كثيراً منذ الحادث."

أما كولين فلا تعير أذناً لكل ما يقال ويكتب عن شجاعتها، وتؤكد: "عندما كنا هناك في الجبل، لم تكن تلك مسألة شجاعة أو جبن. لقد أدركت ببساطة أنني لن أدع أبي يموت."

بير أولا وإميلي دولير ■

ما كلّ مرة تسلم الجرّة

اعمل سكرتيرة لمديرة لطيفة، ولكن متطلّبة. وذات يوم ارسلتني لشراء آلة تسجيل نقّالة. وإذ كانت المجموعة المعروضة في المتجر محدودة، اقترح علي المسؤول هناك الانتظار وتقديم طلب للحصول على آلة تسجيل أفضل. فأجبته بسخرية: "لدي مديرة لجوجة تريد الحصول على ما تطلب في اللحظة ذاتها اذ انها كثيرة الاشغال." ثمَّ اشتريت الآلة المعروضة.

وفي اليوم التالي، استقبلتني مديرتي بجفاف قائلة: "اذا أردت الكلام علي، تأكدي من ايقاف آلة التسجيل اولا."

وعجباً انني احتفظت بوظيفتي.

د.ن

زلّة قلم

أضافت سكرتيرة مالية العبارة الآتية الى تقريرها السنوي النهائي: "أولاد أن اعبّر عن تقديري للفرصة التي سنحت لي كي اعمل سكرتيرة مالية طوال السنوات الخمس الماضية. فالحقيقة ان ما حصلت عليه يفوق بكثير ما اعطيته."

م.و.ر.

مهما حاولت اخفاء شعورك فان طرفة عينك تفشي سرّك

مَاذا تعني طرفة العَين؟

العين أكثر أعضاء الاحساس رهافة، ومع ذلك فانها معرّضة للانجراح والتأثر على نحو يدعو الى الدهشة. القسم الاكبر منها تحميه الجمجمة. فمحجر العين المؤلف من تجويف مبطّن بالشحم، يمتص جميع اللطمات الا الكبيرة جداً. غير أن عشر السطح الكلّي للعين، ذلك الجزء اللوزي الشكل الذي ينظر الى الدنيا ويجمع الضوء، ليس بينه وبين الجو شيء عند فتح العين.

يحمي الجسم هذا العضو الحيوي بفعل الطَرْف، أي الاغماض القصير الذي قد لا يستغرق أكثر من عشر ثانية. خلال الطرف ينغلق "مصراع" من الجلد الرقيق جداً والمقوّى بألياف متينة تشبه الغضروف. وعلى الاثر ينكمش الجفنان فيغلفان العين بطبقة من الدمع تمسح الغبار وتنظّف سطح العين وترطّبه.

يتخذ الطرْف أشكالا عدة. فالى الطرف الذي يغسل العين، هناك الطرف الذي يرافق ظروفاً طارئة (مثل الاصوات المرتفعة) والطرف الإرادي الذي يعبّر عن الغضب أو الشك. وهناك نوع آخر هو الطرف التلقائي العفوي، وهو ليس إرادياً ولا انعكاسياً. ومعظم الطرفات هي من هذا النوع.

لا يتطلب شطف العين أكثر من طرفة واحدة في الدقيقة. ومع ذلك يطرف معظم الناس بأعينهم نحو ١٥ مرّة في الدقيقة الواحدة.

Condensed from The Sciences (November / December '88), © 1988 by The New York Academy of Sciences, New York, N.Y. Photo: © Whitney Lane

لماذا نطرف بهذه الكثرة؟

الظاهر أن هناك صلة مباشرة بين الطرف العفوي والعقل. ويستخدم العلماء اليوم آلات التصوير والاشعة دون الحمراء والاقطاب الكهربائية لقياس "الهبّات" الكهربائية الصادرة عن الاعصاب والعضلات المحيطة بالعين، لكي يتبينوا كيف يختلف تواتر الطرفات والمدّة التي تستغرقها كل طرفة باختلاف الامزجة بين التيقّظ والضجر والضيق والتركيز.

تظهر الدراسات أن الانسان يطرف مرّات أقل عندما يكون متنبهاً. فأثناء قراءة رواية، يطرف المرء نحو ست مرات في الدقيقة. أما أثناء الانهماك في الحديث فيتضاعف هذا العدد. وفي الشوارع الداخلية المربكة يطرف السائقون أقل مما يفعلون وهم يقودون سياراتهم في الطرق العامة. ولدى تجاوز سيارة أخرى تنقص طرفات العين إذ يروح السائق ينقل بصره من الطريق الى عدّاد السرعة فالى المرآة الخلفية وهكذا.

والظاهر أن للضجر تأثيراً بالغ الدقّة في طرْف العيون. ففي احدى التجارب كان على الافراد ان يصغوا الى سلسلة من النغمات تستغرق ٣٢ دقيقة، فتبيّن أن ذلك الجزء من الثانية الذي تستغرقه طرفة العين طال أكثر من ٣٠ في المئة. ويبدو أن العقل عندما يتوقع ورود معلومات مضجرة يسمح لنفسه بفترة من الراحة، وعندئذ تدوم طرفة العين أطول.

ولقد اكتشف الباحثون أن معدّل طرفات العين وأمدها يختلفان باختلاف الاعمال التي يؤديها الافراد. فالذين ينهمكون في أعمال بصرية، كالرسم مثلا، يطرفون مرّات أقل. والذين يشعرون بالاعياء يطرفون أكثر من الذين يشعرون بالراحة. ويزداد طرف العين مع ازدياد الاضطراب.

القلق أيضاً يزيد عدد طرفات العين. فطيارو الطوافات المبتدئون يطرفون أكثر من المدرِّبين. والشاهد عند الاستجواب يطرف أكثر من الشاهد الذي يردّ على محام ودود. والردّ الذي يتطلب استجابة وجاهية في حضور شخص آخر يستدرّ عدداً أكبر من الطرفات. أما إذا كانت الاسئلة من النوع المحرج الذي يتطلب اجابة نعم أو لا، فإن الطرف يزداد.

هذه العلاقة بين الخشية من أمر مرتقب وطرف العين تفسِّر لماذا يُدرَّب مذيعو الاخبار على الطرف "الطبيعي" لكي يبدوا أمام عدسات التصوير هادئين ومتمالكين أعصابهم. وهذا ينطبق على السياسيين أيضاً. ولقد أظهرت الدراسات التي أجراها طبيب الامراض العصبية والنفسية جو تيسي أن القلق والتوتر يزيدان الطرف. ولا يملك علماء النفس تفسيراً لهذه العلاقة.

أما العلاقة بين الاستظهار (الحفظ) والطرف فهي أكثر وضوحاً. فالافراد الذين يطلب منهم حفظ سلسلة من الاحرف يبدأون بالطرف ما ان يتلقوا جميع الاحرف المطلوب خزنها في الذاكرة. وكلما ازداد عدد الاحرف طال الوقت قبل بدء الطرف، فالدماغ يحتاج الى وقت أطول لخزن ستة رموز مما يحتاج اليه لخزن رمزين. فمن المحتمل إذاً أن الطرفة تشير الى لحظة تشكُّل الذاكرة وتوقف الدماغ عن ترقّب مادة إضافية.

ويتكرر نمط شبيه بذلك أثناء القراءة، فيطرف الناس عيونهم عندما يصلون الى آخر السطر أو عندما يعجزون عن الفهم مما يضطرهم الى إعادة قراءة الكلمات الثلاث أو الاربع الاخيرة، ويبدو أن الدماغ يحتاج الى توقف قصير يفصل بين الاحداث الحسيّة المهمة، وما طرفة العين هذه سوى إشارة الى ذلك التوقف.

الطرف إذاً هو بمثابة ترقيم عقلي (★). فالظاهر أن طرفة العين تتم لحظة يتوقف الفرد عن استقبال المعلومات الواردة ليبدأ تقليبها في عقله. والطرفات القليلة العدد والقصيرة الأمد التي تصدر عن السائقين في الشوارع الداخلية تؤدي عمل الفواصل (،) وتقسم الصور المتسارعة أمامهم وحدات قابلة للاستيعاب. اما الطرفات التي تدوم مدّة أطول وتتكرر أكثر أثناء تكوين الذاكرة أو اتخاذ القرارات، فإنها كالنقط (.) تتيح للعقل توقفاً قصيراً لخزن المعلومات والتفكير فيها ملياً.

ربما فسّر ذلك حقيقة غريبة هي أن نسبة الطرف تختلف بين أشخاص يؤدون عملا واحداً. ففي حين أن الاحاجي الحسابية، مثلا، تزيد الطرف عند معظم الناس، نراها تنقصه عند سواهم. فمعظم الاشخاص الذين يحلّون هذه المسائل "بصرياً" متخيلين الارقام في أذهانهم، نادراً ما يرفّ لهم جفن في محاولة منهم لتجميد "الصورة". لكن بعضهم يزداد طرف عينيه لان عقله يصدر أمراً بالطرف كلما أنهى حلّ مرحلة من المسألة. بكلام آخر، إن نمط الطرف لدى الفرد قد يعكس نمط تفكيره.

(★) الترقيم هو استخدام نقط وفواصل في الكتابة.

جون ستيرن ■

جواب مطمئن!

يمتاز صديقي بمظهره الفتي الذي لا يعكس عمره الفعلي وخبرته الطويلة في قيادة الطائرات المستأجرة في ولاية فلوريدا. وطُلب اليه يوماً ان ينقل سيدة كهلة فوق المستنقعات الى احدى المدن الصغيرة. وبينما كان يساعدها في تثبيت حزام الأمان تفحصته بنظرها. واذ حلقت الطائرة فوق مياه المستنقعات تنحنحت وقالت متوجِّسة: "تبدو فتياً الى حد بعيد، كم مضى عليك في قيادة الطائرات؟"

فأجابها بابتسامته العريضة الفاتنة قائلا: "هل ندخل في الحساب طيران اليوم؟"

ب.و.

سر لا يخفى

"البصل النيء سر الصحة الجيدة" كان عنوان محاضرة علّق على لوح البلاغات في ناد نسائي. وتحت العنوان كتبت احداهن: "كيف تحفظين سرك؟"

صحيفة "الدايلي تلغراف"، لندن

صور من الحياة

"بيب! بيب!"

حين بدأتُ العمل في شركة عقارية أُعطيت للمرة الاولى جهاز اتصال لاسلكياً صغيراً. ولشدة لهفتي الى التباهي به ذهبت لزيارة والدتي، فخلّف الجهاز في نفسها انطباعاً قوياً ودونت على عجل الرقم الذي يمكّنها من طلبي بوساطته اذا ما احتاجت الي. ثم دعتني الى العشاء.

وفي انتظار اعداد الطعام ذهبت أتبضع. وفيما أنا أنتظر دوري أمام صندوق الدفع جاءتني المكالمة الاولى: "بيب! بيب!" فشعرت بأهميتي إذ رنت الي الانظار. وضغطت الزر لأتلقى المكالمة، فاذا صوت أمي يرتفع بوضوح: "العشاء جاهز!"

ا.ب.

الالفة تخفي العيوب

في احتفالي بعيد مولدي الخمسين شعرت بالصدمة لبلوغي هذا الفاصل في حياتي. وحين اردت تجديد رخصة قيادة السيارة كانت هناك سيدة ملأت كل المعلومات المطلوبة واختبرت نظري والتقطت لي صورة سريعة وناولتني بطاقة الصقت عليها صورتي.

فقلت لها مازحاً: "اتعنين ان عليّ ان انظر الى هذه الصورة للاربع السنوات المقبلة؟"

فاجابت: "لا تقلق، سوف تحب أن تنظر اليها بعد اربع سنوات."

ن.ف.

زوجة محظوظة

لم يكن والديّ خرجا للسهرة معاً لفترة ما، سوى ان والدي دخل المطبخ فيما كانت امي منهمكة في تنظيف الاطباق مديرة له ظهرها وسألها: "اترغبين في الذهاب الى السهرة يا فتاتي المسنّة؟" فاجابته امي على الفور: "اوه، احب ذلك من كل قلبي."

وبعد رجوعهما الى البيت، وكانا قد قضيا سهرةً ممتعة، اعترف والدي بان دعوته كانت موجهة اصلا الى كلبتنا التي كانت جاثمة على ارض المطبخ قريباً من قدمي والدتي!

م.م.ت.

هدية مثالية

كان ماثيو وعروسه يفتحان علب الهدايا ويهتفان، كلما بانت هدية، ويعينان طريقة استخدامها او التمتع بها كالمناشف والاطباق والكؤوس. الى ان فتحت العروس علبة كبيرة في داخلها مكنسة كهربائية فهتفت جذلة: "انظر يا ماثيو، هذه الهدية هي لك."

ل.س.

اللوكسمبور
جَنة صَغيرة

تحوّل الغزاة سياحاً في آخر غراندوقية مستقلة عرفها التاريخ

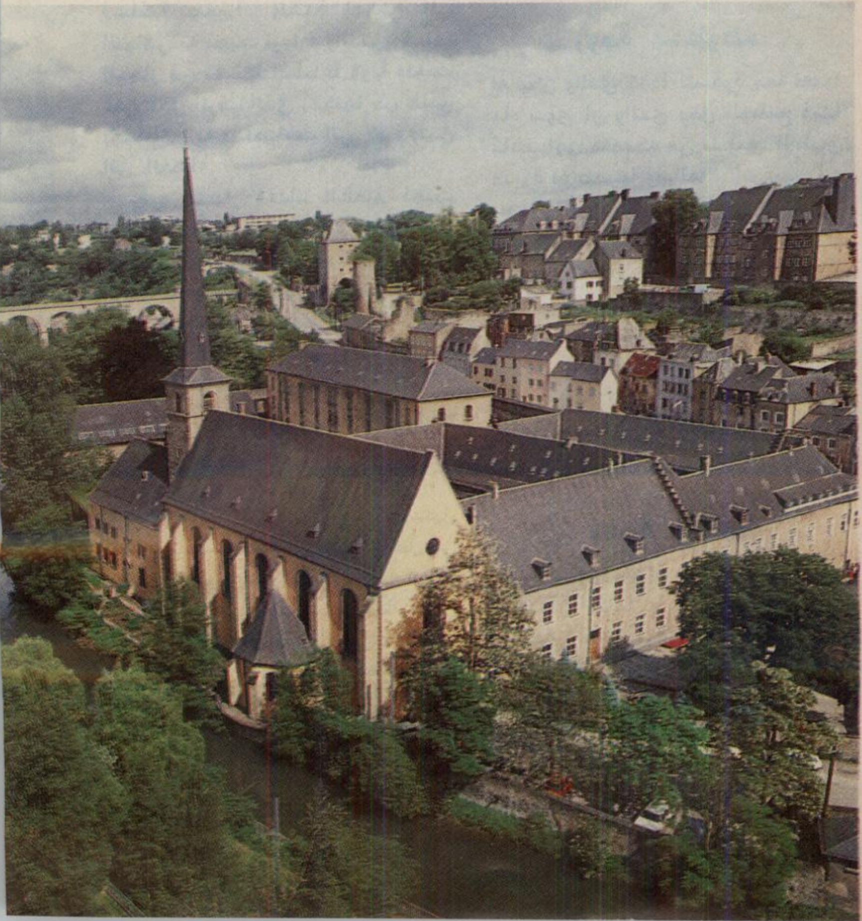

Photo: © Porterfield / Chickering / Photo Researchers, Inc.

عام ١٩٣٥ انتقل ماسح للاراضي يدعى بروسبر كايسر من بلدة في ريف اللوكسمبور الى العاصمة التي لا يختلف هدوؤها عن الريف بشيء. وبنى لعائلته منزلا مؤلفاً من ثلاث طبقات في جادة غليوم، يبعد مسافة عشر دقائق عن قلب مدينة اللوكسمبور. وقد بقي هذا البيت للسنوات الخمس التالية الوحيد الذي يتوسط مساحات مقفرة من الاراضي التي يكسوها الغبار.

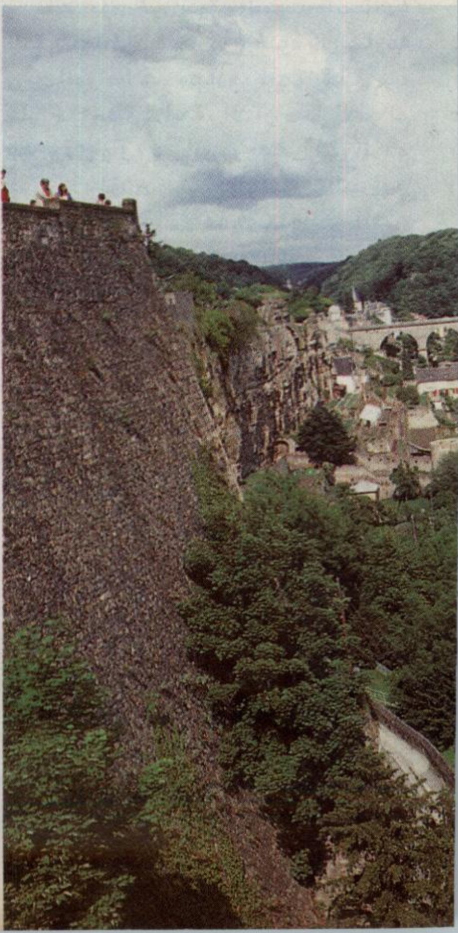

وتغيرت الايام وأصبحت جادة غليوم واجهة اللوكسمبور المزخرفة، وباتت جدرانها المتلاصقة ومنازلها الجميلة وابنيتها السكنية رمزاً للتغير المدهش الذي شهدته البلاد التي يبلغ عمرها ألف سنة. وتحيط باللوكسمبور فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية فتبدو مثل نقطة في بحر.

عاش بروسبر كايسر عمراً طويلا سمح له بأن يلقي نظرة خاطفة على مستقبل اللوكسمبور. وقد توفي عام ١٩٥٩ عن ٩٣ سنة. والمستقبل "خلف الباب" بالنسبة الى ماري مارغريت كايسر صغرى أولاده الاربعة (وهي خالة زوجتي) التي ما زالت تعيش في ذاك المنزل في جادة غليوم. وهي اخبرتني ان اناساً من ثماني جنسيات مختلفة على الاقل يعيشون في الشارع الذي تسكن فيه. وعرفتني اليهم، فهم مصرفيون باكستانيون وايطاليون ودنمركيون ومتقاعد من المانيا الغربية ومدرس فرنسي ومترجم بريطاني وديبلوماسي امريكي وسمسار يوناني. واللوكسمبور بالنسبة الى غالبيتهم هي الوطن، وليسوا أبداً في وارد الرحيل.

"ولم الرحيل؟" تتساءل ماري مارغريت، "وأي مكان أفضل من هذا المكان؟"

حقاً، اي مكان أفضل منه! فاللوكسمبور المزدهرة الهادئة تبدو مثل مدينة فاضلة بالنسبة الى أوروبي عاش زحمات السير واضرابات القطاعات الصناعية، في حين لم تشهد اللوكسمبور أي اضراب رئيسي منذ العام ١٩٤٢ عندما تظاهر الشعب بأسره أثناء

الاحتلال النازي احتجاجاً على تجنيد عشرة آلاف شاب في جيش هتلر. ولا تلاحظ حالة فقر ذات بال، كما لا تلاحظ أحياء سكنية بائسة. ولا ترزح البلاد تحت ديون خارجية، وتسجل فيها أدنى نسبة بطالة وأعلى دخل فردي بين الدول الاثنتي عشرة الاعضاء في المجموعة الاوروبية. وموازنة اللوكسمبور تكاد تكون دوماً مستقرة، والتضخم شبه معدوم. واذا أحصيت كلفة المعيشة في المدن الرئيسية الاثنتين والخمسين في العالم لحلت العاصمة اللوكسمبور في المرتبة السادسة والاربعين.

شعب يحب الحياة. كثيرون هم الاجانب الذين أفادوا من مزايا اللوكسمبور النادرة. وهناك منهم الآن ١١٠ آلاف نسمة اي نسبة ٢٩ في المئة من مجموع السكان، وهي أكبر نسبة للاجانب في أي من بلدان العالم. فقد قدم البرتغاليون والايطاليون للعمل في صناعة الحديد والفولاذ التي ترقى الى مئة سنة، وللمساهمة في النهضة العمرانية.

ووظفت الدول الاعضاء في المجموعة الاوروبية، واحدى عواصمها مدينة اللوكسمبور (١)، ٨٠٠٠ من مواطنيها لتسيير اشغالها. وأتى مصرفيون من اصقاع العالم وحولوا اللوكسمبور مركزاً مالياً عالمياً يحتل المرتبة الرابعة بعد نيويورك ولندن وزوريخ.

ونظراً الى أن غالبية سكان اللوكسمبور تتكلم الفرنسية والالمانية والانكليزية بالطلاقة التي تتكلم بها لغتها المحلية، فان من السهل أن يوهموا الاجانب بأنهم من سكان دولة اخرى مجاورة. لكن سكان اللوكسمبور لا يفكرون اطلاقا في هذا الامر، فميزتهم القروية تجعلهم أناساً محافظين مطبوعين بالاجتهاد والعناد. الا أنهم ودودون ومحبون للحياة، واكثر ما يظهرون ذلك في سوق القرية وفي الاحتفالات.

ذات يوم في سوق السبت الصباحية التقى مواطن يتذمر من أخدود في شارعه وزير المواصلات. وصادف انهما كانا معاً على مقاعد الدراسة، الا أنّ هذا الامر لم يكن بذي بال، لأن الوزير أصغى الى الكلام حول الاخدود، ودار حوار بين الطرفين تبعته مصافحة سريعة. وبعد ظهر اثنين حضرت فرقة عمل لاصلاح الاخدود.

قال لي رئيس الوزراء جاك سانتيه: "نحن على اي حال شعب ينتمي الى الطبقة الوسطى."

(١) العاصمتان الاخريان هما بروكسل (بلجيكا) وستراسبور (فرنسا).

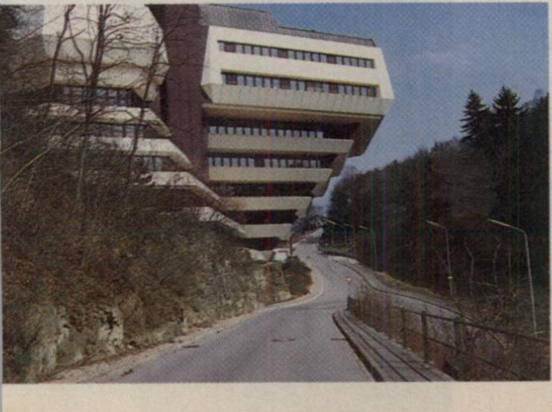

واللوكسبور التي يسكنها ٣٧٠ ألف نسمة هي آخر غراندوقية مستقلة عرفها التاريخ. ويمكن اجتياز اراضيها، بسلوك أطول الطرق، في ساعة من القيادة المتروية. ومساحتها البالغة ٢٦٠٠ كيلومتر مربع من التلال والمروج الخضر والغابات الكثيفة هي من آثار القرون الوسطى حينما كان الجزء الاكبر من أوروبا منقسماً اقطاعيات وامارات. أما "شهادة ميلادها" التي ما زالت محفوظة، فهي عبارة عن صك مقايضة وقّع عام ٩٦٣ وتملك بموجبه الكونت سيغفريد، من سلالة الآردين، مرتفعاً صخرياً وأرضاً تحوطه حيث شيّد قلعة على الصخر. ومع الوقت أصبح عالمه الصغير مدينة ثم دوقية عرفت باللوكسمبور. واكتسب أسياد اللوكسمبور لقب "دوق." ومكنهم نمو دوقيتهم وازدهارها من اداء دور كبير في أوروبا. وتوج أربعة منهم أباطرة على روما، وكان لها أنذاك أقوى عرش على الارض. واصبحت اللوكسمبور عام ١٨١٥ غراندوقية (٢) الا أن قلعة سيغفريد ظلت محط أطماع كثيرين. وحتى العام ١٨٣٩، عندما نالت اللوكسمبور استقلالها التام، كانت برغنديا واسبانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا طالبت بملكيتها أكثر من ٢٠ مرة.

(فوق) يوم السوق في ساحة غليوم.
تحت: مبنى البرلمان الاوروبي في كيركبرغ، المركز الاوروبي. (الى اليمين): البرلمان الاوروبي.

(٢) grand duchy أي دوقية كبرى.

Photos: Lawrence Elliott

وتقطعها وهاد عميقة وخليط من جدران الاسوار والابـراج وطرق ضيقة وملتوية مرصوفة بالحصى ومنازل مبنية على الطراز القوطي. ويمتد في الجانب الآخر للوادي سهـل كيركبـرغ حيث تقتلـع البطاطا من الحقول وتساق الى "المركز الاوروبي" الدائم الاتساع لأن المدينة أصبحت مركزاً للمصرف الاوروبي للاستثمار ومحكمة العدل الاوروبية ومبنى الامانة العامة للبـرلمـان الاوروبي بطبقـاتـه الاثنتين والعشرين.

وتقف في الناحية الثـانية للشـارع جماعـة من السيـاح يسكنها الامل، قبالة مدخل القصر الـغـرانـدوقي حيـث يقـوم جندي بالحراسة. انه بلا شك يوم سعدها، فها هي الابواب الخشبية الثقيلة تُفتح لتخرج منها سيارة "رولز رويس" وداخلها الغراندوق جان (٦٨ عاما) والغراندوقة جوزفين شارلوت، حاكما اللوكسمبور بالوراثة. واذ هما يحييان الجموع تلتقط لهما الصور فيبتسمان ثم تنطلق بهما السيارة. قالت ماري مارغريت بفخر: "انهما لطيفان جدا." وكانت لكزتني في ضلوعي لتتأكد من ألا يفوتني المشهد.

وهم الحياد. عام ١٨٦٧، بلغ النزاع بين فرنسا وبروسيا بسبب اللوكسمبور حد التهديد بالحرب. فتدخلت دول عدة لفض الخلاف بينهما. ويعتبر الحادي عشر من مايو (أيار)، أحد أهم الايام في تاريخ الامة، اذ وقّعت فيه ثماني دول

أما اليوم فان الغزاة يأتون في شكل سياح. والسياحة هي المرفق الاساسي في اللوكسمبور اذ يؤمها نحو مليون زائر في السنة لمشاهدة كنوزها من مدينـة اشترناك التي ترقى الى العصور الوسطى، الى قلعة فياندن التي بنيت في القرن العاشر في عمق غابة الاردين بعدما رممت وعادت اليها عظمتها وشموخها، فوادي موزيل بكرومه الممتدة على مسافة ٤٠ كيلومتراً.

وهناك دائماً حافلة للسيّاح تقف على المرتفع حيث كانت قلعة سيغفريد التي لم يعد شاهداً عليها سوى حجار حزينة غطاها العشب. الا أن المنظر لا يزال محافظاً على روعته.

ها هي المدينة القديمة وقد زاد عدد سكانها فبلغ ٧٧ ألفاً، تتوسط نهرين

أوروبية معاهدة دائمة تضمن حياد اللوكسمبور وبقاءها دولة مستقلة.

وخلال نصف القرن التالي صنعت هذه الامة الصغيرة لنفسها مكانة في العالم اعتمدت الى حد بعيد على ازدهار صناعة الحديد والفولاذ. وفي العامين ١٩١٤ و١٩٤٠ أنكرت ألمانيا ضمان احترام حياد الدولة المجاورة لها، وأرسلت جنودا عبر وادي موزيل لاحتلال البلد غير المحمي. فقاوم سكان اللوكسمبور الجنود الالمان بضراوة، وأعدم منهم مئات خلال الحرب العالمية الثانية بتهمة تحدي الالمان.

وبعدما استعادت اللوكسمبور عافيتها كما من مرض فتاك، افاقت من الوهم الذي صور لها الحياد ملاذاً من الاعتداءات. وعندما قام حلف شمال الاطلسي على اساس الدفاع المشترك بين اعضائه كانت اللوكسمبور بين الدول الاولى التي وقعته.

أصبح سكان اللوكسمبور، في الواقع، اصحاب التفكير الاكثر شمولية بين الحلفاء الغربيين. فقد كانوا اعضاء مؤسسين للامم المتحدة ومشاركين في مشروع "مارشال" الذي أحيا الاقتصاد الاوروبي المنهار بعد الحرب بواسطة أموال ومعدات من الولايات المتحدة وجهد شاق في الداخل. وفي العام ١٩٤٨ شكلت اللوكسمبور مع هولندا وبلجيكا اتحاد "البينيلوكس" (٣) القائم على الوحدة الجمركية، فكان بمثابة مثال ومختبر للمجموعة الاوروبية. وقد قدمت اللوكسمبور في أوائل الخمسينات مقراً لمجموعة الفحم والفولاذ الاوروبية في حين لم يكن احد واثقاً من نجاح مغامرة الاتحاد الاوروبي هذه. اما اليوم فإن اللوكسمبور تشارك في اكثر من ستين منظمة دولية تفوق حجمها بكثير.

ويقول رئيس الوزراء سانترز: "ليس في وسع دولة صغيرة ان تتيح لنفسها ترف العيش وهي مقوقعة." واضاف: "علينا ان ننفتح على الخارج، وفي اعتقادنا ان كل ما هو لمصلحة اوروبا هو ايضا لمصلحتنا."

وشعار اللوكسمبور هو: "نريد ان نبقى على ما نحن فيه." ولكن ما هم فيه الآن مغاير تماماً لما كانوه قبلا. فأكثر من ثلث المقاعد الدراسية في الابتدائيات يشغله اولاد الاجانب لأن نسبة الوفيات ظلت، خلال عقدين، تفوق نسبة الولادات. وتشكل نسبة الولادات التي تبلغ ١١ في الالف، كارثة في ذاتها وهي احدى النسب الاكثر انخفاضاً في العالم. ويرى غاستون تورن الذي كان سابقا رئيساً للوزراء ورئيساً للجنة الاوروبية ان "هذا الميل الى الانتحار الجماعي" هو مشكلة شعبه الاكثر خطورة لأن من شأنه ان يرجح امكان تحول سكان اللوكسمبور اقلية في بلادهم.

وعلى رغم ذلك، فقد ارست روح الوفاق التي تجلت على الصعيد الاجتماعي وفي علاقات العمل وفي السياسات، بنية اجتماعية صلبة.

حكمت اللوكسمبور، منذ الحرب، ائتلافات حزبية ولم يسجل اي نزاع حول التوجهات السياسية. ويطلق البعض على هذه الائتلافات عبارة "المثال اللوكسمبورجي." ويضيف وزير الخارجية

---

(٣) Benelux. والكلمة دمج للحروف الاولى من الأسماء الاجنبية للدول الثلاث.

جاك بور: "اعتدنا، كبلد صغير، العمل الجماعي وانجاح الحلول كما ان المصلحة الوطنية تأتي في طليعة اولوياتنا تليها المصالح السياسية."

عندما بدأت صناعة الفولاذ بالتراجع مرت روح الوفاق بامتحان صعب ولكنها نجحت في رد التحدي بفضل التعاون الذي تم بين ادارة شركة "اربيد"، وهي اكبر مصنع للفولاذ في اللوكسمبور وممثلين عن القوة العاملة في المصنع اضافة الى مندوبي الحكومة. وكان العمال اعلنوا الاضراب لكن غياب الاتحادات النقابية مكّن ادارة المعمل والحكومة من منح الموظفين تقاعداً مبكراً ومن استخدام آخرين في مشاريع اعمار ضمن الشركة وخارجها، وبذلك تم تفادي صرف العمال او الاتكال على اعانات الدولة. ويعمل في صناعة الفولاذ اليوم اقل من نصف الذين عملوا في المصانع قبل ١٥ سنة وكان عددهم ٢٧ الفا، الا ان شركات في قطاع الخدمات عوضت هذا النقص.

ويظل العمل المصرفي النشاط الاهم في اللوكسمبور، فتشكل مصارفها المئة والاربعون مجتمعة والتي استقر عدد كبير منها في أبنية فضية انيقة اصطفت على طول البولفار رويال، اكبر مستخدم (قرابة ٨٪ من القوة العاملة) واكبر دافع للضرائب. ويصل مجموع موجوداتها الى ٢٥٠ مليار دولار، اربعة اخماسها مصدرها الخارج. ويظهر التأثير المتفاوت لحركتها الناشطة في قطاع الفنادق الجديدة والوظائف والنهضة العمرانية.

كيف استقطبت اللوكسمبور هذه الثروات؟

عام ١٩٦٧ قرر مصرف درسدنر الالماني الغربي اللحاق بزبائنه المصدرين الى الخارج. وتبين له ان هناك اسباباً وجيهة تقضي بافتتاح فرع له في اللوكسمبور حيث لا تشكل اللغة اي عائق وحيث الحكومة مستقرة وقادرة والقوانين المصرفية مرنة. وقد لاقى هذا التفكير صدى ايجابياً فحذت حذوه مصارف اجنبية اخرى.

والاعمال المصرفية الخاصة ليست سوى جزء من المهنة. فهنالك الاستثمارات والقروض الدولية والودائع المشتركة والسندات المالية. وقد امنت الحكومة الاجواء الملائمة للعمل المصرفي: قوانين صارمة حول السرية المصرفية وعدم فرض احتياطات نقدية خانقة على المصارف وعدم سن ضرائب مرتفعة فضلا عن اعفاء ارباح الاستثمارات من الضرائب. انها اللوكسمبور، الجنة الصغيرة.

لورنس اليوت ■

قال أحدهم لصديقه:
"ان كتاب عمر الاخير رائع حقاً."
- ولكنك قلت لي أنه لم يعجبك!
"لأنني لم اكن قرأت آراء النقاد بعد."

أ.ل.

قصة قصيرة

الدبّ الهلالي

حازت هذه القصة جائزة "حكايات الطبيعة"
وهي مهداة الى حيوان مهدد بالانقراض في ايطاليا

عاش مينيكو وهو طفل مع والديه في كوخ محجوب بالاشجار عند سفح جبل ميلا. هناك تمتع بحياة حرة سعيدة مع الحيوانات البرية كأصدقاء ومع الطبيعة البكر كساحة خلفية للكوخ. علمه أبوه، حارس الصيد، أن ليس ثمة حيوان "شرير": بعض الحيوانات يهاجم الناس، ولكن اذا ما كان جائعاً فحسب. لذلك لم يخف مينيكو عندما لمح ذات يوم مجموعة من الدببة في قيلولة عند حافة جدول على بعد خطوات منه. الدبان الصغيران كانا يتقلبان على العشب في عراك مجوني أمام عيني أمهما المتغاضيتين. اختبأ مينيكو وراء عليقة لانه كان يعلم أن الام سريعة الانفعال لدى رؤية شيء غير مألوف.

عندما همّت الدببة أخيراً بالرحيل تبعها مينيكو متخفياً واكتشف وجرها. وكثيراً مّا عاد الى هناك ليراقبها. عرف كيف تقود الام جرويها الى مكان وجدت

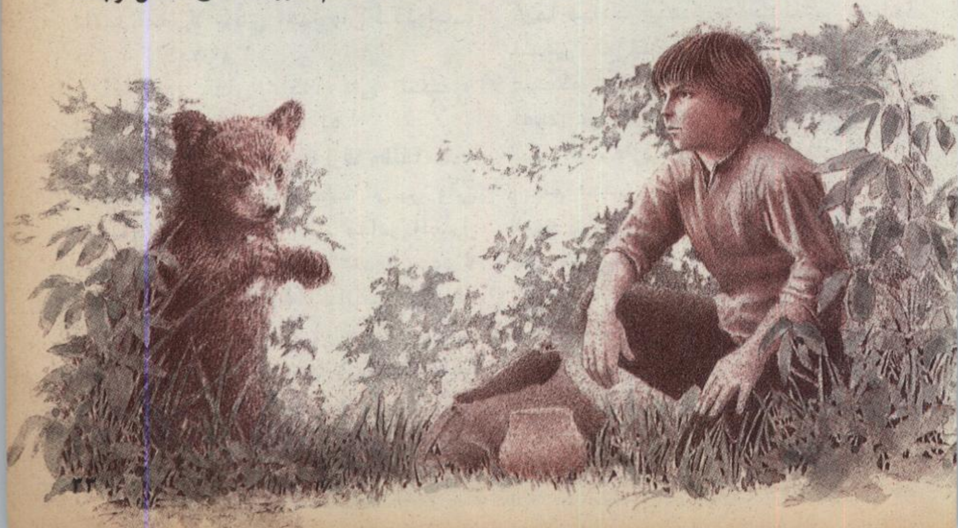

فيه طعاماً وفيراً: قرص شهد بعسل بري أو شجيرة ريانة البراعم أو حجراً تتجمع تحته ديدان كبيرة.

أحب مينيكو، أكثر ما أحب، الجرو ذا الرقعة الهلالية على صدره. هذا الجرو كان الاكثر مجوناً، يسره أن يركب ظهر امه حين تكون ممددة مستكنة. وعندما تتأهب أمه لقصاصه على ذنب اقترفه يميل برأسه الى احدى كتفيه ويغطي عينيه بكفه مسترئفاً.

في هذا الوضع كان هزلياً الى حد أن مينيكو كاد يعجز عن كبت ضحكه.

في مدرسة القرية تعلّم مينيكو أشياء كثيرة. ميز على الخريطة الجبل حيث يسكن، واكتشف ان بلاده ايطاليا يحكمها ملك. وهكذا تملكه الانفعال عندما أعلن ابوه أن ابن الملك سيتسلق الجبل في اليوم التالي. لكنه عندما عرف أن سبب الزيارة صيد دببة ورأى والده يجلو بنادقه أحسّ غصة في حلقه. سأل والده: "لماذا يريد الامير قتل الدببة، فأنت تخبرني دائماً أنها لا تؤذي احداً وان الحيوانات جديرة بالاحترام."

أما أبوه فكان عاكفاً على التحضير للزيارة، ولا وقت عنده له.

تلك الليلة ظل مينيكو أرقاً وقلقاً، همه كيف ينقذ الدببة من بندقية الامير. وفي الصباح التالي بينما كان يغادر المنزل الى المدرسة حذره أبوه: "عندما تعود لا تسلك طريق الغابة، فالصيادون قد يخطئون فيصطادونك. خذ الطريق الطويلة وانتظر في متجر روزولينو. سآتي واصطحبك عندما ينتهي الصيد."

ليلة في الغابة

اذ توارى مينيكو انحرف عن الطريق وتوجه نحو وجار الدببة. كان يخبىء في محفظة كتبه كرة مطاطية واناءين من العسل. اضطجع قرب الوجر ينتظر. حان وقت الاكل وتحركت الدببة متثاقلة نحو الطريق الرئيسية التي سيسلكها الامير وصحبه. وفي صعودها مرت بمينيكو صفاً واحداً. وكالعادة، كان الدب الصغير الهلالي الماكر في مؤخر الصف.

عندما مر الجرو قذف مينيكو الكرة بين قوائمه. وقف الهلالي وشم هذا الشيء غير المألوف. واذ تدحرجت الكرة على المنحدر تبعها مسروراً باللعبة الجديدة. تبعه مينيكو مغتبطاً لانه فصل الهلالي عن البقية. فجأة اختفت الكرة في وهدة. حينذاك رأى الهلالي مينيكو.

وقف الصبي والدب الصغير لحظة يحدق كلاهما الى الآخر، ثم أخرج مينيكو اناء العسل بحذر من محفظة كتبه وفتحه وقدمه الى الهلالي. التهم الدب العسل فيما مينيكو يكلمه بصوت ناعم. وعندما انتهى رفع خطمه كأنما يريد مزيداً. لكن مينيكو لوّح بالاناء الباقي ليقود الدب بعيداً عن الصيادين. توجه نحو قمة الجبل آملا ألا يجازف الامير الى ذلك الحد.

لم تمض على تسلقهما ساعة حتى سُمع وابل من الطلقات النارية. وقف مينيكو مغموماً، وأكل الدب العسل في الاناء الثاني غير دار أنه بات يتيماً. ركض مينيكو صعوداً في الجبل وهو على شفير البكاء. وتبعه الدب الهلالي آملا المزيد من العسل. بدأت الاشجار تخف

Condensed from «Menico e L'orso Mezzaluna» by Armanda Capeder from NATURE TALES by Armanda Capeder and Marisa Rusconi, copyright © 1987 by Gruppo La Giraffa, published by Gruppo La Giraffa, Milan. Illustrations: Remo Berselli

تدريجاً، فوقف مينيكو متحاشياً أن يدرك في العراء. اضطجع على صخرة كبيرة دافئة بنور الشمس وغفا.

حين استيقظ مينيكو كانت الشمس تغيب والظلال تتطاول على الطحلب الناعم. تملكه الخوف عندما فكر في والديه المغمومين اللذين اذا لم يجداه في متجر روزولينو راودتهما كل الافكار المخيفة. لم يشأ أن ينطلق وسط الغابات في الظلام ويتعرض للسقوط في الوهاد. فتش عن الهلالي، لكن الدب كان اختفى.

اكتشف مينيكو أن الصخرة كانت طنفاً فوق كهف صغير. أسرع الى الداخل لانه كان خدراً من البرد. والشعور بفراغ معدته زاد كربه.

وغلبه النعاس. فحلم أن عائلة الدببة واقعة في بركة كبيرة من الدم وأعينها تحدق اليه وملؤها اللوم لانه أخفق في انقاذها. لكن كابوسه تحول بعدئذ شعوراً حاراً بالخير اذ حلم أخيراً أنه في فراشه تحت لحاف ناعم وأمه تدلله وتبتسم.

ولما فتح عينيه رأى نور الصباح الذهبي. ثم أحس شيئاً ناعماً دافئاً مضطجعاً الى جانبه. انه اليتيم الهلالي. تملك الصبي شعور بالحنو العميق ممزوج بالفخر لانقاذه صديقه وبالشفقة على مصيره.

نظر الصبي والدب كل الى الاخر، ومينيكو موقن أن الدب كان يبتسم. زحفا من الملجأ الموقت ونزلا على المنحدر معاً. وفي منتصف الطريق حرن الدب رافضاً الذهاب الى أبعد. أما مينيكو فتابع نزوله الى أسفل الجبل وحده.

قرص عسل

مرت سنوات. وكبر مينيكو وأصبح حطاباً. ثم تزوج وأدار منشرة ورثتها زوجته. ورزقا ثلاثة أولاد توجهوا عندما كبروا الى المدينة. ثم توفيت زوجة مينيكو فبات وحيداً.

احتاج الى مبلغ من المال ليساعد بنيه، فباع المنشرة وتقاعد في الكوخ الصغير في الغابة حيث ترعرع. وبين الفينة والفينة كان بنوه يأتون لزيارته. وكان حارس صيد جديد يعيش في جواره، وقد اهتم بتأمين حاجات مينيكو.

بعد صدور قرار رسمي، لم تعد ثمة حفلات صيد في الغابة. ولكن ظل هناك لصوص ينتهكون حرمة الارض، لكن حارس الغابة كان لهم بالمرصاد.

وذات يوم من أيام الشتاء الباردة تطلّع مينيكو من نافذة المطبخ فشاهد دباً ضخماً يبحث عن شيء يأكله. حينذاك استدار الدب فعرفه مينيكو من الرقعة البيضاء على صدره البني. واذ لم يستطع ضبط عواطفه فتح النافذة ونادى بنعومة: "أيها الهلالي، أهذا أنت حقاً؟ لامر مدهش أن أراك ثانية!"

دار الدب مهمهماً وخطا بضع خطوات نحو مينيكو ثم وقف ساكناً. وفجأة أدى تلك الحركة الهزلية التي يتذكرها مينيكو جيداً: حنى رأسه وستر عينيه كمن يفتش في ذهنه عن ذكريات منسية.

التقط الرجل العجوز قصعة وسكب فيها حساء البطاطا الذي كان هيأه لنفسه. أترى الهلالي عرفه حقاً بعد كل هذه السنين؟

كان مينيكو موقناً أنه عرفه، لانه قبل

أن يغطس خطمه في القصعة نظر اليه وفي عينيه بريق.

منذ ذلك اليوم كان الدب يرجع ليقتات في المنطقة المحيطة بكوخ مينيكو. وكان دائماً يجد بعض الطعام في انتظاره. لكن مينيكو احتفظ بسره. أما حارس الصيد فدهش اذ لاحظ أن شهية مينيكو ازدادت، خصوصاً في الشتاء عندما كان يطلب ضعفي الطعام الذي اعتاد أن يأكله أو ثلاثة أضعافه.

بعد سنتين حل شتاء مخيف طمر كل شيء تحت ثلج عميق. ولبضعة أيام لم يتمكن حارس الصيد من الحضور الى كوخ مينيكو، لكنه كان يعلم أن حجرة المؤونة لدى الرجل العجوز كانت مجهزة جيداً.

وأثناء موجة البرد الطويلة مرض مينيكو. وأصيب بحمى وبسعال حاد رافقه ألم عظيم في صدره وظهره. في الايام القليلة الاولى تدبر أن يصنع بنفسه طعاماً قليلا. لكنه بعد ذلك وجد صعوبة في الخروج من الفراش. وبعد ظهر ذات يوم غفا بعض الوقت ثم استيقظ على ضجيج عند الباب. فاستجمع ما تبقى من قوة لديه وتوجه نحو الباب فاذا بالهلالي أمامه. أومأ اليه مينيكو بالدخول، ثم عاد الى فراشه مضنى ونام.

استيقظ مينيكو وقد شعر بثقل على الغطاء. واذ فتح عينيه لمح الهلالي منتصباً عند قائمة السرير. ثم خفض نظره فرأى قرص شهد مملوءاً عسلا في متناوله. فأدرك فجأة أن الهلالي جلبه. أما كيف عثر على هذا الكنز تحت البساط الثلجي، وكيف قاوم الاغراء فلم يزدرده، فذلك ظل سراً غامضاً.

ساير مينيكو صديقه فغمس اصبعه في قرص الشهد ولعقها. ولكن حتى هذا العمل البسيط كان مضنياً، فخارت قوته وعاد الى سابق حاله من السبات.

في اليوم التالي توقف سقوط الثلج، وطلعت الشمس تنير الغابة. وعند هبوط الظلام ذهب حارس الصيد الى كوخ مينيكو حاملا بعض الطعام. ولما وصل لاحظ أن لا دخان يخرج من المدخنة، وان أمام الباب المفتوح على مصراعيه آثار أكفّ دب بلغت داخل الكوخ.

ارتعب حارس الصيد وتطلع حوله فرأى مشهداً غريباً:

في الاشعة البراقة للشمس الغاربة لمح جسمين يسيران نحو الافق، أحدهما يشبه مينيكو العجوز والآخر يشبه دباً ضخماً يتحرك متثاقلا. نظر حارس الصيد شزراً: هل ما يراه حقيقة أم خداع بصر؟ أما الجسمان البعيدان فصارا شفافين كأنما هما مغلفان ببخار لماع، ثم تواريا معاً يكتنفهما شعاع من نور.

أرماندا كابدير ■

والد "متفوق"

قال طفل لابيه وهو يراجع معه كتاب التاريخ: "بالطبع كنت متفوقاً في "التاريخ" فقد عايشت معظمه."

هـ.ي.

من أجل إنجاب أطفال أصحّاء

نصائح مفيدة وحاسمة لكل زوجين يخططان للانجاب تقدمها عيادة خاصة بشؤون الابوة والامومة

كانت جين في الثامنة والثلاثين من عمرها عندما تزوجت ريتشارد الذي كان في الاربعين. وكانت تتوق الى أنجاب طفلٍ لكنها خشيت أن تنجب في سنّها طفلاً مصاباً بداء "داون" (١).

والاطفال المصابون بهذا الداء متخلفون عقلياً بدرجات متفاوتة. ويمكن تشخيص حالهم عند الولادة استناداً الى علامات مميزّة: عينين مائلتين وقصبة أنف عريضة وأطراف رخوة مترهلة. ويرافق هذه الاعراض احياناً اختلال في القلب والامعاء. أما السبب فهو خلل في الكروموزوم (٢) ومن العناصر المؤثرة فيه سنّ الأم. من هنا كانت خشية جين وقلقها.

---

(١) Down's syndrome

(٢) الكروموزوم أو الصبغي جزء من كتلة في نواة الخلية تحمل الخصائص الوراثية.

Photo: Westlight/ lee White

وهو قلق يشاطرها فيه عدد كبير من النساء اللواتي يخططن للامومة بعد السن الرابعة والثلاثين. وهن غالباً نسوة توانين عن الانجاب ريثما تستتب أعمالهن وتتوطد أوضاعهن المهنية. ولكن كلما طال التأخير ارتفع احتمال انجابهن أطفالاً مصابين بداء "داون." فالخطر بالنسبة الى امرأة جاوزت الاربعين هو واحد في المئة، ويرتفع الى واحد في الخمسة والستين عندما تكون المرأة في الخامسة والاربعين من عمرها.

اختبار الوقت. بالنسبة الى جين، لم يتعدَّ الخطر الواحد في الثلاثمئة، وهو احتمال جعلها وزوجها ريتشارد يمضيان قدماً في فكرة الانجاب. وهي علمت أنها ستخضع في الاسبوع السادس عشر من الحمل لفحص نخطي (٣) تؤخذ فيه عيّنة من السائل الذي يملأ السلى ويحيط بالجنين. ومن الخلايا التي يطرحها الجنين في هذا السائل يمكن تعيين نمط الكروموزوم. وكم كانت فرحة جين عظيمة عندما جاءت نتيجة الفحص طبيعية. وهي انجبت في الأوان الطبيعي صبياً سليماً معافى.

تؤكد تجربة جين الحاجة الملحّة الى نصائح متصلة بالحمل. ومن شأن تلك النصائح إما طمأنة النساء الساعيات الى الامومة وإما تحذيرهن من عواقب محتملة. وبحسب العرف المتبع، لا تبدأ العناية الطبيّة بالنساء المقبلات على الامومة إلا عندما تبدأ الحامل التردد على عيادة التوليد، وهي لا تفعل ذلك إلا بعد عشرة أسابيع أو ١٢ أسبوعاً من بدء الحمل. وهو وقت متأخر جداً، إذ يكون الشذوذ الخلقي ترسّخ وقضي الأمر.

ما يهمني هو درس الخطوات التي يمكن اتخاذها قبل الحمل للحدّ من مصادر الخطر الفعلي في الولادة.

في العام ١٩٧٨ أنشأتُ احدى أولى عيادات الحمل داخل المستشفيات في العالم، وكانت في البدء في "مستشفى الملكة شارلوت" في غرب لندن وهي حالياً في "مستشفى سانت جورج" في جنوب لندن. والهدف منها تهيئة الوالدين، نفسياً وجسدياً، للانجاب. وتشمل خدماتها تربية صحية وخدمات طبيّة لمعالجة المشكلات المحددة.

عزمتُ منذ البدء على استقبال الزوجين مجتمعين، لأن وجودهما معاً يساعد في الحؤول دون بعض الالتباسات ولا يترك مجالاً لاحدهما ليلقي باللوم على الآخر.

صحّة الزوجة مصدر قلق شائع بين الازواج. فهي قد تشكو من مرض في القلب أو الكليتين أو من صرع أو من داء السكري. كانت ماري، مثلاً، مصابة بتقرح في القولون (٤) وتعالج بالكورتيزون ومشتقاته وعقاقير قامعة أخرى. وكما جرت العادة عندما يتضمن العلاج أدوية ربما أثّرت في الجنين، عمدنا الى استشارة الطبيب الاختصاصي الذي وافق على خفض كميّة الكورتيزون وإلغاء جميع العقاقير الأخرى في فترة محاولة الحمل التي لم تطل أكثر من شهرين.

إلا أن حال ماري ساءت بعد أربعة

---

(٣) Amniocentesis

(٤) Ulcerative colitis

أشهر من الحمل. واضطرت الى معاودة تناول العقاقير، ولكن بعدما كانت جميع أجهزة الجنين وأعضاؤه اكتملت وأصبحت في منأى من التشوه الذي قد تحدثه العقاقير. وبعد حمل طبيعي أنجبت صبياً.

قد تظهر الفحوص التي تطلبها العيادة حالات في الدم تستدعي علاجاً خاصاً. فمشكلة اختلاف فئتي الدم، مثلاً، قد تعترض أي زوجين فيما داء الخلايا المنجليّة (٥) متفشٍ بكثرة بين الجماعات العرقية الآتية من افريقيا وجزر الكاريبي. وإذا حمل كلا الزوجين هذا الخلل في كريات الدم الحمراء فإن احتمال انجابهما طفلاً يعاني اختلالاً خطيراً في الدم هو واحد من أربعة.

عنصر خطر تكتسب الاستشارات في موضوع الوراثة أهمية متنامية في العناية بالمرأة الحامل. ففي ضوء معلومات يجمعها الاختصاصي بعلم الوراثة حول التاريخ الطبي لعائلتي الزوجين وصولاً الى أجدادهما، يصبح في الإمكان تنبيه الأزواج المعرّضين لانجاب أطفال معتلّين الى الاخطار المحتملة التي قد يواجهونها، مثل الشق الخلقي في سقف الحلق والتليّف الكييسي (٦).

والخطر الذي يواجهه بعض الأزواج كبير الى حد أنهم يؤثرون عدم الانجاب ويلجأون الى وسائل حاسمة لمنع الحمل قد تصل الى التعقيم. ولا شك في أن ذلك قرار مفجع، لكن الزوجين في هذه الحال أعطيا على الاقل فرصة لدرس الاحتمالات وأخذ القرار المناسب. ولو اختارا المضي في الحمل، لعلما لاحقاً من فحص ما قبل الولادة أن الجنين مشوّه جداً ولكان خيارهما إما انجاب طفل معاق جداً واما اسقاط الجنين، وهذا حلّ غير مقبول لدى فئات كبيرة من الناس.

تفكير متقدم العاهة الاشدّ إيلاماً هي تلك التي يمكن تجنبّها. وهذا ما حصل مع دينا وهي مدرّسة شابة في روضة أطفال. وكانت بحكم عملها تحتك دائماً بأطفال مصابين بالحصبة الالمانية، لذلك نُصحت بأن تأخذ لقاحاً يكسبها مناعة ضد هذا المرض قبل أن تفكّر في الانجاب. لكنها لم تأخذ بالنصيحة. وحملت في سنة دراسية أصيب خلالها معظم تلاميذها بالحصبة الالمانية. وكان أن أنجبت طفلاً أصمّ.

ان السن المثالية للانجاب هي بين العشرين والخامسة والثلاثين. واستعداداً للحدث وللمحافظة على اللياقة البدنية، على الأزواج المقبلين على الانجاب أن يمارسوا تمارين رياضية منتظمة مثل المشي والركض والسباحة وكرة المضرب.

وقبل كل شيء آخر عليهم أن يختاروا طعامهم بعناية، وليس كما فعلت هيلين التي راحت تتناول ليتراً من الحليب يومياً لأنه "يحتوي على الكلسيوم وكثير من الفيتامين." وتساءلت بعد ذلك لماذا ازداد وزنها ثلاثة كيلوغرامات. وفي عيادة الحمل قيل لها ان قطعة من الجبنة تمدّها بكل ما تحتاج اليه من الكلسيوم. فتوقفت عن تناول الحليب وعاد وزنها طبيعياً قبل أن تحمل.

---

(٥) Sickle cell disease

(٦) Cleft palate; cystic fibrosis

ويجب أن تتضمن الحمية المغذية، قبل الحمل وخلاله، مقداراً كافياً من البروتيين الذي توفره شرحة لحم أو سمك تتناولها الحامل يومياً، اضافة الى الطعام الخشن (٧) والفيتامينات المتوافرة في الفاكهة والخضر. وعليها أن تقلل من تناول الطعام الدسم والغني بالنشاء لأنه لا يساعد في نمو الطفل بل يكسو جسد الام بالشحم.

اهتمام واجب. هناك أدلة واضحة على أن التدخين يقلل من خصب المرأة والرجل. ولقد تبيّن أن نسبة الاصابة بخلل في السائل المنوي هي أعلى بين الرجال المدخنين. واحتمال ولادة أطفال دون الوزن الطبيعي أعلى بين النساء المدخنات. وقد لا يسترد هؤلاء المواليد ما خسروه جسدياً وعقلياً، كما أظهرت إحدى الدراسات الحديثة.

وتبيّن من مقارنة عشرة آلاف طفل في السن السابعة والسن الحادية عشرة، أن المولودين لامهات مدخّنات هم دون أترابهم مهارة عامة وقدرة حسابية وفهماً للقراءة. كما أنهم أقصر قامة.

وتعاطي الكحول بكثرة في فترة الحمل الباكرة يترك أثراً ضاراً جداً في طول قامة الطفل ووزنه، وقد ينتج منه خلل في القلب أو شلل دماغي او تخلف عقلي. وتكون الحالة مأسوية أكثر عندما تسترسل المرأة في حياة من السهر والشرب غير عالمة أنها حامل، ولا يتأكد حملها إلا بعد فوات الاوان حين يكون الضرر حصل ولا يمكن إصلاحه.

ولقد أظهرت دراسة حديثة تناولت ٣٢ ألف حامل أن نسبة الاسقاط بين الشهرين الثالث والسادس تتضاعف لدى النساء اللواتي يتناولن كأسين من الشراب الكحولي يومياً، وتصبح ثلاثة أضعاف لدى من يتجاوزن هذا المقدار. ان التدبير المأمون في الفترة الباكرة من الحمل هو عدم تناول الكحول على الاطلاق.

وتناول الكحول، مثل التدخين، قد يلحق بالسائل المنوي أذى بالغاً يمكن الحدّ منه إذا امتنع الرجل عن التدخين والشرب. فان "البذرة" السليمة غير المتأثرة بالنيكوتين والكحول تتمتع بحظ أفضل في الاخصاب المثمر.

المرأة العاملة. شهد العقد الماضي تغيراً كبيراً في الموقف من الامومة. فعدد كبير من النساء الحوامل اليوم يعملن خارج المنزل ويتابعن عملهنّ الى آخر الحمل، الى الاسبوع الثامن والثلاثين أحياناً.

على المرأة العاملة المقبلة على الامومة أن تدرس الطرق الفضلى للتخفيف من الاجهاد، لان ذلك يؤثر في تدفق الدم الى المشيمة ويقلل كمية المغذيات والاوكسيجين التي يتلقاها الجنين. فاذا كان عليها، مثلاً، أن تركب قطاراً مكتظاً كوسيلة للانتقال الى مكان عملها، فيجدر بها أن تعيد تنظيم أوقات عملها على نحو يجنبّها ساعات الازدحام الخانق. بعض النساء يحققن ذلك بالانتقال الى أعمال تتسم أوقاتها

(٧) Roughage. وهو طعام يثير بخشونته التمعج اللاإرادي في جدران الامعاء، مثل النخالة وقشور الفواكه الغنية بالسلولوز.

بالمرونة. واحدى معارفي ضحّت بجزء من دخلها السنوي لتنتقل الى وظيفة قريبة من منزلها.

ان في وسع أي زوجين يسعيان الى الانجاب الحصول على مشورة في كل المستويات. وإذا رغب الزوجان في معرفة تأثير الحمل في مشكلة طبّية موجودة، أو تأثير المشكلة نفسها في الجنين، فيمكن تحويلهما الى إختصاصي بطب التوليد لأخذ رأيه في الموضوع.

مثالياً، يبدأ التحضير للابوة والامومة في المدرسة كجزء من الدراسة لتعليم أصول الحياة الصحيّة. وانني على يقين أنه عندما تصبح العناية بالحامل ذات قيمة معترف بها عالمياً، فإن تأثيرها في خفض الخسارة الناجمة عن الاسقاط والوفاة الباكرة سيضاهي التأثير الايجابي الذي أحدثته في الماضي فورة العناية بالطفل وبالأم بعد الولادة.

ومعنى ذلك أبوة وأمومة أسعد وأطفال أفضل وأقوى.

البروفسور جيفري شامبرلين■

التحدي محك الرجال

يعتبر الممثل الهزلي دايفد برنر الحياة مغامرة كبرى. ويتذكر: عندما خدمت في الجيش كنت اسافر الى كل بلدان اوروبا من مركزي في شتوتغارت بالمانيا الغربية. وذات صباح، بعد ان ابتعت تذكرة سفر بالقطار الى روما، شاهدت القطار ينطلق من الطرف الآخر للمحطة فعدوت خلفه. وكان يقف على منصة الحافلة الاخيرة فيه رجل أومأ الي أن اناوله حقيبتي، ففعلت.

لكن القطار اخذ يتسارع فيما الارهاق أخذ مني كل مأخذ. فنظرت الى الرجل وشاهدت على وجهه بسمة متكلّفة. فلسوف يحصل على مقتنيات جديدة في حال عجزي عن اللحاق بالقطار. لذا بذلت قصارى جهدي حتى امسكت بالدرابزون ورفعت جسمي فوق الدرجة السفلى. آه، لقد فزت!

احيانا يكون عدم ايمان الغير بك حافزاً لك على بلوغ هدفك.

أ.هـ.

اغراء منعش

كنت اتدرب على الادارة في مخزن لبيع السمانة وكان عملي ينطوي جزئيا على مراقبة ثلاجات الاطعمة المجلدة والبحث فيها عن سلع يتركها الزبائن خلفهم. ومرة شاهدت امرأة تروح وتجيء منحنية فوق برّاد البوظة (الجيلاتي)، ثم تسترق النظر يساراً ويميناً فترمي بشيء ما داخل البراد ثم تسحب منه علبتين كبيرتين من البوظة وتغادر المكان بسرعة. فقصدت لاخرج ما رمته، فوجدت مكان العلبتين ظرفين من الهُلام (الجيلاتين) المنخفض الوحدات الحرارية ومجلة متخصصة في الحميات الغذائية.

ب.ث.م.

لقية قيِّمة جمعت رجلين نبيلين

الحقيبة المسروقة

تاداتويو ياماموتو نائب رئيس الفرع الياباني لشركة "ايتون"، ومركزه طوكيو. لكنه، من وقت الى آخر، يزور الولايات المتحدة.

في رحلة الى شيكاغو حجز في فندق "دريك". وبينما هو في ردهة الاستقبال ينتظر في الصف لتسجيل اسمه وضع حقيبته على الارض. واذ تحرك الصف الى الامام مد يده لأخذ الحقيبة، فلم يجدها. كان داخلها ١٢٠ ألف ين وجواز سفره وبطاقات اعتماد وتذكرة سفر للعودة وصور لعائلته.

ارتعب ياماموتو وأبلغ الامر الى رجال أمن الفندق، ففتشوا عن الحقيبة لكنهم لم يعثروا على أثر لها. واستنتج ياماموتو على مضض أن أحداً سرقها. وبمساعدة شركته والقنصلية اليابانية في شيكاغو تمكن من العودة الى طوكيو.

بعد ثلاثة أسابيع من عودة ياماموتو الى اليابان جاءه البريد بظرف ضم بطاقات الاعتماد وتذكرة السفر وسواها من الاغراض الشخصية. وأظهر العنوان أن المرسل هو السيد جوزف لوفيراس من شيكاغو. ولم يكن ضمن الغلاف أي رسالة.

بعد وقت غير طويل تلقى ياماموتو غلافاً آخر من جوزف لوفيراس مرسلاً في

© 1989 by Bod Greene. Condensed from Esquire (March '89), New York, N.Y.
Illustrations: Lynn Cutler

البريد العاجل، وداخله حوالة مالية بقيمة ٩٠٠ دولار أمريكي. وهذه المرة تضمّن الغلاف رسالة خطية هذا نصها:

عزيزي السيد تاداتويو ياماموتو،

آمل أن تعيد هذه الحوالة المالية والاغراض المرسلة على حدة ثقتك بشعب شيكاغو.

جوزف ج. لوفيراس

وقع ياماموتو في حيرة. ماذا حدث لحقيبته؟ من هو جوزف لوفيراس؟

كتب الرسالة الجوابية الاتية:

عزيزي السيد لوفيراس،

تسلمت الحوالة المالية التي بعثت بها. أشكر لك مروءتك، واني لتواق جداً لاعرف من أنت. هل لك علاقة بدائرة الشرطة أم انك محب للخير؟

في المرة التالية حين سافر فيها ياماموتو الى الولايات المتحدة اتصل بجوزف لوفيراس هاتفياً. علم أنه جندي متقاعد في السادسة والستين من عمره يسكن غرفة واحدة في فندق متواضع.

شرح له لوفيراس أنه كان يتمشى في موقف للسيارات يتفحص صناديق النفايات حين وجد الحقيبة. أما المال وتذكرة السفر فكانا في مكان ما من الحقيبة لم يكتشفه اللصوص لسبب من الاسباب.

أخذ لوفيراس الحقيبة الى غرفته. كان اسم ياماموتو وعنوانه ظاهرين على البطاقة الملصقة عليها. أما الحقيبة ذاتها فكانت مهشمة جداً بحيث تعذر ارسالها الى اليابان. وأعاد لوفيراس في البريد تذكرة السفر والاغراض الشخصية الاخرى، ثم ذهب الى المصرف طالباً ابدال الينّات بحوالة مالية، ودفع من ماله الخاص رسوم الصرف وأجرة البريد ليرسل الحوالة الى ياماموتو.

أدرك ياماموتو أن المبلغ الذي قارب ألف دولار بدا ضخماً بالنسبة الى لوفيراس. لكن هذا أخبره أنه رجل متديّن وأن ضميره لا يسمح له بالاحتفاظ بمال لا يخصه.

كان ياماموتو مقيماً في فندق "دريك" فدعا لوفيراس الى طعام غداء. وعندما بدا لوفيراس متضايقاً من الدعوة أدرك ياماموتو أنه قد لا يشعر بالراحة في مكان فاخر كهذا. التقيا في مقهى وتحدثا نحو ساعة. حاول ياماموتو أن يعطيه مكافأة، فتردد لوفيراس، لكنه قبلها أخيراً. وأخبرني ياماموتو لاحقا: "لا أذكر أني التقيت في حياتي شخصا نقياً مثله."

اتصلت بجوزف لوفيراس والتقينا على طعام الفطور في مطعم شعبي. كان خجولاً هادئاً ثقيل السمع، وكان علي أن أتكلم بصوت مرتفع ليتمكن من فهمي. قال ان الفكرة الاولى التي راودته عندما فتح الحقيبة ووجد المال كانت: "هذا لا يخصني." عرف أن ليس من الحكمة ارسال المال في البريد، فتوجه الى مصرف "فيرست نشونال بنك أوف شيكاغو" الذي يبعد قرابة خمسة كيلومترات عن فندقه.

قال لوفيراس: "لم أكن أعرف كيف أحصل على حوالة مالية، لكن موظفي المصرف ساعدوني." الصرف والحوالة كلفاه ستة عشر دولاراً، ثم دفع ثمانية عشر دولاراً أجرة البريد العاجل الى اليابان.

دخل جوزف لوفيراس الشهري ٥٠٦ دولارات: ٢٣٥ دولاراً من ادارة الجنود المتقاعدين و٢٧١ دولاراً من صندوق ضمان الشيخوخة. ايجار غرفته الشهري ٢٦٥ دولاراً. وهو أوضح: "أنا لا آكل في مطعم، أطبخ غالباً معكرونة في غرفتي."

أخبرني لوفيراس أنه ولد في بورتوريكو وأن والدته قضت في حادث سيارة عندما كان هو طفلاً. وقد ربي في ميتم، بل في خمسة مياتم. وفي السن العشرين التحق بالجيش. وبعد الحرب العالمية الثانية مر بأوقات عصيبة. تزوج، لكنه ما لبث أن طلق. له ابن يجب أن يكون الآن في الثامنة والثلاثين من عمره، لكنه قال انه أضاع أثره.

اتهمه بعض معارفه بالغباء لأنه رد المال. أما هو فيقول: "لا أظن أنني كنت غبيا، المال يخص ذلك الرجل ولا يخصني."

ولما سألته عن دعوة ياماموتو اياه الى الغداء في فندق "دريك" أجاب: "شعرت بأنني سأكون في غير محلي في مكان ظريف كهذا." ثم اضاف: "أنا لا أملك بذلة."

سألته لماذا كان يفتش في صناديق النفايات. أجاب انه كان يبحث عن علب من الالمنيوم يبيع كل واحدة منها بنصف سنت ويقدم المبلغ الى "صندوق الاطفال."

قال: "أتعلم أنك بسبعين سنتاً تستطيع اغاثة طفل محتاج؟"

في رحلة ياماموتو التالية الى الولايات المتحدة قصد فندق لوفيراس. وكان هذا خارجه فترك له ياماموتو رسالة. تلك الليلة اتصل به لوفيراس.

قال ياماموتو: "تحدثنا قرابة عشرين دقيقة، وأخبرته أنني كل مرة آتي الى الولايات المتحدة أود أن أتفقده.

"وسألته ثانية لماذا تحمّل كل ذاك الازعاج ليعيد الي كل شيء؟ فأبلغني أنه لو لم يفعل ذلك لشعر بالندم طوال بقية حياته."

وقد أخبرني لوفيراس لاحقاً أنه سمع بعض الناس يقولون ان هناك حقداً مضمراً بين الامريكان واليابانيين بسبب الاحوال الاقتصادية العالمية. وأضاف أنه لم يكن خبيراً جداً بمثل هذه الامور العالمية.

قال: "انني حقاً أشعر بأنني وجدت في السيد ياماموتو صديقاً. انه متزوج وله ولدان. يا له من رجل نبيل!"

بوب غرين ■

زوجة من الريف

اتحدَّر من عائلة كبيرة ومتينة الوشائج، تعيش في احدى المناطق الريفية لولاية ماريلاند منذ ٢٠٠ عام. ولأن زوجي وحيد لوالديه وقليل الاقارب، كان يجدِ صعوبة في التمييز بين اعمامي وعماتي وابنائهم. وفي احد الاجتماعات العائلية علّقت بالقول: "لعلي بحاجة الى رسم شجرة العائلة لمساعدتك."

فأجاب على الفور: "تقصدين غابة العائلة!"

أ.ج.ب.

أضواء من عالم الطب

"قلم" إنسولين

تحرر اداة جديدة كثيرين من مرضى السكري المعتمدين على الانسولين من حاجتهم الى حمل الكثير من الحقن والابر وقوارير الانسولين.

وتشبه هذه الاداة قلم حبر له خراطيش وابر قابلة للاستبدال. ويمكن التحكم بالمقادير على نحو دقيق بواسطة قرص في القلم، يتيح للمريض ان يختار من وحدتين الى ٣٦ وحدة. فيدير المرضى القرص الى المقدار المطلوب ويحقنون عضلهم مثلما يفعلون بالحقنة العادية. يتسع القلم لـ١٤٠ غراما من الانسولين ويمكن وضعه بلا حرج في محفظة النقود او محفظة الاوراق. ويقول الدكتور روبرت رود المدير الطبي الاعلى للمركز الامريكي لعلاج السكري في تارزانا بولاية كاليفورنيا: "قد تكون تتناول طعامك خارج المنزل فتقوم بحقن نفسك من دون ان يدري احد بذلك." يعتقد كثير من الاطباء ان تسهيل عملية الحقن يحسن قدرة المرضى المعتمدين على الانسولين في التعامل مع المرض. فالسكري يصيب ملايين الناس، وهو اذا لم يخضع للمراقبة يستطيع ان يؤدي الى العمى ومرض الكلية والقلب.

كلفة القلم نحو ٤٠ دولارا ويتوافر لدى الاطباء الاختصاصيين بالغدد او السكري او العناية الاولية كما يباع في الصيدليات. وهناك اداة اخرى في حجم القلم لقياس مستوى السكر في دم المرضى. كلفتها قرابة ٢٠٠ دولار، وهي سهلة الاستعمال وتعطي النتائج خلال ٣٠ ثانية.

صحيفة "لوس انجلس ديلي نيوز"

بالون يزيل العقم

قد يكون القثتر المطاطي الذي يستعمل لفتح انسداد انابيب فالوب هو الحل لبعض مشاكل العقم عند النساء. تتضمن الطريقة الجديدة والتي تدعى "عملية توسيع الانابيب عبر عنق الرحم بواسطة بالون،" ادخال قثتر بلاستيكي في رأسه بالون عبر المهبل والرحم الى داخل احد انبوبي فالوب، ونفخ البالون في مكان الانسداد في محاولة لفتح الانبوب. ويمكن انجاز هذه العملية في خلال ٣٠ دقيقة، وهي تفيد فقط في حالات الانسداد عند نقطة التقاء الانبوب بالرحم.

يختبر هذا القثتر حاليا في تجارب سريرية. ووفقا لما يقوله منسق الدراسة الدكتور نوربرت غلايشر من مستشفى جبل سيناء في شيكاغو، فان اكثر من ٣٠ امرأة خضعن لهذه العملية في الاشهر الخمسة الاولى، فنجحت عملية اعادة فتح الانابيب لدى معظمهن، وكثيرات منهم حملن.

صحيفة "واشنطن بوست"

رحلة «بسمارك» الأخيرة

قصة حب بين صياد هاوٍ وطوفه

قابلية الطفو على الماء ميزة طالما أثارت اعجابي، وإن من بعد. وفي رحلات صيد السمك يصبح افتقاري اليها أمراً حقيقياً ملموساً. فأنا لا أشعر بالراحة عندما انتعل جزمة التخويض الطويلة المانعة للماء. وإذا ما غامرت وخضت ماء يعلو فوق الخصر فانني أشعر بالجزمة تكبّلني كالاصفاد. وذات صباح قبل سنوات طويلة، وكنت في بحيرة فرنكلين مغموراً بمياهها الجليدية الى الكتفين، تسلل حل وجيه الى دماغي المثقل.

Condensed from «Last Voyage of the Bismarck» by W.D. Wetherell, taken from «Seasons of the Angler,» © 1988 by David Seybold, published by Weidenfeld & Nicolson, New York, N.Y.
Illustration: Bruce Johnson

زورق. طوف. أي شيء يطفو بي الى حيث يعيش سمك السلمون. وجدتها! كان في دكان اللوازم الرياضية في حينا ثلاثة نماذج من الاطواف القابلة للنفخ مصفوفة كما يُصف الاشقاء بالترتيب التسلسلي بحسب الطول والعرض. لم تكن مصنوعة من مادة متينة وغالية، بل من البلاستيك الذي تصنع منه الكرات الرخيصة التي يلعب بها رواد الشاطىء. تفحصت الاطواف بعناية، وأدهشتني كثرة الكتابة المطبوعة على جانبي شيء في تلك البساطة. وعلى رغم التناقض الواضح بين الاصرار المتكرر على أهمية ارتداء سترة النجاة وما ادعته الكتابة من قدرة الاطواف على تحمّل الأثقال، فقد وجدت السعر معقولا.

وقع اختياري أخيراً على النموذج الذي يتسع لأثنين، لي ولزوجتي سيلست، وتبقى فيه مساحة فائضة. ومع أن المجال الفعلي "الحميم" للجلوس بدا مزعجاً (قدّرته بحوالى متر × متر ونصف متر) إلا أنني سمحت للصورة المرسومة على العلبة التي وُضِب فيها الطوف أن تبدد شكوكي. فلقد ظهر الطوف في الصورة وعلى متنه أربع عارضات أزياء يرتدين أثواب سباحة وعلى سيمائهن أمارات الراحة والابتهاج التام.

عندما وصلت الى البيت لففت الطوف برفق كما يقمّط الطفل خشية أن يثقبه دبوس أو كسرة زجاج ضلّت طريقها. وعندما نشرته على الأرض بدا أبيض رقيقاً. وكان بطيء الانتفاخ ولم تكتمل استدارته المبهجة الا بعد جهد. وعندما ناديت سيلست الى الغرفة لتشهد المعجزة التي صنعها الهواء كان الطوف يحمل اسم "بسمارك" الذي لازمه طوال حياته.

كانت رحلة "بسمارك" الأولى في ذلك المساء في بحيرة خلف منزلنا. ونظراً الى قلّة زوار البحيرة وندرة الصيد فيها كانت مأهولة بمجموعة من سمك الفرخ والقاروس السريع الاهتياج. وكانت الطريق المؤدية اليها وعرة تصلح لسيارات الجيب. ولم تكن مجهزة بمنصّة أو منحدر يسهل انزلاق الزوارق، بل ان نقل الزوارق اليها يتطلب عملا قاسياً جداً. انها، باختصار، المكان المثالي لإظهار مقدرة "بسمارك" واهليته.

بدا "بسمارك" جذّاباً في الماء. حتى ان سيلست لاحظت ذلك.

قالت: "انه جميل جداً." ورفعت سروالها الجينز استعداداً للتخويض اليه. ثم توقفت فجأة مترددّة وسألتني: "كيف نصعد اليه؟"

إنعصار وانحشار. كعادتها، طرقت سيلست لبّ الموضوع. فعلى رغم جمال "بسمارك" كان الصعود اليه مستحيلا. فقابلية الطفو التي طالما أعجبتني جعلته يقفز مبتعداً عند أدنى تموّج، حتى أن مجرّد الاقتراب منه تطلّب كل الخلسة والحذر الضروريين لامتطاء مهر غير مروّض. تمسكت بحافة الطوف وسندت قدمي ببعض الصخور وتمكنت أخيراً من دفع سيلست الى مؤخر الطوف، واتبعتها على عجلٍ بقصبات الصيد وبطعام العشاء الذي حضرناه لنتناوله في الهواء الطلق. وبعدما استقرّ كل شيء في موضعه، لم

يعد الحيز المتبقي يتسع لي. فقلت لزوجتي: "ألا يمكنك أن تعصري نفسك قليلا؟" فانكمشت ما أمكنها ذلك، وتدبّرت أنا أمر حشر جسدي في الطوف.

ما ان تناولت المجذافين حتى ضربا ذقن سيلست. ومدّت هي نحوي ساقها اليمنى لتريحها فكادت تلامس حنجرتي وتطير القبعة عن رأسي. وفي تلك الاثناء هبّ نسيم جرف "بسمارك" بعيداً عن الشاطىء.

سألتني سيلست: "أمتأكد أنت من أنه يتسّع لاثنين؟"

أجبتها مشيراً بابهامي الى الكتابة: "إقرأي بنفسك: شخصان حميمان."

وأضفت بنبرة مسرحية: "وهناك سمك القاروس في انتظارنا."

وفعلا، قرب الشاطىء البعيد، لاح لنا سرب من أسماك القاروس يخترق الاوراق الطافية على وجه الماء. غير أن "بسمارك" لم يكن في أحسن حالاته، إذ كادت حمولته تفيض على حافته. أقعدني العياء فتولّت سيلست العمل. وعندما اصبحنا في مجال إلقاء الصنانير كان العرق المتصبب من جسدينا رفع المياه المتجمعة في جوف الطوف بضعة سنتيمترات.

ولكن عندما بلغنا "المرعى" تصيَّدنا سمكاً كثيراً. وأظهر الطوف ما يتحلّى به من مزايا عظيمة: اقتراب صامت، مستوى منخفض يسمح برؤية السمك في عقر داره، ثبات، جوانب ملساء ينزلق السمك فوقها بسهولة.

وما ان حان وقت العودة حتى كان "بسمارك" قدّم أكثر من مبرّر لوجوده. وبنيته البلاستيكية لم تحل دون نشوء ذلك الانجذاب العاطفي بيني وبينه – وهو الانجذاب الذي يحوِّل الزورق واحداً من اثمن ممتلكات الانسان وأقربها الى قلبه.

زورق قطر. لم يظهر "بسمارك" على حقيقته ويثبت وجوده إلا كطوف يقوده شخص بمفرده. وحدي، كنت أستكين في قعره كمن يستلقي على فراش مائي، وألقي الصنارة وأنا في وضع أفقي مريح، وحجرة الهواء الصغيرة في مؤخره كوسادة تحت عنقي. وحدي، كنت أجد في تسييره متعة، وكانت خفته مصدر دهشة مستديمة.

أما متانته فخلفت في نفسي انطباعاً مؤثراً، إذ ما أكثر رحلات الصيد التي خرجت فيها تلك الايام. ولكي أختبره أكثر بدأت أقصد المياه الاكثر عنفاً. فركبته في نهر عريض متلاطم الامواج حيث راح يتواثب كزورق قطر، وفي بحيرة كبيرة حيث هدّدت الزوارق الآلية باغراقنا في ما خلفته من تموجات، وفي برك بعيدة حيث يعيش سمك السلمون وحيث انشب الورد البري أغصانه الشائكة في بدنه لكنه عجز عن اختراقه وثقبه. وكان صيدنا دائماً أوفر من صيد الآخرين. ونجح "بسمارك" في جبه أي تحدّ بكبر وثقة.

وظلت شركتنا سليمة طوال ثلاثة مواسم كاملة. في البداية لم أعتبر "بسمارك" أكثر من زورق رخيص يطرح بعد استعماله من غير خسارة تذكر. أما الآن، بعدما ثبتت متانته، فرحت أنظر اليه كشيء دائم. وهكذا وقعت في الخطأ النقيض. وإن راودتني افكار عن نهايته

فلقد كانت دائماً من نوع الحدث المزلزل المفاجىء، كاصطدام مثير بصخرة مروَّسة كالرمح تنتزع أحشاءنا نحن الاثنين وترسلنا الى الهاوية.

والحقيقة أن "بسمارك" كان يحتضر بفعل الإهمال. فمع حلول فصل الربيع الرابع تخلّيت عن تيمُّني به وآثرت زورقاً خشبياً ثابتاً. وطوال ثلاثة أشهر ظلّ "بسمارك" مطوياً فتصلّبت طياته. ومع أنني كنت أحياناً اعقد العزم على إخراجه، فانني لم أخرجه مرة، تارة بسبب ألم في ظهري وطوراً بسبب الريح وغيرها من أعذار لا يجدي تعدادها الآن. ففي موضوع الزوارق، كما في الحب، الأعذار لا تجدي. كان "بسمارك" نور عيني.

ومع ذلك قُدِّر لنا أن نمضي معاً يوماً أخيراً. كان ذلك بعد الظهر في شهر مايو (أيار) وقد شعرت بعياء ثقيل. بدأت أسحب الزورق الخشبي من الحظيرة. ثم، كأنما بفعل غريزة لا تقاوم، أخذت العلبة التي تحوي الطوف.

سرت في الطريق الوعرة المؤدية الى بحيرة فرنكلين والطوف على كتفي كطفل يتوق الى استكشاف خفايا الأرض، وتوارت شمس الصباح خلف غيوم متوعدة، فأسرعت الخطى لأبعث الدفء في جسدي.

مددت "بسمارك" على الارض. وكالعادة، أتممت جميع الفروض التي تجعله يطفو على سطح الماء، من ضغط متأنٍ على المنفخ الذي يشبه آلة الاكورديون، الى إغلاق الصمامات باحكام، الى الصعود الى متنه المتقلقل، الى جمع المجذافين على عجل.

جميلة هي العودة الى أمور مألوفة لم يطرأ عليها أي تغيير. اللهم الا تغييراً واحداً لا غير، لكنه مهّم. ففيما أنا أجذف في اتجاه الشاطىء البعيد متمتعاً باستجابة الطوف الطيّعة السمحاء أدركت بشعور غائر أن "بسمارك" - طوفي المهمل المسكين - يغرق.

كانت المياه تتسرّب اليه من عشرات الشقوق الصغيرة. وشعرت بخدر في ظهري بسبب المياه الجليدية التي تجمعت في المؤخر.

أما حجرتا الهواء اللتان يتألف منهما بدن الطوف فقد فرغتا من الهواء تماماً. ولكن تبين لي بنتيجة الفحص السريع الذي اجريته أن الحجيرة الكبرى ما زالت منتفخة قليلا. وإذا خدمني الحظ وأحسنت التصرف فسيظل "بسمارك" طافياً نحو ساعة.

وبدافع داخلي لم أستطع تجاهله استنكفت من العودة فوراً الى الشاطىء. فذبابات نوّار بدأت تفقس، وبدأ السمك يعلو في الماء، وكأن الظاهرتين استجابة لإلماع خفي. ألقيت الصنارة، وللحال التقطت أربع سمكات. وكان الجزء الاسفل من "بسمارك" مغموراً بالمياه مما سهّل انزلاق السمك على حافته، ولم يعد سهلا معرفة الحدّ الذي ينتهي عنده الطوف وتبدأ مياه البحيرة. وعندما نزعت الطعم من الصنارة راحت أسماك السلمون تقفز حولي باطمئنان تام.

عائم أخيراً! لم أعد أذكر كم سمكة اصطدت ذلك اليوم. وكان ذباب نوار يفقس على سطح الماء بسرعة مدهشة

فبدت البحيرة تغلي. ومن صوب الجبل حطّت سنونو جائعة ثم تبعتها ثانية فثالثة حتى أصبحت طيور السنونو في كل مكان. ورأيت جحافل منها تحط وتطير وتكّر وتفر وتهاجم سطح الماء ثم تنطلق مبتعدة. كانت الطيور تعذبني وقد أسكرها جو المرح السائد مثلما أسكر الذبابات والسمكات من قبلها.

ثم بدأ الثلج يسقط. رقاقات بيضاء كبيرة راحت تتساقط بسرعة واختلاط حتى غطّت كل شيء: الطيور والسمك والذباب، فأصبحت جميعها واحدة في عالم أبيض. ولم أعد أعرف ما الذي ابتغيت صيده: أطيور السنونو أم سمك السلمون أم ذبابات نوار؟

بدأت أجذف عائداً الى الشاطىء. ليس من قبيل النجاة بنفسي بل لانني كنت محتاجاً الى ثقل المجذافين لأمنع روحي من الانطلاق بعيداً. ومع اقترابي من الشاطىء انزلق تحت الطوف قندس في دفق من الفرو السلس. وللمرة الاولى في حياتي أدركت ما قصده كتّاب القرن التاسع عشر من كلمة "الانتشاء."

لم أغب عن الوعي. وأهم من ذلك أنني لم أغرق. معاً، أنا و"بسمارك"، الى الشاطىء مع أن كل ما تبقّى منه لم يتعدّ ضغط رقيقة من البلاستيك شعرت بها تحتي. وتلك كانت آخر مرة ضمنّي فيها الطوف قبل أن يرفعني الى صخرة مسطحة لا تفصلها عن اليابسة سوى خطوة. وما ان أودعني الصخرة حتى "تنهد" بعمق ولفظ أنفاسه وغرق في دوامة من الفقاقيع. وعندما سحبته الى الشاطىء ظهرت درزاته مفتقة من مقدّمه الى مؤخره.

طويته بعناية فاقت كل عناية أوليته إياها وهو سليم. وعدت من حيث أتيت. قطعت الطريق سيراً في خط متعرّج اتقاء للثلج المتساقط. مشيت بخطى حثيثة كأنني ورثت عن "بسمارك" ذاك المظهر المرح الذي تميّز به.

كنت - نعم، ليس هناك من خطأ - كنت عائماً. أخيراً!

و.د. ويذريل ■

الحقيقي والمزيّف

كنت في متجر للالعاب عندما دخل ولد يحمل اوراقاً نقدية غير حقيقية تستعمل فقط للّعب وطلب شراء طائرة صغيرة. وعندما قال له البائع أن المال الذي يحمله غير حقيقي، أجابه الصبي: "وهل هذه الطائرة حقيقية؟"

ب.ر.م.

ان الطريقة الوحيدة لتسلية البعض هي الاصغاء اليهم.

ك.هـ.

يطيب للمرء أن يتعرف الى أناس ذوي صفات مميزة

قصَصُ عطاء

شجاعة نادرة

قرابة العاشرة مساء في ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥، كان فرانك بورتو عائداً الى منزله مشياً. وهو مهندس ميكانيكي في الحادية والاربعين من عمره يقطن في أوكلند بولاية كاليفورنيا. واذ مر بسيارة "ستيشن" جلس فيها رجلان وامرأة، ترجّل الرجلان واستوقفاه وطلبا منه مالا. فأجابهما انه لا يحمل نقوداً وتابع سيره. لكن الرجلين لحقا به.

وفي مكان قريب كان كارنيل جونسون جالساً في شاحنته الصغيرة، وهو جامع نفايات في التاسعة والعشرين من عمره. رأى فرانك يتعارك مع مطارديه صامداً أمامهما نظراً الى ضخامة جثته. ولكن ما ان نزل الى الشارع حتى انطلقت المرأة بالسيارة صوبه وصدمته. لم يسبق للشاب أن رأى فرانك بورتو في حياته. وتجمع في الشارع نحو ثلاثين متفرجاً لكن أحداً لم يحرّك ساكناً. عندئذ نزل كارنيل من شاحنته ولكم أحد اللصين ثم لكم الآخر. بعد ذلك ركض الى طرف الشارع وطلب من سائق حافلة أن يستدعي الشرطة.

عندما استدار كارنيل رأى سيارة الستيشن تندفع صوبه مباشرة. حاول أن يقفز الى غطاء المحرّك لكن السيارة قذفته تحتها وجرّته مسافة ٦٠٠ متر قبل أن يتمكن من الافلات.

نقل كارنيل الى المستشفى حيث أبقي في قسم العناية الفائقة أسبوعاً كاملا.

هناك أناس كثيرون يخوضون تجارب

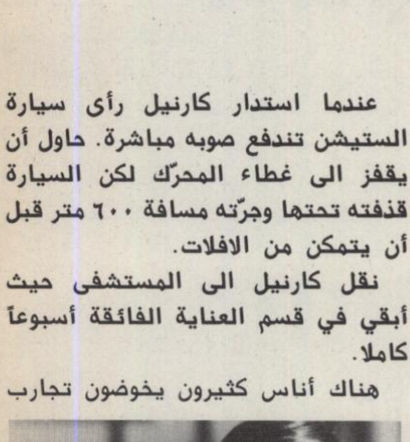
Bayphoto

كارنيل جونسون وفرانك بورتو.

Condensed from The Tribune (September 1, 86), © 1986 by The Oakland Tribune, Oakland, Calif.; The Christian Science Monitor (July 21, '87), © 1987 by The Christian Science Publishing Society, Boston, Mass.; Philadelphia Inquirer (October 22, '86), © 1986 by The Philadelphia Inquirer, Philadelphia, Pa.

مماثلة ويمضون بعدها في سبيلهم. لكن تجربة فرانك بورتو وكارنيل جونسون كانت مختلفة.

يقول فرانك: "كنت دائماً أؤمن بأن الشخصية الحقة والاخلاق الاصيلة تتجلى عندما يقول انسان مثل كارنيل في نفسه: "عليّ أن أساعد هذا الشخص، وإن عرّضه ذلك للخطر. يطيب للمرء أن يتعرف الى أناس بهذه الصفات."

استغرق شفاء كارنيل ثلاثة أشهر، وهو ما زال يشعر بألم عند الوقوف بسبب ما لحق بقدميه من أذى. ومع ذلك لم يعرف الندم. وهو يقول: "عندما تربح صديقاً مثل فرانك، لا يهم ما تدفعه من ثمن."

جاك شيفرز

في "أوكلند تريبيون"

عاشقة الأنهر

كان نهر ناشوا في أوائل الستينات ملوثاً جداً الى حد أن سكان المنطقة كانوا يتندرون بأن مياهه "أكثف من أن تُسكب وأرق من أن تُحرث." واذ يمر هذا النهر متمعجاً في مساتشوستس ونيو هامشير تتبدل ألوانه يومياً بحسب ما يلقى فيه من نفايات. وكان الناس يتذمرون من أن الرائحة الكريهة المنبعثة منه تمنعهم من النوم ليلا.

ثم جاءت "عاشقة الانهر" ماريون ستودارت الى غروتون في مساتشوستس. وهي انتقلت للسكن هناك مع زوجها وأولادهما الثلاثة الصغار. وما لبثت أن أطلقت حملة لانقاذ النهر المهمل وإقامة "ممر أخضر" واقٍ على ضفافه.

واليوم تتهادى الزوارق على المياه الرقراقة الآهلة بأنواع السمك النهري بعدما كان تقرير حكومي صنَّف النهر بأنه غير صالح لأن تعيش فيه الاسماك. وأكثر من ٤٤٠٠ هكتار من الارض حوله هي الآن محمية تسرح فيها الحيوانات البرية بأمان. كيف نجحت ماريون ستودارت في تنقية ذلك النهر الذي يبلغ طوله ٩٠ كيلومتراً؟

تجيب: "بتحديد الاشخاص ذوي النفوذ والحس بالمسؤولية في المنطقة." وهي أنشأت مع عدد منهم "رابطة مجمَّع نهر ناشوا." واستخدم أعضاء الرابطة أساليب إعلامية ودعائية بارعة. من ذلك أنهم أهدوا زجاجة من مياه النهر القذرة الى حاكم الولاية آنذاك جون فولب الذي وعد بالاحتفاظ بها على مكتبه الى أن تصبح مياه النهر صافية نظيفة. وأقنعت ستودارت اتحادات العمال ورجال الاعمال والسياسيين بأن الجميع سيفيدون من

Michael Carroll

ماريون ستودارت

نهر "يعيش فيه السمك وتحلو فيه السباحة."

وقصة إحياء نهر ناشوا نموذج تستنير به دائرة "المسامك والحياة البرّية" في مساتشوستس لاعادة تأهيل ٣١ نهراً آخر في الولاية. ولقد حظيت جهود ماريون ستودارت بتقدير دولي. وفي صيف ١٩٨٧ نوّه برنامج البيئة التابع للامم المتحدة بجهود هذه السيدة واعتبرها شخصية مثالية بين العاملين من أجل سلامة البيئة في العالم.

تقول ماريون ستودارت: "لقد تعلّمت أمراً واحداً في سياق عملي: ليس مطلوباً أن تكون ذكياً. ما عليك إلا أن تكون ملتزماً ومثابراً ومخلصاً."

كاثرين فوستر

في "ذي كريستشان ساينس مونيتور"

لمسة شافية

تلقيت قبل مدة مكالمة هاتفية من ميغيل أنجيل كورتيس الذي نشأ في شمال فيلادلفيا ونجح في حياته. قال انه طبيب في الاربعين ويود أن يرّد بعض الجميل. أعرب عن رغبته في إنشاء عيادة للطب العائلي في الحي الذي نشأ فيه، ليس فقط لان الحي في حاجة الى مثل تلك العيادة، بل لكي يتطلع اليه الفتيان علّهم يحذون حذوه ويعقدون العزم على النجاح مثله.

عندما تسنّت لي زيارة كورتيس وجدت عيادته تشع كأنها منارة. انه يعمل في عيادة المدينة من التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر. ثم يهرع شمالا ليعمل من الخامسة والنصف حتى التاسعة مساء. وهو يفحص مرضى كثيرين من دون أجر، وفي الحالات الطارئة يقوم بزيارات منزلية.

وتحضر كورتيس ارقام احصائية بسهولة بالغة. يقول لك، مثلا، ان متوسط الراتب الذي تتلقاه عائلة تقطن شمال فيلادلفيا هو ١٠٢٠٠ دولار سنوياً، وان ربع السكان السود والاسبان في المدينة لا ينعمون بأي ضمان صحي لان دخلهم أعلى من أن يخوّلهم تلقي مساعدات من الدولة وأدنى من أن يؤمّن لهم المعالجة على نفقتهم. وفي فيلادلفيا عموماً طبيب واحد لكل ١٧٠٠ نسمة، أما في شمال المدينة فالنسبة طبيب واحد لكل ٣٠٠٠ نسمة.

كورتيس ليس فقيراً ولا هو يتضور جوعاً، فعمله يدّر عليه ما يكفيه لدفع ايجار المنزل ويسدّ حاجات مادية أخرى. لكن العمل الذي يؤديه هنا يشبع حاجة أعمق في نفسه وفي نفس زوجته ايزابيل، وهي ممرّضة تلازم المنزل لترعى أولادهما وتساعد زوجها.

ستيف لوبيز

في "فيلادلفيا إنكوايرر"

لئن تكن الحرب عصارة كل الشرور، فالاستبداد خلاصة كل الحروب.

سيمون بوليفار، زعيم فنزويلي حرر بلاده
من الاستعمار الاسباني (١٧٨٣ - ١٨٣٠)

الفرسَان الملكيّون

مدرِّس عطوف ورقعة شطرنج غيَّرا حياة طلاب مشاغبين في أفقر أحياء نيويورك

هبّة من اللهب أجفلت المدرس بيل هول أثناء دخوله غرفة الصف. استدار بسرعة ليرى هوزيه تافاريز، وهو فتى في الخامسة عشرة من بورتوريكو، ممسكاً بولاعة مشتعلة قرب ثقب قارورة مزيل للروائح (ديودوران) ويشرح لأحد رفقائه: "إنها موقد جيد للحام."

بعد مصادرة القارورة والولاعة تدخل هول لانهاء مباراة "كباش" بين باكستاني واكوادوري. ثم أشار الى تسي واي تشن، وهو طالب وصل حديثاً من هونغ كونغ، ليضع صحيفته الصينية جانباً.

تطلع تسي واي، ابن الثالثة عشرة الى المدرِّس هول وأشار الى رقعة الشطرنج التي يحملها سائلا: "ما اسمها بالانكليزية؟"

فسأله هول بدوره: "هل تلعب؟"

بهزة من رأسه أجاب سي واي انه لا يجيد اللعب. فتساءل هول عما اذا كان الصيني فهم السؤال.

وكان هول نُقل حديثاً الى هذه المدرسة التكميلية الكائنة في حي هارلم الشرقي بمدينة نيويورك، وهو يدرس الانكليزية كلغة ثانية، لكنه لم يتوصل الى درجة كافية من النجاح مع هؤلاء الاولاد. كانوا كلهم مشاغبين، ذنب بعضهم الكسل المزمن أو التخريب المتعمد أو السرقة. ومعظمهم لم يكن يعير انتباها لأكثر من بضعة أعشار الثانية.

كان اهتمام تسي واي بلعبة الشطرنج أول بصيص لحب الاستطلاع لدى أحد منهم. وانطلاقاً من أمل الوصول الى عمق هؤلاء الفتيان، جلس هول، وهو الاستاذ المتمرس الذي أمضى ٢٤ سنة في التعليم، وفتح رقعة الشطرنج وصفَّ

Photo: Bob Milazzo

البيادق عليها، ثم بدأ شارحاً: "الشطرنج لعبة حرب. إنها مواجهة بين شخصين، تماماً مثل المصارعة أو الملاكمة." وكان كلما التقط أحد البيادق كتب اسمه بالانكليزية على اللوح. ولم يلبث الصف أن هدأ، فقال هول: "اذا أراد أحد منكم أن يتعلم هذه اللعبة، فليأتِ اليّ بعد الدوام المدرسي اليوم."

في الثالثة عصراً، عندما دخل عليه المشاغبان الرئيسيان توني باغان وهوزيه تافاريز، اجتاحته موجة من الخوف. حدّث نفسه: اذا هاجمني هذان الشابان معاً، فانهما يستطيعان التغلب علي. لكن المراهقين لم يرفعا نظرهما عن رقعة الشطرنج فيما هول يشرح لهما الاهمية الاستراتيجية للسيطرة على الوسط. وفي نهاية الحلقة تمتم باغان: "إنها لعبة عظيمة." وأضاف تافاريز: "إنها حقاً كذلك. نحن الآن لاعبا شطرنج."

فتدخل هول مصححاً: "لا، أنتما الآن تعرفان كيف تتحرك البيادق."

دهش هول عندما عاد الفتيان بعد ظهر اليوم التالي ومعهما هوزيه لويس اورتيز وهافيير مونتانو. لعب تافاريز ضد باغان وتحرك بسرعة ليسيطر على الوسط. فقال هول في نفسه: لقد أخطأت ادارة المدرسة في تصنيفه بليد الذهن.

ولم يلبث أن انضم الى المجموعة تسي واي تشن وأخوان باكستانيان هما بشرت وزيا تشودهري. وكلما زاد عدد أعضاء المجموعة ضحّى هول بساعات غدائه وبالفترات الصباحية من أيام السبوت بغية تعليمهم مبادىء اللعبة والاشراف على اللعب.

التعلم في الكتب. أجمع زملاء هول على نعته بالخبل. وقال له احدهم: "إنك تضيع وقتك. ليس لهؤلاء الفتيان العقل الكافي حتى لاتقاء المطر."

فتحداه هول: "لماذا لا تجرب اللعب ضدهم؟" ولمّا لعب المدرس ضد باغان لم يجد هذا صعوبة في التغلب عليه. فقال هول: "قد تكمن مشكلة تعليم هؤلاء الفتيان في سوء تقديرنا لامكاناتهم."

ويوم تغلب باغان على هول نفسه أرجع هذا ظهره الى الوراء وصفّر قائلا: "إنكم تتحسنون أيها الفتيان." فبان الفخر والاعتزاز على باغان. عندئذ سأل أحدهم هول باهتمام: "هل ستعلمنا المزيد؟ هل ستعلمنا المكائد؟"

أجاب: "اذا اردتم ان تتعلموا المزيد، فعليكم قراءة كتب الشطرنج."

سأله أحدهم متذمراً: "بالانكليزية؟"

فتدخل باغان بحزم قائلا: "اذا كان ما نريد أن نتعلمه مكتوباً بالانكليزية، فسنقرأ بالانكليزية."

تحسنت مفردات الفتيان وقدرتهم على فهم النصوص. وذات يوم نوّه أستاذ العلوم بتركيز تافاريز العالي فشرح له تافاريز حقيقة هذا التبدل: "كنت أتجنب ما لا أفهمه. لكنني لا أهرب مما يواجهني الآن، فاذا فعلت ذلك أمام رقعة الشطرنج فالهزيمة مصيري."

ذات ليلة سبت حشر هول مجموعة من الفتيان في سيارته الـ"فولكسفاغن" وأخذهم الى نادٍ للشطرنج، فنهره لاعب مسنّ بغضب: "خذ هؤلاء المشاغبين من هنا."

فتقدم منه مونتانو قائلا: "سيدي،

"الفرسان الملكيون" في النادي المركزي للشطرنج في موسكو.

نكون ممتنين اذا لعبت معنا. نحن في حاجة الى المنافسة."

وافق الرجل على مضض. وعندما قام مونتانو بحركة كشفت ملكته، اشار الرجل بيده قائلا: "لم تكن تريد أن تفعل ذلك يا بني. أعد اللعب." فهزّ مونتانو رأسه قائلا: "يقول الاستاذ هول ان على المرء أن يتحمل العواقب اذا اخطأ." وبعدما خسر الفتى ملكته نفذ حركتين وأمات شاه خصمه.

فقال مونتانو للعجوز: "لقد وقعت في فخ عمره ٤٠٠ سنة. يمكنك القراءة عنه في كتاب "فن إماتة الشاه."

مصافحة الرجال. فكّر هول في اشراك الفتيان في دورة الربيع التي أقامتها رابطة الشطرنج بين المدارس في مدينة نيويورك عام ١٩٨٦. وكانوا تعلموا اللعبة قبل ذلك بأربعة أشهر فقط، نصحه مدير المدرسة ادوارد رودريغز بألا يفعل، وأضاف: "سينهزمون أمام أحدى المدارس الخاصة فتدمر كل الثقة بالنفس التي اكتسبوها من الشطرنج."

لكن الفتيان لم يكونوا قلقين. صاح أورتيز: "من قال إننا سنخسر؟ سنشترك في الدورة."

فكّر هول: "كيف آخذ هؤلاء الاولاد الى

Photo: Courtesy of William Hall

مباراة وهم يرتدون هذه الملابس الرثة؟ انهم يحتاجون الى زي موحد والى اسم لفريقهم. وبما أن الشطرنج يعرف بـ"اللعبة الملكية،" والفرسان يمثلون المحاربين النبلاء، طلب هول دزينة قمصان حمراء طبع عليها: "الفرسان الملكيون - التكميلية ٩٩."

تساءل هول عما إذا كان الفتيان سيرفضون ارتداء تلك الملابس. وهو لاحظ خلال بضعة ايام أن تصرفاتهم الشارعية بدأت تضمحل. وهم طلبوا من هول أن يعلمهم الطريقة الصحيحة في المصافحة. قالوا له: "سوف نفوز، ولكن في حال الخسارة علينا أن نتعلم كيف نظل مهذبين."

فاز أورتيز بالمرتبة الاولى في المباريات الفردية. وحل مونتانو في المرتبة الثانية بين طلاب الصف المتوسط الثاني. حتى الفتيان الذين خسروا كانوا مبتهجين. إنهم "الفرسان الملكيون" الآن، وانتصار أحدهم هو انتصار لهم جميعاً.

تحركات الشارع. في تلك الاثناء لاحقت صحف نيويورك أخبار الفتيان وقد أبهجها ايجاد قصة عن هارلم الشرقية لا تتعلق بالمخدرات والعنف. فتبرع فانوي آدامز، وهو مدير متقاعد في شركة "موبيل اويل"، بمصاريف رحلة الفريق الى سيراكوز للمشاركة في دورة ولاية نيويورك للعام ١٩٨٦. لكن الفتيان رفضوا الذهاب.

صعق هول. وأخيراً أدرك أن "الفرسان" كانوا خائفين، ليس من المنافسة بل من جهلهم أصول التصرف في الفنادق والقطارات والمطاعم.

فقال لهم: "لا بأس. دعكم من سيراكوز، ولكن سنحتفل بانتصاركم هذا. انني أدعو الفريق الى تناول الغداء."

في المطعم بدأ هول يتفحص لائحة الطعام. وراح يتمتم بصوت مسموع: "يمكننا أن نختار أولا بين الحساء والسلطة. لا أريد أن آكل كثيراً الآن، لأن الوجبة الرئيسية ستتبع."

أما الفتيان، الذين كانوا منشغلين بمراقبة أستاذهم ليتعلموا أي شوكة يستعمل وكيف يقطع اللحم في صحنه، فتركوا له معظم الحديث. أخبرهم عن الاماكن التي زارها والقطارات التي ركبها والفنادق التي نزل فيها. وبعد أيام أعلن باغان أن الفريق قرر المشاركة في الدورة.

في المحطة حملوا حاجاتهم في أكياس وعلب كرتون مربوطة بحبال. كان أحدهم يرتدي سروالا ممزقاً عند الركبة، وانتعل آخر حذاء رياضياً ممزقاً. رافقهما هول الى أحد المتاجر واشترى لهما البدائل المناسبة.

وفي القطار فتح "الفرسان" رقع الشطرنج وبدأوا يتمرنون. وسرعان ما تحلق الركاب لمشاهدتهم. وهمس رجل في أذن آخر: "إنهم من هارلم الشرقية. لا شك في أنهم يتعاطون المخدرات."

سمعه باغان فقال: "ليس من أحد منا يتعاطى المخدرات. نحن نتعاطى الشطرنج."

في الدورة فاز أليكسيس أورتيغا بالمرتبة الثالثة وبدأ ادواردو سانتانا

اللعب على المرتبة الرابعة، كانت مباراة صعبة. فجأة نفذ سانتانا حركة جنونية. فتجمد هول، ولكن سرعان ما غمزه تافاريز مطمئناً: "إنها لعبة شارع. هدىء من روعك."

تردد خصم سانتانا، ثم التقط بيدقاً، ثم تراجع. وأخيراً لعب. فما كان من سانتانا إلا أن حرك بيدقه في لعبة جميلة أماتت شاه خصمه.

الشكر الجزيل. بعد أسابيع دعي هول الى مكتب مدير المدرسة فتساءل: ترى، أي واحد من أعضاء الفريق هو في مأزق؟ فالفتيان أصبحوا يعرفون بأبنائه، وكان يستدعى كلما واجه أحدهم مشكلة.

عندما دخل هول مكتب المدير وجد "الفرسان" مصطفين أمام رودريغز. فهتف: "يا إلهي، هل كل أعضاء الفريق في مأزق؟"

تقدم ادواردو سانتانا نحوه وبدأ الخطاب الذي حفظه. لكنه غص بعبراته عندما قدم الى هول لوحة معدنية تذكارية كتبت عليها هذه العبارات: "الى الاستاذ هول. نأمل أن تظهر هذه اللوحة قليلا من امتناننا العميق لما فعلته من أجلنا. الفرسان الملكيون في هارلم الشرقية."

بعد سنة ونصف سنة من بدء "الفرسان" لعب الشطرنج سافروا جواً الى كاليفورنيا للاشتراك في الدورة الوطنية للمدارس التكميلية في الشطرنج للعام ١٩٨٧، ومرة اخرى ساهم فانوي آدامز في المصاريف. وأتى "الفرسان الملكيون" في المرتبة السابعة عشرة بين ١٠٩ فرق تمثل ٣٥ ولاية. ولكن أهم من ذلك أنهم بدأوا يتصرفون كمسافرين ذوي خبرة.

رحلة موسكو. دعي اثنان من "الفرسان"، هما هوزيه لاو وتسي واي تشن، الى نادي مانهاتن للشطرنج ليلعبا ضد مايا تشيبوردانيدزه بطلة العالم في الشطرنج للنساء والقادمة من الاتحاد السوفييتي. كان الاثنان من أبرز الذين استطاعوا الصمود طويلا في وجه البطلة السوفييتية. وفي ما بعد شاهد هول الثلاثة يتحدثون معاً.

أخبر تسي واي أستاذه عن الحديث الذي جرى بينهم: "تقول مايا ان علينا الذهاب الى الاتحاد السوفييتي للعب ضد الفتيان هناك."

لم ينبس هول بكلمة. اذا حدث ذلك فسيكون "الفرسان" أول فريق مدرسي للشطرنج من أمريكا يزور الاتحاد السوفييتي. ولكن هول تخيل الناس يقولون: "أنكم مجانين. لا يمكن القيام بهذه الرحلة. إنها مكلفة." والى ذلك كان هول مقتنعاً بأن ادارة المدرسة سترفض الفكرة قطعاً.

لكنه كان مخطئاً. وهكذا تابع جمع التبرعات واجراء الترتيبات اللازمة مع المسؤولين السوفييت. وتبرع بوب مور، وهو مدير مصرف في نيويورك بشراء الامتعة اللازمة للفتيان. كما تبرع أحد المتاجر بملابس الفريق.

في تلك الاثناء طلب "الفرسان" من هول أن يفرض عليهم نظاماً شبه عسكري. وعندما تغيب أحدهم عن جلسة تمرين طرد من الفريق. وقال له هول

مذكراً: "لكل عمل نتيجة. تعلمت ذلك في الشطرنج، وهو صحيح في الحياة أيضاً." وقد أعيد قبول الفتى، ولكن بعدما أخذ اذناً بالعودة من كل أعضاء الفريق.

عندما وصل أعضاء الفريق الى موسكو استقبلهم أعضاء من اللجنة الرياضية السوفييتية ورافقوهم الى فندقهم حيث انتظرتهم مأدبة تكريمية. وفي اليوم التالي، في النادي المركزي للشطرنج، دهش أعضاء الفريق لحداثة سن خصومهم الذين كانوا في العاشرة والحادية عشرة من العمر، كما صعقوا عندما هزمهم هؤلاء بسرعة.

في الفندق جلسوا في صمت كئيب. قال لهم هول: "لقد بدأ تعليم أولئك الاولاد وهم في الخامسة من عمرهم، بالطبع إنهم ماهرون."

السيطرة على الوسط. صبيحة اليوم التالي، في مباراة ودية ضد الاستاذ الدولي سفيشنيكوف، ربح باغان المباراة بسهولة مما رفع معنويات الفريق. وبعد الظهر لعب "الفرسان" ضد الفتيان السوفييت وجاءت النتيجة متعادلة.

بعد ذلك، في أحد مراكز الشبيبة في موسكو، نبّه الفريق الى أن المنافسة ستكون على أشدها. ولكن دهش هول عندما خرج تافاريز من قاعة اللعب بعد ١٥ دقيقة من بدء المباراة. قال له هول: "هذه خسارة سريعة!"

فسأله تافاريز بحماسة: "من خسر؟ لقد ربحت!"

تلك الليلة فاز بشرت تشودهري على بطل سوفياتي شاب، واحتفل أعضاء الفريقُ جميعاً. لقد أثبتوا للسوفييت، الذين يعتبرون من أقوى لاعبي الشطرنج المدرسي في العالم، أن فتيان الشوارع الاذكياء يستطيعون السيطرة على الوسط.

شرح تافاريز لاستاذه: "ليس الفوز بذي أهمية، بل هو اثبات أنك تستطيع أن تفوز. لا أريد أن أترك رقعة الشطرنج قبل أن أثبت أن الشخص الذي هزمني يمكن هزمه."

أثناء رحلة العودة راح هول يذرع ممر الطائرة وهو يفكر: كم تغيروا! لقد أصبحوا شباناً يفكرون ويتقبلون المسؤولية. لقد أصبحوا قادرين على التخطيط. ذلك الصباح أبدى له بشرت تشودهري نيّته أن يصبح محامياً. قال: "الحياة لا تختلف عن الشِطرنج. اذا لم تكن لديك خطة فأنت تُهزم."

جلس هول في مقعد خال الى جانب باغان الذي كان يكتب في دفتر لازمه خلال الرحلة. قال له هول: "قد تكتب يوماً رواية عن الاولاد الذين يترعرعون في هارلم الشرقية."

فرد باغان: "تماماً. هل تذكر كم كنت شقياً في ما مضى؟"

قال هول: "وها أنت الآن تتكلم عن الالتحاق بالجامعة. عظيم ما فعله لكم الشطرنج."

فوافقه باغان: "نعم، كان الشطرنج مفيداً لنا. ولكن اذا كتبت ذلك الكتاب يوماً فلن أهديه الى الشطرنج، بل الى الاستاذ الذي علمنا اهمية السيطرة على الوسط، وأن الوسط هو نحن أنفسنا."

جو كودير ■

الأرصاد الجوية

التكنولوجيا المتطورة تعد بانجازات مذهلة في هذا الحقل القديم

بعد ظهر يوم أحد عام ١٩٥٩ كان المقدم وليم رانكن يقود طائرته المقاتلة من مساتشوستس الى كارولينا الجنوبية. فجأة، على ارتفاع ١٤ ألف متر، توقف محرك الطائرة تماماً فوق عاصفة رعدية. لم يكن أمام المقدم الطيار أي خيار غير الهبوط بالمظلة. وأثناء هبوطه العمودي بسرعة ٣٠٠٠ متر في الدقيقة عبر الهواء المتجلد الرقيق الذي تبلغ حرارته ٥٧ درجة مئوية تحت الصفر، لاحظ أن ساعته تشير الى السادسة والدقيقة الخامسة مساء.

عندما انفتحت المظلة على ارتفاع ٣٠٠٠ متر تنفس رانكن الصعداء. وهو يتذكر في كتابه "الرجل الذي ركب الرعد": "فجأة لفحتني كتلة هوائية ضخمة من قمة رأسي الى أخمص قدمي. فأخذت ارتفع عالياً ثم هبطت مجدداً لاجد نفسي داخل محيط هائج من الغيوم الفائرة بألوانها البيضاء والسوداء والرمادية. غدوت مثل ذرة ضعيفة تتقاذفها العوامل في كل الاتجاهات.

"وفي احدى اللحظات، بعدما رُميت كقذيفة مدفعية، وجدتني أنظر داخل نفق أسود طويل. أثناء ذلك كله كان المطر يتدفق كالسيول حتى خلت نفسي أغرق في الجو."

أخيراً تمكن رانكن من اجتياز العاصفة والهبوط على الارض. وكانت الساعة تشير الى السابعة الا ثلثاً.

جاءت رحلة رانكن الخطرة قبل أشهر من اطلاق أول قمر اصطناعي أميركي لرصد الاحوال الجوية، وهو "تيروس ١"، في ابريل (نيسان) ١٩٦٠. وقد شكل ذلك نقطة تحول لمفهوم الارصاد الجوية، من مجرد فن الى علم متكامل. ولا تزال أمثال تلك التقارير الاولية النادرة مفيدة جداً للعلماء الجادين لمعرفة القوى الفاعلة

Condensed from Insight (January 9, '89), © 1988 by Insight, Washington, D.C.
«The Man Who Rode The Thunder,» by William H. Rankin, © 1960, 1988 by Prentice Hall, Inc. Photo: © Peter Cole / Bruce Coleman, Inc.

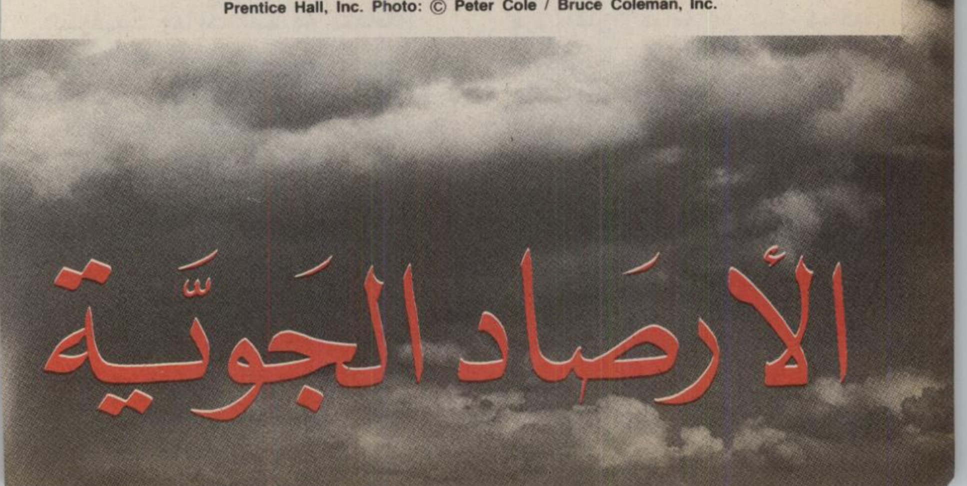

في العواصف أثناء تشكلها. وشهدت العقود الثلاثة الماضية ازدهاراً غير عادي في حقل اختراع أدوات لاستشعار الاحوال الجوية تفتح آفاقاً جديدة على دراسة الطقس. وسيتبع ذلك مزيد من التقدم المرتقب.

زقاق الاعاصير • في فصل الشتاء، عندما تكون شمس الظهيرة جنوب خط الاستواء، تتجمع الرياح القطبية الباردة فوق كندا ثم تتجه نحو الولايات المتحدة الامريكية. وقد تضرب الرياح الجافة بعض المناطق فتحولها جليداً، فيما الهواء الذي يجتاز المياه الاكثر دفئاً قد يلتقط كمية من الرطوبة كافية لدفن منطقة بالثلج. وكما يقول علماء الارصاد الجوية: "الرياح تصنع الطقس."

في الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) عندما تشع الشمس فوق خط الاستواء يتراجع الهواء القطبي ببطء ويبدأ الهواء الدافىء التوجه نحو الشمال. فينجم عن هذا التحول اضطراب فوق الغرب الاوسط في الولايات المتحدة. وعند المساء تأتي الرعود بالامطار الى المزروعات. لكنها تأتي بالبروق والاعاصير والسيول والبرد أيضاً. "وهذه هي بنات العاصفة،" كما يقول العالم دون برغس من "المختبر الوطني للعواصف العاتية" التابع لمديرية البحار والاجواء في نورمان بولاية أوكلاهوما.

كل عام يقعقع أكثر من ١٦ مليون عاصفة رعدية في سماء العالم أجمع، ناسفة الصخور والاشجار بالكهرباء، ومبللة التراب بالماء، وراشقة الكائنات بقطع الجليد. وفي أي لحظة تتكون في الاجواء ٢٠٠٠ عاصفة مثل هذه، مطلقة في الفضاء كمية من الطاقة تعادل بضعة انفجارات نووية.

في العَصْرِ الذهَبيّ

ان أكبر عدد من العواصف الرعدية يحدث في المناطق المدارية. ففي جافا، مثلا، تهب هذه العواصف خلال ٢٢٣ يوماً من السنة. أما الولايات المتحدة التي يضربها أكثر من مئة ألف عاصفة سنوياً، فهي موطن أخطر العواصف الرعدية على الارض.

تعتبر "السهول الكبرى" في أمريكا محضنة عواصف نموذجية، إذ ان خليج المكسيك يدفع الهواء الدافىء الرطب شمالا، بينما تهب الرياح الجافة الباردة نحو الجنوب آتية من كندا. تصطدم الكتلتان الهوائيتان في ممر يعرف باسم "زقاق الاعاصير" ويمتد من تكساس الى أيوا.

حين يلتقي الهواء الدافىء الهواء البارد ترتفع في الجو "فقاقيع" من الرطوبة الدافئة على امتداد كيلومتر وتولد تياراً هوائياً صاعداً يشكل الجزء الحاسم من عاصفة عاتية. ومع الوقت تصل هذه الفقاقيع الى طبقات الجو الاكثر برودة في التروبوسفير(١) على ارتفاع ١١ أو ١٦ كيلومتراً، حيث تبرد فيتكثف فيها بخار الماء ويهطل المطر، فينتج من ذلك تيار هابط. هذه الدورة بين التيار البارد الهابط والتيار الدافىء الصاعد تولد "خلية" عاصفة قد يبلغ عرضها خمسة كيلومترات.

وسرعان ما تأخذ هذه "الخلايا" في التكتل لتشكل عاصفة رعدية كبيرة مظلمة. وعلى امتداد أعلاها تدفع الرياح الشديدة السرعة منبسطاً جليدياً طويلا أمام العاصفة المتقدمة يمتد مسافة ٨٠ كيلومتراً أو أكثر. والى يمينها تتشكل خلايا أخرى. وبعد أن تعمّر كل خلية فترتها تمر عبر قلب العاصفة لتصب أمطارها ثم تذوي.

عندما تكون مجموعة من الخلايا تعمل بنظام مستقل مكتف ذاتياً، قد تظهر فجأة "خلية خارقة" يبلغ قطرها ١٦ كيلومتراً تنتج رياحاً وحشية ووابلا من البَرد الكبير. وفي أعماق هذه الخلية الخارقة قد يأخذ "القلب" في الدوران، الأمر الذي يسبق دائماً نشوء إعصار عنيف. وقد يظهر من الاسفل "جدار غيم" ينذر بالسوء.

تشرع هذه العاصفة المتميزة في لفظ صواعق البرق والبَرَد التي تلحق أذى يفوق ذلك الذي تلحقه الاعاصير.

بعض الحوادث يبدو عجيباً، إذ تستطيع الصواعق لحم حلقات سلسلة حديد وتحويلها قضيباً من حديد، كذلك يمكنها احداث فجوات في أجراس القبب وشواء البطاطا في السهول المكشوفة.

داخل العاصفة. قبل وقت قريب توصل العلماء الى أن الخلايا الخارقة التي تولد هذا الطقس القاسي تشكل في بعض الاحيان جزءاً من مجموعات أضخم. وخلال السبعينات اكتشف روبرت مادوكس، وهو اليوم مدير مختبر العواصف العاتية، شيئاً لم يلحظه أحد من قبل. لقد أظهرت صور قمر اصطناعي بالاشعة دون الحمراء مجموعات مستديرة ضخمة من العواصف الرعدية تتكوم ليلا على نحو مبعثر في أجواء ولايات الغرب الاوسط. ويذكر

(١) التروبوسفير «troposphere» هي الطبقة السفلى من الغلاف الجوي.

مادوكس أنها بدت كأنها تعمل معاً على احداث دوران جوي أكبر وأكثر ديمومة من الذي تحدثه عاصفة رعدية واحدة.

ان هذه الانظمة الضخمة التي تعرف بالمركبات الحملية المتوسطة(٢) قد تدوم ٢٤ ساعة، وقد تتمخض عن زوابع عنيفة وعواصف برَد شديدة، ويمكنها أن تصب أمطاراً بمقدار ما يصب اعصار متوسط الحجم. والعلماء في مختبر العواصف العاتية يستعملون الآن رسوماً بيانية للدماغ الالكتروني تجسّم المركبات الحملية المتوسطة الثلاثية الابعاد.

وفي الاطار ذاته، يستعمل العالم جوزف كليمب في المركز الوطني للابحاث الجوية في بولدر بولاية كولورادو، دماغاً الكترونياً ضخماً لتشكيل نماذج ثلاثية الابعاد عن عواصف رعدية إعصارية عاتية في جو شبيه بالجو الفعلي، غنيّ بالعناصر المعروفة بتنشيطها للعواصف. وهو يجري الاختبارات في عالمه الاصطناعي بغية اكتشاف منهاج العمل في الجزء الداخلي للعاصفة: لماذا تنزع "الخلايا" الفردية نحو الانقسام والتباعد؟ لماذا تدور يميناً ببعض الشروط ويساراً بشروط أخرى؟ لماذا تتحرك خلال عشر دقائق لتولد إعصاراً بعد أن تظل هادئة بضع ساعات؟

يقول كليمب: "هذه العواصف تولد أخطر الأعاصير وأكثرها ايذاء. واذا تمكنا من "فهمها" أكثر فقد نتمكن من ترقب حدوثها في وقت أبكر فنخلص عدداً أكبر من الناس."

رادارات متطورة. يعتقد كثير من العلماء أن العقد المقبل سيكون حقبة مميزة بالنسبة الى علم الارصاد الجوية. ومصلحة الارصاد الجوية في الولايات المتحدة على وشك نشر أجهزة رصد حديثة ستمكن الراصدين من العمل بدرجة من الدقة لم تكن ممكنة قبلا بالنسبة الى العواصف الاصغر والاكثر خطورة ضمن المركبات الحملية المتوسطة.

وسيكون التطور الاول البارز ارساء نظام رادار متطور لرصد الاحوال الجوية يدعى "نيكسراد". وسيعتمد هذا النظام رادارات خاصة من طراز "دوبلر" ستمكن الراصدين من "مشاهدة" الجزء الداخلي لعاصفة ما مما يتيح مراقبة الاعاصير في أطوارها البدائية وتحسين الانذارات الباكرة في ما يختص بالاعاصير الكبرى.

بالنسبة الى كن كروفورد، وهو مدير منطقة في مصلحة الارصاد الجوية حيث يتم اختبار المعدات الاصلية لنظام "نيكسراد"، فإن جهاز الموظفين لديه طالما تمكن من "اصدار انذارات قبل ٢٠ او ٣٠ دقيقة من انطلاق اعصار كبير." ويتوقع ان يبدأ نشر هذه الرادارات مع بداية ١٩٩٠.

واحدة من كبرى نقاط الضعف في أجهزة الارصاد الجوية المستعملة حالياً هي أن علماء الارصاد الجوية يتلقون المعلومات عن الرياح العليا مرتين فقط في اليوم. ولرأب هذا الخلل تخطط مصلحة الارصاد الجوية لشبكة مراقبة تدعى "بروفايلر"(٣) وتشمل البلاد بأسرها. وتقوم الفكرة على نشر ٣١ جهاز مراقبة تعطي معلومات مختصرة عن الرياح في

(٢) Mesoscale Convective Complexes

(٣) Profiler network

وسط الولايات المتحدة لمراقبتها باستمرار حتى مسافة ١٦ كيلومتراً في الجو. مبدئياً، سيقيس نظام المراقبة هذا سرعة الرياح واتجاهها، علماً انه في يوم ما سيقيس درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوي.

هذان النظامان، "نيكسراد" و"بروفايلر"، سيكونان عنصرين في مشروع ضخم مقترح للتسعينات هو "البرنامج الوطني للرياح" وهدفه الوصول الى فهم أفضل للعلاقة بين الانماط الطقسية الكبيرة والانماط الطقسية المتوسطة. يقول دون بيران مدير برنامج "بروفايلر" في مختبرات الابحاث البيئية في بولدر: "نحن نعلم بوجود علاقة مهمة بين هذين النمطين من الطقس. العاصفة الرعدية لا تحدث من تلقائها، فهي توجَّه من تيارات اكبر. لذا علينا أن نعرف المزيد عنها."

ويضيف وليم هوك مدير مكتب برنامج الرياح: "إن الولايات المتحدة تشارك في مجازفة غير عادية. وأجهزة الرادار الحديثة ستزيد دقة تكهناتنا الى حد بعيد. واذا استشففنا المستقبل، لنقل مئة سنة من الآن، فسينظر المؤرخون الى هذه الفترة على أنها المدخل الى العصر الذهبي لعلم الارصاد الجوية.

ريتشارد ليبكن ■

دواء ناجع

شكَت امرأة الى جارتها الخدمة السيئة التي تلقتها في صيدلية محلية، وهي متأكدة ان شكواها ستُنقل الى الصيدلي. وعندما ذهبت الى الصيدلية للمرة الثانية، رحب بها الصيدلي بحرارة وركّب دواء وصفتها حالا. واضاف انه على استعداد للقيام باي شيء لمساعدة عائلتها مؤكداً ترحيبه باتصالها به حتى خارج اوقات الدوام.

وذكرت المرأة هذا التحسن في المعاملة لجارتها وقالت: "لا ريب في ان ابلاغك اليه استيائي منه قد فعل فعله."

– في الحقيقة لم تجرِ الامور هكذا. فقد اخبرته انك مندهشة من الطريقة التي بنى بها مؤسسته وانك شعرت أن صيدليته واحدة من أفضل الصيدليات التي تعاملت معها.

ج.ب.

ابهام الطبيعة الخضراء

استمتعُ بالشتول المنزلية غير اني اتجشم عناء الاحتفاظ بها سليمة. وذات يوم وضعت نبتة بدت لي سقيمة في باحة الدار الخارجية على امل ان تنتعش في نور الشمس. ونسيت ان ادخلها المنزل في أثناء الليل فلم اجد لها أثراً في الصباح.

وبعد ثلاثة اسابيع القيت نظرة على الباحة فوجدت النبتة هناك تزهو صحة ورونقاً، مع بطاقة تحوي تعليمات مفصّلة للعناية بها، وفي اسفلها بصمة إبهام خضراء مكان التوقيع.

ل.س.

نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
PI 3693 A
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرعُ ذوبانًا، الأضمن نتيجةً والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

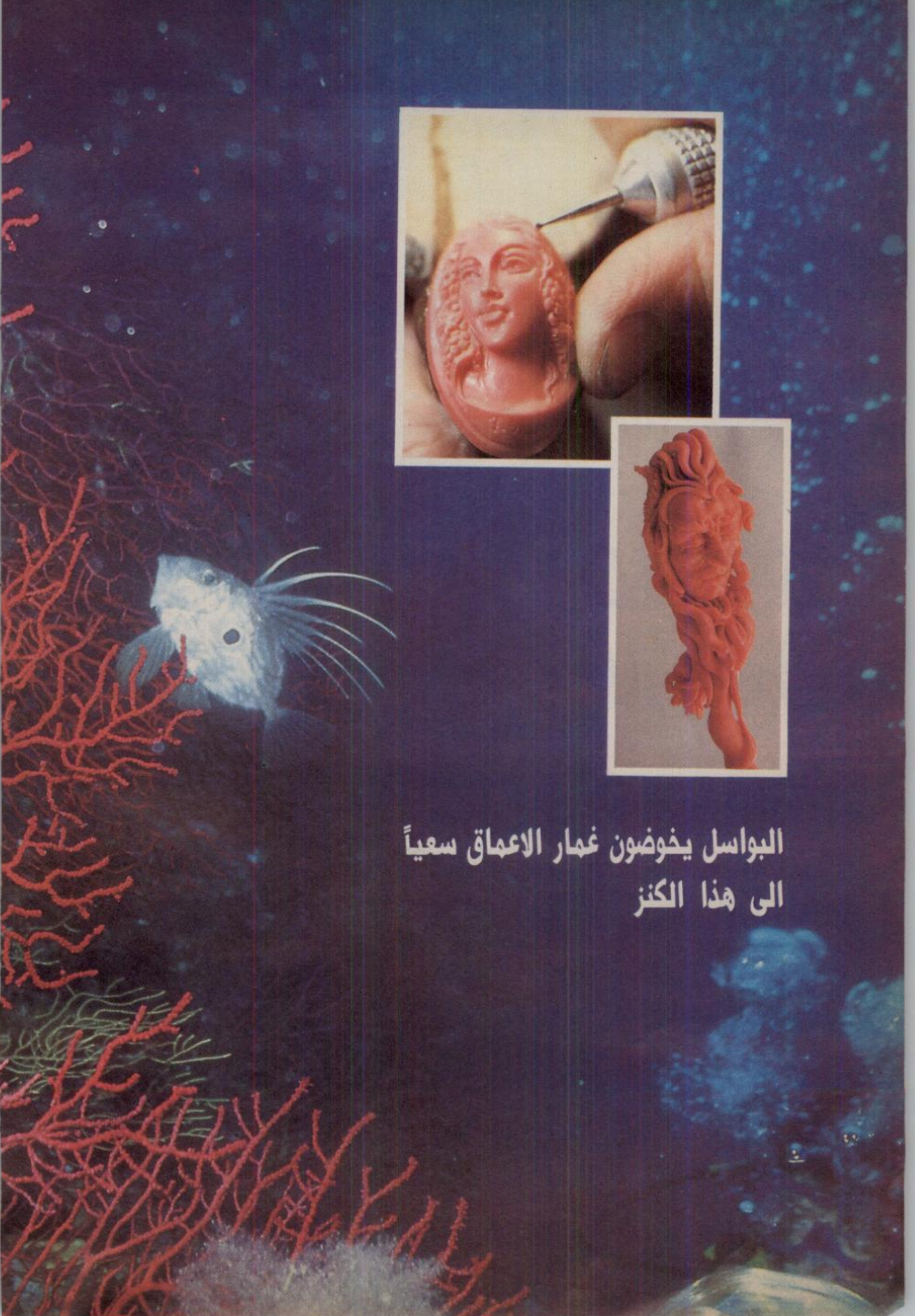

البواسل يخوضون غمار الاعماق سعياً الى هذا الكنز

صيد المرجان: الطريقة العربية

ابحرت فجر يوم من أيام الصيف من مرفأ سانتا تيريزا دي غلورافي سردينيا، على متن مركب آلي طوله عشرة أمتار. ربان المركب غطاس محنك اسمه جيوفاني آسيوني وعمره ٦١ عاماً. وللمركب محركان قوة كل منهما ١٧٥ حصاناً، وهما يهدران بصوت أجش فيما يتجه الربان الى عرض البحر.

وفيما الملاح يتفحص جهاز الغطس أشار الربان الى طائر رمادي رفرف فوقنا وقال لي: "انه طائر الغاق. وهو يجيد الغوص على نحو عجيب. ويقع أحياناً في شباك الصيادين على عمق ستين متراً".

لكن آسيوني سيغوص الى عمق لم يبلغه أي طائر غاق، مجازفاً بحياته بحثاً

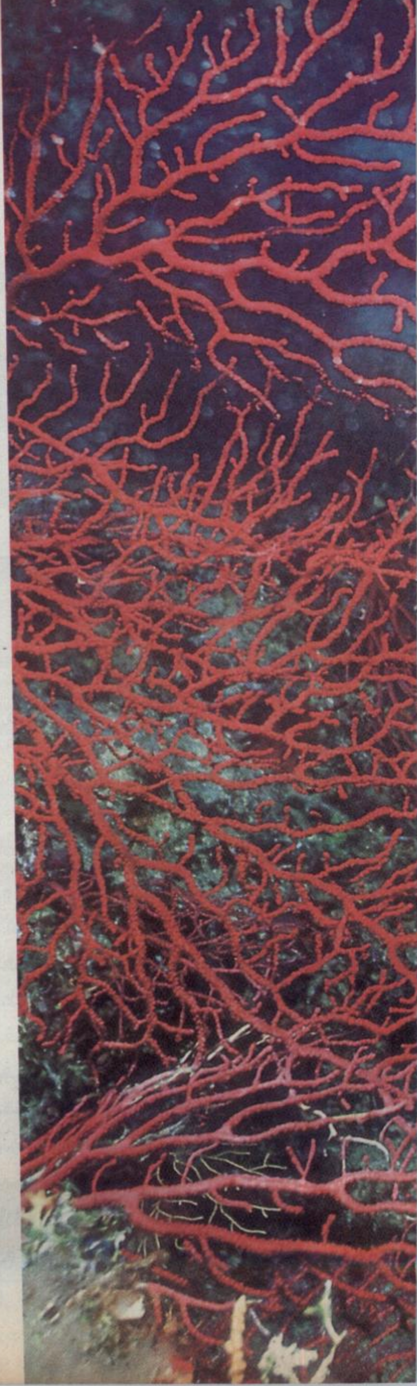

"شجيرة" مرجان تنمو كشعلة في قاع البحر. (فوق) اللمسات الاخيرة على رأس مرجاني. (الى اليمين) منمنمة من المرجان لفنان مجهول.

Photos: E. Franco / Fornass SAG 54 / Fornass

(اقصى اليسار) غواص عند حيد مرجاني.
(تحت) أداة صيد المرجان تعمل تحت سطح الماء، كما تصورها لوحة ترقى الى القرن الثامن عشر.
(فوق) آخر قارب لجمع المرجان في توري دل غريكو وعلى ظهره اداة الصيد.

عن المرجان (١) أحد أنفس كنوز البحر.

على مر عشرات آلاف السنين أولى الانسان قيمة عظيمة لهذا الذهب الاحمر الثمين، لا لجماله فحسب بل لأنه مصدر للصحة والسلطة والحظ. وقد قرن البدائيون المرجان بالدم أي بالحياة ذاتها. وفي اعتقاد أهالي كاليدونيا الجديدة أن المرجان يأتي بالمطر وتقلّد المرجان يرمز الى اكتساب مزيد من الحيوية. والى تحصين المرء ضد سوء الحظ.

شكل المرجان مماثل لشجيرة. ولطالما حسبه الناس نباتاً أو معدناً. ولكن في العام ١٧٢٣ كشف عالم الطبيعة الفرنسي أندريه بيسونيل أن المرجان "هيكل عظمي" جماعي لمستعمرة من الحيوانات المائية الصغيرة التي تَستخرج كربونات الكلسيوم من البحر وتحيلها قشرة واقية من حجر الكلس الصلد.

وثمة ٢٧ نوعاً معروفاً من المرجان،

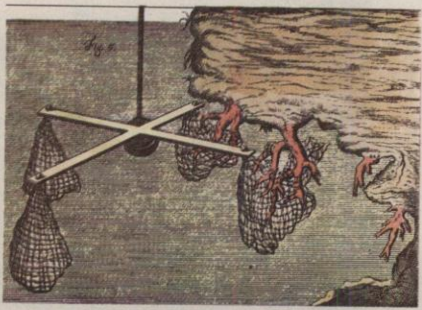

سبعة منها تتخذ لصناعة المجوهرات. وتتفاوت ألوانها من الابيض الى الزهري الخفيف فالأحمر القاتم. والمرجان ينشأ فقط على الحيود (النتوءات) الصخرية المغمورة بالماء، مراوحاً بين عمق متر وألفي متر تحت سطح الماء. واذا استنزف بنو البشر كل المصادر السهلة البلوغ، فإنهم الآن يوغلون في الغوص عميقاً سعياً اليه.

سلالة خاصة. قطب صناعة المرجان بلدة ايطالية تدعى "توري دل غريكو"

(١) Coral

Photo from "Nuovo Dizionario Scientifico e curioso sacro-profano" by G. Pivati, Venezia 1746

وتبعد قرابة عشرة كيلومترات جنوبا من نابولي. واهلوها يصيدون المرجان منذ القرن الخامس عشر على اقرب تقدير. وفيها افتتح أول معمل لتصنيع المرجان عام ١٨٠٥. ويبلغ تعداد سكانها ١٠٤ آلاف، وعدد العاملين في مصانع المرجان ومشاغله يناهز ثلاثة آلاف. ويقدر حجم تجارتها بنحو ١٦٣ مليون دولار سنوياً، وهي تصنِّع المرجان المنقول بحراً من اليابان والصين وهاواي.

وحتى زمن قريب كانت توري دل غريكو تحتكر سوق المرجان في العالم. لكن تايوان أخذت تزاحمها في السنوت الأخيرة. غير أن الايطاليين ما زالوا قابضين على مقدّرات ضربي المرجان اللذين يشتد الطلب عليهما، وهما المرجان المتوسطي الأحمر القاني والمرجان الآسيوي الزهري الباهت المعروف باسم "بوكيه" أو "بشرة الملائكة" (٢).

وتسنى لي في معمل باسيليو ليفيرينو الحديث لتصنيع المرجان ببلدة توري دل غريكو أن أراقب الحرفيين الحاذقين يستعملون مناشير دائرية صغيرة يقطعون بها خصلات المرجان أجزاء طول الواحد منها سنتيمتران. ثم يستخدم اختصاصي آخر عَجَلة الغزل في مرملة كهربائية صاقلة لتحويل قطع المرجان خرزاً. ويجلوها ثالث. وأثناء هذه العمليات يستحيل تسعون في المئة من المرجان غباراً، وفي ذلك سبب لارتفاع ثمنه.

عقب تشكيل الخرز وصقله يثقب ويفرز طبقاً للحجم والجودة، وينظم في خيوط قطن قبل شحنه. ويصدّر معظم انتاج مصنع ليفيرينو الى أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان. والاشكال التقليدية للمرجان كرات وأسطوانات أو "كابوشون" وهذا شكل بيضي يوضع في الخواتم وأقراط الأذن. وفي ايطاليا يتقلد الناس المرجان في اعناقهم في شكل قرن فلفل لصرف عين الحسود.

وعرب افريقيا الشمالية هم الذين ابتكروا صيد المرجان على النحو الجاري حالياً. وقد ورد في رواية تاريخية عربية من القرن العاشر الميلادي وصف الأداة التي ما زال الصيادون الى يومنا يقتلعون بها المرجان من أعماق البحار. وتتألف هذه الأداة من عارضتين متصالبتين تمتدان أربعة أمتار أو خمسة. وكانت تثقّل بالحجار لاغراقها وتعلّق بها

(٢) خق، ضقلثم سنهة

Photo: E. Franco / Fornass

عشرات الشباك الصغيرة. وتجرّ على قاع البحر خلف القوارب بحبال غليظة يبلغ طول الواحد منها ٣٥٠ متراً. واذ تكشط الأداة المرجان عن الحيود تحت الماء، تلتقط الشباك الذهب الأحمر. أما الأداة الحديثة التي تعمل بالرافعات الكهربائية، عوض الجهد البشري الشاق، فمصنوعة من فولاذ وتتباعد دعامتاها ثلاثة أمتار فقط لتخفيف الضرر عن مغارس المرجان. لكن طريقة عملها تماثل الأداة القديمة.

وقد واكب نشاط الغطس لجلب المرجان رواج رئة الماء (٣) في أواسط الخمسينات. والغواصون سلالة خاصة من بين البشر، وحق لهم ذلك، فعملهم يضاهي قفزا من عل من دون شبكة أمان.

مهنة خطرة. كنا على بعد تسعة كيلومترات من كابو تيستا حين عاين جيوفاني آسيوني بمسبار الصدى في مركبه شيئاً جديراً بالاهتمام. أظهر المسبار مخططاً لنتوء على عمق ٩٠ متراً هو أشبه بالحدب. دار آسيوني بالمركب حتى اصبح فوق الحدب تماماً ورمى بعوّامة. ثم اعتلى المتن لابساً بذلة الغوص السوداء. شدّ مقياس العمق حول ساعده الايسر وربط مدية الى ربلة ساقه اليمنى. بعد ذلك دسّ مشعلا صاداً للماء في الفتحة المخيطة بقلنسوته، وارتدى قفازات وزعانف مطاطية.

تفحص الملاح سدادات قوارير الهواء الثلاث على ظهر آسيوني، واثنتان منها تحويان ستين ليتراً من مزيج الهواء وغاز الهيليوم للتنفس. اذ ان الهواء المضغوط صرفاً يغدو في الاعماق مسبباً للهلوسة أو الهذيان. وتشتمل القارورة الثالثة على هواء صرف لاسعاف الغواص في رجوعه الى سطح الماء. وسيكون في وسعه أن يمكث نصف ساعة في الماء على عمق ٩٠ متراً.

جاء آسيوني الى سردينيا قبل ٣٠ عاما- حين ذاع الخبر أن في مستطاع الرجل القوي القلب أن يجني ثروة طائلة من المرجان. وكانت تلك أياماً رائدة، اذ كان الغوص الى عمق ٥٠ متراً كالسباحة في الفضاء. وتعرف صيادو المرجان الى مخاطر الغطس بالتجربة، وكانت الأخطاء مهلكة أحياناً. فتحت الضغط يستحيل النيتروجين في الهواء سائلا وينساب في مجرى الدم، ثم يتفشى في البدن كله، في اللحم والعضل والغضروف ومخ العظم. وما لم يعطَ النيتروجين وقتاً كافياً ليخرج من الرئتين، فانه سيشكل، عندما يطفو الغواص الى سطح الماء، فقاعات غاز داخل الجسم تتسبب في أزمة تدعى "شلل الغواص" (٤) ينجم عنها ألم مبرّح أو شلل أو وفاة.

وفضلا عن هذا الشلل فإن السباحة في الشباك التي تخلفها سفن الصيد هي أهم معضلة يواجهها الغطاس. وقد علق آسيوني في عدد من الشباك مصادفة. فكان يقطعها بأناة بمديته، ثم ينسل خارجها مكرها نفسها على البقاء رابط

(٣) رئة الماء جهاز للتنفس تحت الماء.

(٤) هو انثناء الجسم مع ألم الاطراف بسبب انخفاض مفاجىء في الضغط الجوي.

الجأش، اذ ان فقدان زمام النفس يورد المرء التهلكة.

قعد آسيوني في مؤخر القارب وقدماه المزعنفتان مدلاتان في المياه. سوّى قناع الوجه، ثم سلمه الملاح آخر الادوات التي لا غنى له عنها: شبكة في شكل قمع تحوي حجاراً تزيد من سرعة هبوطها، وصفيحة بلاستيكية فارغة وفأسا صغيرة.

اندفع آسيوني الى الماء. وبعد قليل كانت الاشارة الوحيدة الى وجوده فقاعات الهواء المتصاعدة. وكانت مهمة الملاح خلال الدقائق العشرين التالية ألا تغيب تلك الفقاعات عن أنظاره.

جبل الاحلام. غاص آسيوني بمعونة الحجار في شبكته متراً كل ثانية. وعلى عمق ٤٠ متراً انخفضت حرارة الماء فجأة ثماني درجات فيما ابتعد آسيوني عن أشعة الشمس الدافئة. مدى الرؤية عشرون متراً، واللون رمادي على نسق واحد.

وحين دنا آسيوني من القاع، حدد موقع الحيد تحته. انه مغطى بطبقة كثيفة من الغرغون، وهو كائن بحري أسود من فصيلة المرجان. ألقى الحجار من شبكته وسبح هابطاً المسافة الباقية. الإبرة المغناطيسية في مقياس العمق الذي يحمله تشير الى ٨٧ متراً. كل ذرة من جسده متنبهة. وما لبث أن رآها: بقعة من الأحمر الزاهي عند قاعدة الحيد. سرت فيه فورة من الغبطة، فتحديد موضع المرجان لحظة آسرة.

أكب بتؤدة على الاغصان الحمر حازاً اياها عن الصخر. كانت مرجانة صغيرة من نوعية جيدة تباع في توري دل غريكو بـ٢٩٥ دولاراً للكيلوغرام الواحد. كان ذلك عملا مضنياً، فأدنى حركة على هذا العمق جهد شاق، كرقص المرء في مستنقع منتعلا حذاءً رصاصياً. شبكة آسيوني تمتلىء شيئاً فشيئاً بغصون المرجان البرّاق. ألقى نظرة عجلى على ساعة يده. لقد انقضت خمس عشرة دقيقة ولم يبق له سوى خمس.

وفي الدقيقة العشرين كانت الشبكة ملأى بنحو كيلوغرامين. ثمة مرجان آخر يجنى، ولكن عليه أن يكون صارماً مع نفسه، وفي وسعه أن يعود إليها في يوم آخر. لقد آن أوان العودة الى فوق. ربط الشبكة المملوءة مرجاناً الى حزامه وملأ الصفيحة البلاستيكية هواء نقياً من القارورة الثالثة التي يحملها. واذ قلبها تحولت منطاداً رفعه بلا عناء الى قعر المركب.

على السطح كان الملاح يترصّد ساعته مراقباً. وفي الدقيقة العشرين تناول حبلا طوله ٥٠ متراً موصولا الى مثقال حديد يزن: ٣٠ كيلوغراماً الى بركة الفقاعات المتفجرة.

كان التيار ضعيفا، فوجد آسيوني المثقال والحبل على مسافة قريبة منه وهو في مصعده الخاص على عمق ٥٠ متراً. أفرج عن الهواء من الصفيحة وشرع يرتقي الحبل واضعاً كفاً فوق كف. عليه أن يتحرك ببطء منذ الآن.

واذ شعر الملاح بثقل جسد آسيوني على الحبل قذف بمثقال آخر أخفّ موصول

بحبل طوله ٣٠ متراً. واذا وصل الغواص الى الحبل الجديد اوثقه الى شبكة المرجان التي نزعها عن حزامه. وسحب الملاح الشبكة. وكانت لحظة ذات وقع في نفوسنا اذ طفت الشبكة على السطح فرأينا محتواها.

وأنزل الملاحون على حبل آخر من ٣٠ متراً قارورتي هواء نقي آبدلهما آسيوني بالقارورتين المحمولتين على ظهره، واكمل صعوده. ثم توقف على عمق ١٥ متراً. انها محطة الاستراحة الاولى، وهناك خمس مثلها لتعديل الضغط واعادته بأمان الى المستوى الطبيعي.

بعد خمس عشرة دقيقة صعد آسيوني عمق ١٢ متراً عن سطح الماء حيث لبث ٤٠ دقيقة. ثم ارتفع الى عمق ٩ امتار حيث مكث ساعة كاملة.

لبست الزعانف والقناع وهبطت كي أزوره. فألفيته بين السلاسل والأنابيب والحبال معلّقاً كعنكبوت ضخم. لوّح لي بكفه ذات القفّاز.

ان خفض الضغط من عمق مئة متر يستغرق اربع ساعات، اثنتين تحت سطح الماء واثنتين فوقه. لبث آسيوني فترات وجيزة على عمق ٦ أمتار و٣ أمتار قبل ان يطفو على السطح ظُهراً. وتسلق منهكاً الى حجرة تعديل الضغط في المركب. انطلقنا ببطء متوجهين صوب البر.

خرج آسيوني من الحجرة في الثانية بعد الظهر وقد انشرح صدره لما أنجزه في الصّباح. ووددت أن أعرف ما الذي يدفعه الى المجازفة بحياته كل يوم في سن يركن فيها معظم الرجال الى التقاعد.

قال لي: "اني ما زلت آمل أن أعثر على مرجانة كبيرة ذات حجم وجمال نادرين. لعلها تنتظرني في اليونان أو ألبانيا او الجزائر. سأعثر يوماً على جبل المرجان الذي يراودني. وعندئذ سأتوقف عن البحث".

كريستوفر ماثيوز ■

مؤسف أن جيوفاني آسيوني تعرّض لحادث أثناء حملة لصيد المرجان ففدا مشلولا. وهذا المقال تنويه بشجاعته الاسطورية واقرار بفضل زملائه الذين يعرضون أنفسهم للأذى والموت في بحثهم بلا هوادة عن المرجان.

سيارة ضد السرقة

كانت سيارة زوج امي البيضاء المفضلة ذات الغطاء القابل للطي في حالة مزرية لكنه كان يرفض التخلص منها. وعندما سُرقت من موقف السيارات أمام مكتبه ابتهجت العائلة ومع ذلك اتصلنا بالشرطة.

لم تدم بهجتنا طويلا فبعد ساعة اتصل بنا احد رجال الشرطة قائلا: "وجدنا السيارة على مسافة كيلومتر تقريباً"، واضاف محاولا إخفاء مرحه: "لقد وجدنا فيها بطاقة تقول: "شكراً على كل حال، فنحن نفضل السير على الاقدام."

ش.ف.ك.

لا ترتبكوا لدى لقاء غرباء. حلّوا عقدة لسانكم وشجعوهم على الكلام وسوف يغنون حياتكم

كان نهاراً دافئاً في نوفاسكوشيا في كندا، لكنني وقفت مرتجفة على رصيف المحطة أنتظر القطار الذي يقل كاتباً مميزاً. وكنت أُرسلت لاستقباله بصفتي محرراً في نشرة الجامعة حيث أدرس.

أخيراً وصل الرجل العظيم. واذ انحلّت عقدة لساني بعد جهد، تمتمت: "أنا أيضاً أتعاطى الكتابة."

فرد بلطف: "إذاً ستكون لدينا أمور كثيرة نتبادل فيها الحديث." لكنني اذّاك أصبت بنوبة بُكم اذ ظننت أنني أخطأت في ما قلت.

هذا الخوف من الغرباء يحدث لكثيرين منا: في الحفلات حيث لا نستطيع التفكير في شيء ظريف أو مهم نقوله، وفي مقابلات العمل حيث نجاهد لنؤثر في الآخرين، وفي أي مكان آخر حيث نواجه أناساً يثيرون اهتمامنا لكننا نفتقر الى الجرأة لبدء حديث معهم.

وعلى رغم ذلك فإن معرفتنا كيف نلقى الناس بارتياح تمكننا من توسيع دائرة معارفنا واغناء نسيج حياتنا.

خلال سنوات تجوالي في العالم كصحافي، كانت المقابلات التي أجريتها

غربَاء حَتى نَلتقي...

Illustrations: Mark Riedy

مع الغرباء من أبرز حوادث حياتي. فهي مثل فتح علب الهدايا التي تجهل ما داخلها. فعلا، ان السحر الذي يلف الغريب يكمن تماماً في حقيقة جهلنا اياه.

قابلت سيدة من نيو اورلينز بدت لطيفة وبعيدة كلياً عن العالم القاسي، لكنني اكتشفت أنها كانت مسؤولة عن اعادة تأهيل المجرمين الشباب بعد خروجهم من السجن. وهناك أيضاً تلك العجوز الانيقة التي التقيتها في قطار كندي، فأخبرتني أنها متوجهة الى قرية في المنطقة القطبية الشمالية بغية مشاهدة الدببة التي قيل انها تسير في الشوارع هناك.

نادراً ما تكلمت مع غريب لم يترك أثراً في مخزون ثقافتي.

التقيت بستانياً في احدى الحدائق العامة، فأخبرني أموراً كثيرة عن نمو المزروعات لم اكن أعرفها من قبل. ودعاني سائق في "وادي الملوك" في مصر الى تناول كوب من الشاي في منزله ذي الارضية الترابية، وعرّفني الى نمط من الحياة يختلف كثيراً عن نمط حياتي. وفي أوسلو في النروج اقتادني رجل كان من أنصار المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية الى سهل مرتفع حيث تتنهد الرياح الآتية من البحر بين الاعشاب، وأطلعني على أمر الرهائن التي أعدمت هناك على أيدي النازيين رداً على هجمات المقاومة.

ان شخصاً لم يسبق أن التقيناه قد يعلّمنا أموراً عن أنفسنا. قد نفضي الى غريب بأمور طالما أردنا الافصاح عنها لكننا لم نجرؤ على ذكرها لافراد عائلاتنا.

وقد تنجم عن لقاء عارض مع غريب صداقة تدوم مدى الحياة. لقد تلقيت قبل مدة رسالة من شخص أعرفه منذ ٣٠ سنة، وكانت علاقتنا بدأت على مقعد في محطة بنسلفانيا بمدينة نيويورك عندما كنا ننتظر القطار. تعالوا نفكر: ألم يكن معظم أصحابنا غرباء عنا في يوم ما؟ مرة قرأت لافتة في حديقة زرتها جاء فيها: "لا غرباء في العالم، بل أصدقاء ينتظرون ساعة اللقاء."

إذاً كيف نتعلم الافادة الى أقصى حد من لقاء غريب؟

لا قاعدة سحرية لذلك، ولكن هنا بعض اقتراحات تؤدي الى فتح باب أوسع:

١. عبِّر عن شعورك.

خلال حفلة عشاء، قد تراودك أفكار مثل: أنا لا أصلح للقاءات كهذه بسبب خجلي الشديد. أو على العكس: انني أحب هذه الحفلات مع أن كثيرين يعتبرونها مملة.

مهما يكن شعورك، انقله الى أول شخص يبدو مستعداً للاستماع اليك، فتجد أن أحاسيسك تلقى صدى محبباً. ان أفضل المحدثين هو الذي يملك الحذاقة والجرأة على قول الحقيقة. وإذا كنا صادقين في ما نقوله عن أنفسنا فان الشخص الآخر سيشعر بالحرية في قول ما يجول في خاطره.

٢. تحدث عما حولك.

إذا كنت تملك حب المعرفة فسترى بالتأكيد شيئاً تعلق عليه. ذات مرة نظر

أحد الغرباء حوله باعجاب و"كسر الجليد" قائلا لي: "كم تبدو لي الحفلات معرضاً حياً للجنس البشري!" كان ذلك مقدمة جميلة لبدء محادثة.

٣. قل شيئاً عن رفيقك.

سمعت مرة امرأة تقول لأحد الغرباء: "وجهك محبب جداً جداً." قد لا يملك معظمنا الجرأة لقول ذلك، ولكن يمكننا أن نقول كلاماً آخر مثل: "رأيتك تدخل، وفكرت..." أو: "أنت تقرأ كتابي المفضل."

٤. إطرح أسئلة.

ان كثيراً من المحادثات التي لا تنسى تبدأ بسؤال. وأنا غالباً ما أسأل أحدهم: "هل لك أن تروي لي أحداث يوم في حياتك المهنية؟" عادة يتجاوب الناس مع سؤالي بحماسة.

٥. أصغ الى الاجوبة.

ان نصف المحادثة الجيدة يكمن في الاستماع، ولا حوار حقيقياً من دونه. لكن الاصغاء فن في ذاته. أنظر الى سيدة تعرفت اليها حديثاً، عندما تتكلم. تجاوب على نحو يشجعها على متابعة الكلام. عندئذ يصبح الاصغاء ايجابياً لا سلبياً، يصبح كرحلة لمستكشف. ان الغرض من المحادثة الجيدة، بالمقارنة مع الحديث العابر، هو أن تكتشف محدثك وتفهمه.

فماذا يمكنك أن تضيف الى المحادثة؟ تذكَّر هذه الحقيقة: الناس يشعرون بالفضول تجاهك، تماماً كما تشعر أنت تجاههم. ويمكنك اضفاء الكثير على حياتهم كما يضفون هم الكثير على حياتك. ان حديثاً يبادرك به الشخص الآخر ليس أفضل من حديث تبادره به أنت.

المشكلة تكمن في أن قلة من الناس تدرك ماذا تعطي. يتوهم بعضهم أنهم بليدون أو خجلون ويقولون لي: "حياتي خالية من الاحداث المهمة." انهم غالباً على خطأ. فالحقيقة أن معظم الناس يثيرون الاهتمام.

في كتاب "الكلام يغير حياتك" ذكرت

دوروثي سارنوف: "هنالك شيء مدهش في كل انسان ناقص مشوش حائر." عندما أتكلم معك أواجه أحجية مدهشة. أي نوع من الاشخاص أنت؟

كثيرون منا يحاولون قول ما يتوقع قوله ويقلقون اذ يرون أنفسهم مختلفين عن الآخرين. ولكن في نقطة الاختلاف هذه تكمن التجربة العميقة. وحين نكشف ذواتنا للآخرين بأمانة، من غير غرض بل من أجل أن نَفهَم ونُفهَم، فإن لقاء مؤثراً يكون في طور النمو.

اننا نحتاج الى حافز من غريب، من شخص لا يشبهنا يكون لفترة قصيرة مصدر غموض. والى ذلك فإن اللقاء مع غريب لا يتركنا أبداً كما كنا. وهو في أفضل حالاته لقاء بين قلبين وعقلين، لقاء سيكون دائماً جزءاً من مادة حياتنا.

واللقاءات مع الغرباء قد تقنعنا بألا نفكر في سائر البشر على أنهم غرباء، بل أناس يحبون ويعانون ويكتشفون ويتمتعون، تماماً كما نفعل نحن.

هذا العالم مليء بالناس فافتح قلبك وتمتع. مدَّ يدك والتق صديقاً.

أرديس ويتمان ■

الفضل للثلج

بعد مرور اسبوع على اقامتي في المدينة هبَّت عاصفة ثلجية. فتركت العمل وقدتُ السيارة وسط ثلج يعمي البصر الى ان بلغت البيت الذي كنت استأجرته قبل اسبوع. وفي اول الطريق المؤدي اليه رأيت كتلة ثلج ضخمة فاجتزت خلالها مسرعاً قبل ان اتوقف نهائياً.

وإذ هنأت نفسي على وصولي بالسلامة اخرجتُ رفشاً من صندوق السيارة وجرفت الثلج عن باقي الطريق المؤدي الى المرآب، ثم بدأت بازالته من الممشى المؤدي الى البيت. وعندما بلغت العتبة، فتح رجل كهل الباب وقال:

"شكراً، يا بني، لكنك تقيم في المنزل المجاور."

غ.ن.

خيال رومانسي

ذهبت لحضور مؤتمر لكتّاب القصة الرومانسية في احد الفنادق. وكان المصعد المؤدي الى طبقة الاجتماعات مليئاً بمؤلفين مغمورين ولكن متفائلين. فتوقف عند الطبقة الرابعة وفُتح بابه وحاولت امرأتان الدخول اليه.

فقال احد ركابه: "آسفون، ليس هناك مكان لشخص آخر." وعندما أُغلق الباب وتابعنا صعودنا ران سكوت مفاجىء على الموجودين فقال احدهم في رهبة: "انهما رئيستا تحرير."

فتضاحك آخر وقال: "نعم، ونحن رفضناهما!"

إ.هـ.

حاول المزارعون الهولنديون طوال قرون انتاج هذه الحسناء الاسطورية. وها هي الخرافة تحققت

قبيل منتصف ليل ١٨ فبراير (شباط) ١٩٨٦ كان غيرت هاغمان، منتج زنابق التوليب(١) وابن التاسعة والعشرين آنذاك، يقوم بجولته الاخيرة داخل مستنبتاته(٢) في قرية أود نيدورب التي تضمّ ٥٠٠ نسمة وتبعد ٣٠ كيلومتراً شمالا من أمستردام عاصمة هولندا. لقد مضت أيام وهو ينتظر بقلق تفتح اكمام زنابق هي نتاج إخصاب تهجينيّ واعد جداً. وكان جليد خفيف يعمّ الخارج، لكنَّ الدفء "الربيعي" الذي تنشره حرارة ٢٠ درجة مئوية داخل البيت الزجاجي سرعان ما سيفتح الاكمام الخضر ليُظهر لون تويجاتها.

وفيما هاغمان يجول ببصره على النبتات المزروعة في أصص متفرّقة، راح يفكر في محاولاته خلال السنوات السابقة

(١) التوليب نوع من الزنابق يدعوه بعضهم "خُزامى."

(٢) المستنبت أو الدفيئة «greenhouse» بيت زجاجي أو بلاستيكي لزراعة النباتات في غير مواسمها.

الزنبقة السوداء

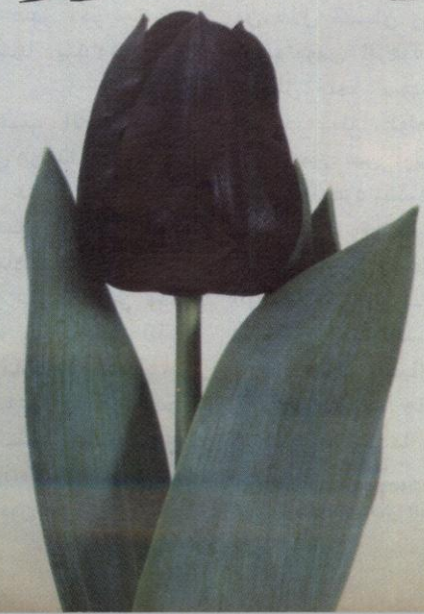

انتاج زنبقة داكنة حقاً. لقد عرف كم هو ضئيل احتمالُ أن ينتج من اختباره الاخير ضرب من التويجات شبه السود. فتهجينه نوعين من الزهر، الارجواني الفاتح مع الارجواني الداكن، كان يعطي دائماً أزهاراً أرجوانية أخرى. ولكن ربما هذه المرة... استغرق غيرت في أفكاره ماشياً بين غرساته المرهفة.

حلم الصبا. تنتج هولندا ٨٠ في المئة من بصل زنبق التوليب وزهره في أسواق العالم. وفي ١٩٨٨ زرع الهولنديون هذه الزنابق في ٧١١٠ هكتارات من الاراضي. وفي خريف ١٩٨٨ بيعت مئة مليون بصلة في السوق المحلية بقيمة ١٢،٥ مليون دولار بسعر التجزئة (المفرق أو القطّاعي). وصُدِّر نحو ١،٨ مليار بصلة الى الخارج بـ٤٥٠ مليون دولار. ومن أصل ٨٥٠ مليون زهرة بيعت بالمزاد العلني في هولندا عام ١٩٨٨، صُدِّر نحو ٧٠ في المئة. وخُمِّنت قيمتها بـ١٢٥ مليون دولار.

موطن بصل التوليب الاصلي آسيا الوسطى. وهو ظهر في هولندا للمرة الاولى في القرن السادس عشر، وسرعان ما غدت زهرته رمزاً وطنياً. واستأثر البحث عن انواع خاصة باهتمام المزارعين والمتاجرين والجمهور على الدوام. وعلى سبيل المثال، عَمَّت في مطلع القرن السابع عشر موجة مسعورة سعياً الى أنواح تُستنبت اصطناعياً لتعطي زهوراً مضطرمة الالوان مثل "فايسروي" و"سمبر أغسطس"(٣). وفي ذروة هذا الجنون توصّل المضاربون الى دفع ٦٠٠٠ غيلدر(٤) ثمن بصلة واحدة، في منطقة حيث كان المنزل يباع بـ٩٠٠ غيلدر! لكن حلماً لم يتحقق: انتاج زنبقة توليب سوداء. وبدا لفترة أن زهرة كهذه هي، مثل ذهب الخيميائيين القدامى، خرافة في بطن الغيب.

أحرزت هذه الخرافة شهرة عالمية بفضل رواية الكسندر دوما الابن "الزنبقة السوداء" الصادرة في العام ١٨٥٠، التي تصوِّر هولندا المضطربة في العام ١٦٧٢. بطل القصة كورنيليوس فان بيرل شاب في الثامنة والعشرين مهووس بانتاج التوليب حتى كاد ينسل زهرة سوداء، لكنه اقتيد الى السجن ظلماً في قلعة لوفستاين. ويقع في حب ابنة السجّان، روزا غريفوس، وهي تتبع تعليماته حتى تتوصل الى إزهار زنبقة سوداء.

من الاحداث الشهيرة في الرواية مشهد روزا وهي تُري كورنيليوس الزهرة من خلال قضبان زنزانته. "مسَّت شفتا كورنيليوس الزهرة برفق. كانت رائعة الجمال، لها سويقة مستقيمة كنصل السيف يبلغ طولها حوالى نصف متر وتعلو من بين أربع أوراق خُضْر مُلْس. وكانت الزهرة نفسها سوداء تماماً، تلمع كالهرمان." وفي ما بعد أطلق كورنيليوس فتزوج ماري، وتيُّمناً باسميهما سميت الزهرة التي أثارت ضجّة كبرى "توليبا نيغرا روزا بيرلانسيس."

هل نترك الخيال جانباً؟

يقول غيرت هاغمان اليوم: "قرأت كتاب دوما عندما كنتُ صبياً فسحرني.

(٣) Viceroy and Semper Augustus

(٤) الفيلدر الهولندي اليوم يساوي نحو نصف دولار.

غيرت هاغمان يعرض بفخر زنبقته السوداء.

وأجمل ما استطعت تصوُّره كان زرع التوليب وابتكار نوع كهرماني السواد."

ولد هاغمان عام ١٩٥٦ لطبيب في أود نيدورب. وهو اليوم رجل قوي البنية، أشقر، يرنو بنظرة واثقة نافذة. وهو متزوج تينيكي التي تصغره بأربع سنوات.

دعوة حقيقية. ترعرع غيرت في أود نيدورب. وكانت الحقول حول القرية مزروعة بالتوليب. وكان من جملة زارعيها هنك فان دام. بدأ غيرت في سنه العاشرة يساعد فان دام على اقتلاع البصل وتنظيفه. ويتذكر فان دام (٤٨ سنة) مبتسماً: "كان الصبي أقصر من ركبة جرادة عندما بدأ يعمل معي، لكنه كان منظّماً جيداً. وما ان بلغ السن الرابعة عشرة حتى كان يُشرف على فريق كامل يعمل في امرته. وعندما كانت عائلته تسافر لقضاء العطلة كان هو يفضل البقاء مع الزنابق."

بعد سنة تنقصها الحماسة في كلية التكنولوجيا المتقدِّمة في هارلم تخلى غيرت عن الدراسة ليلبي دعوته الحقيقية، زرع التوليب. والتحق وهو في العشرين بشركة "تريفلور فان دام". وخلال خبرته الميدانية ودراسته في معهد

Photos: Fotoburo Lex Salverda

التركيب الوراثي للنبات في فاجننجن امتاز بسرعة في تهجين النباتات، مع اهتمام خاص بالتوليب.

في وقت مبكر من العام ١٩٧٩ أنشأت ست شركات بستنة، من ضمنها "تريفلور فان دام"، اتحاد منظمات تحسين التوليب بهدف انتاج أنواع جديدة. وعين هاغمان مديراً للاتحاد. فتبعت ذلك تجارب تهجينية في مشتل هنك فان دام الممتد على مساحة ٤٠ هكتاراً. ويقول هاغمان: "كانت أمامنا لائحة طويلة من المشاريع لتحسين أنواع التوليب القائمة، لكن التحدي الاكثر اثارة كان انتاج زنبقة سوداء."

الطريق الى الضالة المنشودة طويل وصعب. وسابقاً، في العام ١٨٩١، أنتج البستاني الالماني الشهير إ. هـ. كريلاج "الزنبقة السوداء" لكنها كانت أرجوانية دكناء أكثر منها سوداء حقيقية. كذلك كانت عدة انواع أخرى تلت، مثل "الببغاء السوداء" و"الحسناء السوداء" و"اللؤلؤة السوداء". أما "ملكة الليل" الباذنجانية اللون التي سجلها ج.ج. غرولمانز من لِيس في ١٩٥٥، فقد أصبحت معروفة في الاوساط الشعبية باسم "التوليب السوداء" من دون أن تكون فعلا كذلك. ومع ذلك اقتنع كثيرون بأن ليس في الامكان انتاج نوع أكثر سواداً منها.

"أمهات" و"بنات". في ١٩٧٩ بدأ هاغمان تهجين زنبقة كريلاج "السوداء" و"الببغاء السوداء" و"الحسناء السوداء" و"يوكوهاما"، و"الغلّة الذهبية" في كل التركيبات الممكنة. وهو اختار النوعين الاخيرين، وكلاهما أصفر، ليس من اجل لونهما بل لما يتمتعان به من سمات كالطول وشكل البتلة. ويشرح قائلا: "التوليب نبتة هجينة، ويعني ذلك أن الخلايا التناسلية الذكرية والانثوية تحمل جينات مختلفة. فكل زهرة متحدرة من عدد هائل من الاصول، ولكل من هذه الاصول سمات مختلفة قد تظهر في نتاجها. وهذا ما يجعل التهجين مثيراً الى هذا الحد. فأنت تنتظر لسنين تفتّح الزهرات الاولى، ولا تستطيع أن تتكهن كيف ستبدو. وبعض تهجيناتي أنتج زنابق صفراً وحمراً دُكناً وأرجوانية وأرجوانية دكناً. ولكن لم تكن بينها أي زنبقة سوداء."

في مايو (أيار) ١٩٧٩ زاوج هاغمان زنبقة توليب من نوع "فينرفالد" وهي أرجوانية ذات تويجات بيض الاطراف مع أخرى من فصيلة "ملكة الليل." استعان بملقطين صغيرين لاستخراج الطلع (اللقاح) من مآبر عدة "آباء" من فصيلة "فينرفالد" ووزّعه بواسطة فرشاة ناعمة على مياسم عشرين زهرة من فصيلة "ملكة الليل." وفي نهاية يوليو (تموز) قص أزهار التوليب وعلّقها مقلوبة في غرفة التجفيف، ليتسنى له بعد عدة أيام هز البزور وحفظها في علب.

انتجت "الامهات" العشرون نحو ألف من البزور التي نُثرت في ديسمبر (كانون الاول) في صندوق إنبات مرموزة. وضع الصندوق في عنبر مكيَّف، وفي بداية ربيع ١٩٨٠ نقل الى المستنبت غير المدفأ. هناك كوّنت البزور بصيلات بالغة الصغر في حجم رأس عود ثقاب. ومن هذه نبتت

سويقات صغيرة خضر. وبعدما همد نمو السويقات اقتُلعت البصيلات في مطلع الصيف وخُزنت الى أن يحين موعد غرسها مجدداً. وتكررت هذه الدورة الزراعية مدة خمس سنوات، وكل ربيع وصيف كانت البصلات تنمو فيزداد حجمها قليلا. ويتذكر هاغمان: "في نهاية ١٩٨٥ كانت نمت تماماً، فزرعناها في أصص فردية. وانتظرنا ظهور الازهار الاولى في مستهل ١٩٨٦."

نجمة المعرض. في تلك الليلة من فبراير (شباط) جال هاغمان ببصره على زنابقه مرة اخرى. وفجأة تسمَّر في مكانه. هناك، وسط كل تلك الشتول الخضر، شاهد برعماً صغيراً صقيلا شديد القتامة. وقفزت فكرة الى ذهنه: انه أسود!

يقول: "عندما شاهدت تلك الزهرة الصغيرة في ذلك البحر من الاخضرار عرفت أن أمراً جللا حصل. شعرت كأني ملك. وكانت الاوراق دقيقة ومستقيمة كما في رواية دوما. الزنبقة السوداء التي أنتجها كورنيليوس فان بيرل كان طول سويقتها نصف متر، اما زهرتي فسويقتها أقصر قليلا."

بكّر غيرت صبيحة اليوم التالي بالاتصال هاتفياً بهنك فان دام الذي أثاره النبأ.

في تلك الاثناء أقيم معرض "وست فريزين" في بلدة بوفنكارسبل، وهو أكبر معرض مغلق للزهور في العالم ويجتذب نحو مئة ألف زائر سنوياً. ويروي فان دام: "غرسنا الزنبقة السوداء بعناية في وعاء أكبر وغلّفناها بقطن ونقلناها الى المعرض في مقعد سيارتي الخلفي."

أزال هاغمان وفان دام مآبر الزهرة كي تستحيل سرقة المادة الوراثية من غبار الطلع، ووضعا زنبقتهما على حدة تحت ساتر زجاجي على مسطبة من الحصى الابيض. وانطلقت الآلة الدعائية. اتصل فان دام بالسيدة هاغمان لكي تجلب لزوجها بذلة أنيقة وقميصاً بيضاء نظيفة. وتتذكر تينيكي: "عرفت أنه مقبل على عرض زنبقة جديدة، لكن غيرت كان أخفى عني النوع الجديد. وطلب مني هنك أن أسجل "عرض الاربعاء" على شريط الفيديو ذلك المساء. وعندما أدرت التلفزيون شاهدت غيرت مع الزنبقة السوداء!"

١٤ سنة أخرى! كما هو متوقع، أبرزت الصحافة الهولندية خبر الزهرة الجديدة. لكنَّ صحافيين من أماكن مترامية في العالم أخذوا أيضاً طريقهم الى قرية أود نيدورب الصغيرة، وبدأت تظهر في الصحافة العالمية مقالات عن زنبقة التوليب السوداء تحت عناوين مثل: "بعد بحث طال قروناً غدت الزنبقة السوداء حقيقة" ("الغازيت"، تورونتو، كندا)، "في عالم الازهار حدث شبيه بأول نزول على القمر" ("الديلي ميل"، لندن)، "الحسناء السوداء" ("نيو زيلند هيرالد"). وأخذ فان دام الزهرة الى مدينة كولونيا لتظهر في برنامج تلفزيوني مباشر، وظهر هاغمان على الشاشات الصغيرة في اليابان والبرازيل والولايات المتحدة.

وانهمرت التهانىء، ومعها سيل من

الاسماء المقترحة. لكن هاغمان يقول: "في الوقت الحاضر تحمل الخزامى رقم نبتتها فقط. فمن غير الممكن تسجيلها رسمياً قبل موافقة "الجمعية الملكية الهولندية لمنتجي الازاهير البصلية" في هيلغوم. لذلك عليّ أن أسلّم الجمعية كيلوغرامين من البصل لتزرعه في حقولها الاختبارية." وهو لن يفعل ذلك الا بعد أن يُنتج مخزوناً من ٢٠ كيلوغراماً. ويضاعف المخزون ليس انطلاقاً من البزور بل من البصل، بحيث تظل السّمات الوراثية للبصل الجديد مماثلة لسمات الاصلي. وفي هذا الضرب من التناسل تقطع الزهرة رأساً بعد تفتحها كي يتسنى للبصلة أن تستغلّ كل طاقتها من أجل نموّها الذاتي. وخلال الاشهر التالية قد يتطوّر داخل البصلة برعم جديد أو اثنان الى جانب البرعم الاصلي فتتكوّن بصلة جديدة أو اثنتان. تقشر "البصيلة" باليد وتزرع، فتنمو لتكوّن بصلة كاملة، وهذه بدورها تنتج بعد سنة بصيلات جديدة. بهذه الطريقة سيحصل هاغمان على ٢٠ كيلوغراماً من البصل بعد ١٤ سنة.

بعد ذلك يجب ان تمرّ ست سنوات قبل أن تطرح الزنابق السوداء في السوق.

واتحاد منظمات تحسين التوليب شهير في عالم تجارة الازهار بأنه محسّن للانواع. ويحوز هاغمان شهرة نامية في حقل الهجائن الجديدة التي تدوم زهورها طويلا في الآنية قبل أن تذبل.

ويعتبر الاتحاد زنبقة التوليب السوداء أحد أروع انجازاته. فتوقعات نجاحها التجاري كبيرة، ليس فقط بسبب لونها غيرِ العادي، فوفقاً لاقوال هاغمان، يُعتبر طولُ السويقة (٤٠ سنتيمتراً) مثالياً، كذلك صلابتها وصلابة أوراقها، اضافة الى ما تعد به صفاتها المميزة من حيث قابليتها للازهار المبكّر في بيت زجاجي أو بلاستيكي مدفأ. يقول بودفين ريب من "المركز الدولي للازاهير البصلية" في هيلغوم: "بعدما ذاعت الاخبار انهالت الطلبات الضخمة للحصول على الزنابق السوداء الجديدة. لكننا لا نستطيع الآن تلبية أي طلب. وسيكون لهذه الزنابق بالتأكيد مستقبل تجاري كبير."

أما فيم دي مونك، العالم البيولوجي الملحق بمختبر الابحاث البصلية في لِيس، فيرى "ان بصلة التوليب هي وعد بأشياء مقبلة."

ويضيف غيرت هاغمان: "الوعد هو أنها ستُنتج في السنة المقبلة زهرة جميلة. وأي وعد أجمل من زهرة توليب سوداء حلم بها الناس مئات السنين؟ هنا في هولندا حالفنا الحظ السعيد فحوّلنا الاسطورة واقعاً."

يوس فرستيغن ■

سكان الراديو

عندما وصل أول جهاز راديو الى احدى المناطق النائية قال صاحبه لأولاده ظهراً "والآن، يا أولاد، أطفئوا الراديو. فهؤلاء القوم يريدون أن يأكلوا هم أيضاً."

ل.ب.

مفتاح السعادة

اللهو شيء والسعادة شيء آخر
وما أكثر اللاهين غير السعداء!

أنا أحيا في دنيا أحلام حيث الشمس على مدار السنة. قد يظن المرء أن الناس في مكان زاهٍ لاهٍ كهذا هم أسعد من غيرهم. فان كان هذا ظنك فإن لديك أفكاراً مغلوطة عن السعادة.

كثير من الاذكياء يساوون السعادة باللهو. والحقيقة أن لا قاسم مشتركاً بين اللهو والسعادة. فاللهو هو ما نمر به خلال فعل ما، أما السعادة فنشعر بها بعد انقضاء الفعل، وهي احساس أعمق وأكثر ديمومة.

الذهاب الى متنزه للتسلية أو الى مباراة في الكرة أو مشاهدة فيلم سينمائي أو برنامج تلفزيوني، كلها نشاطات لاهية تعيننا على الاسترخاء الى حين، ونسيان مشاكلنا. وقد تجلعنا نضج بالضحك. لكنها لا تأتينا بالسعادة لأن آثارها الايجابية تتلاشى اذ يتوقف اللهو.

طالما راودتني فكرة أن الدور الذي يجدر بنجوم هوليوود أن يؤدوه هو تعليمنا أن السعادة لا شأن لها باللهو. هؤلاء الاشخاص ذوو الثروة والجمال يجدون على الدوام سبيلهم الى حضور حفلات رائعة واقتناء سيارات فارهة وبيوت باهظة الثمن وكل ما يشي بالسعادة. لكن المشاهير في سردهم سير حياتهم يميطون اللثام عن التعاسة المتوارية خلف لهوهم وعبثهم، فتبرز الكآبة وإدمان المسكرات والمخدرات والزيجات الفاشلة والاولاد القلقون والوحشة القاتلة.

إن تشبث الناس بوهم أن الحياة المترعة باللهو والخالية من الألم تساوي السعادة يقلل فرص بلوغهم السعادة الحقة. فموازنة اللهو والمسرّة بالسعادة هي مثل موازنة الألم بسوء الحظ. لكن الحقيقة أن خلاف ذلك صحيح: فالامور المفضية الى السعادة تشتمل في غالب الاحيان على مقدار من الآلام.

ويترتب عن ذلك أن أناساً كثيرين يتحاشون المساعي التي تتضمن ينبوع السعادة الفعلية. انهم يرتعدون خوفاً من الألم الذي تحمله أمور كالزواج وتنشئة

© 1989 by Dennis Prager. Condensed from Redbook (February '89), New York, N.Y.

الصغار والنجاح المهني والالتزام الديني وعمل الخير والتحسين الذاتي.

اسأل رجلا أعزب عن سبب عزوفه عن الزواج، على رغم أن مواعدة الفتيات لم تعد ترضيه، فسيخبرك بأنه يخشى الارتباط. فالارتباط في الواقع موجع. وحياة الاعزب ملأى باللهو والمغامرات والاثارة من كل لون. وفي الزواج لحظات من ذلك كله، لكنها قطعاً ليست سمته الغالبة.

وعلى نحو مماثل، الازواج الذين يستنكفون من الانجاب يأخذون قراراً باللهو المريح على حساب السعادة التي تحمل الألم. هكذا يمكنهم أن يتناولوا العشاء خارج المنزل كلما أرادوا، وأن يسافروا اينما شاؤوا وأن ينعموا بالرقاد الى الظهر.

أما الازواج آباء الرضع وأمهاتهم، فيندر أن يناموا ليلة كاملة أو أن ينعموا بقضاء عطلة. واني لا اعرف أباً واحداً يصف تربية الاولاد باللهو.

لكن الازواج الذين يقررون عدم الانجاب محرومون من لذة ضم الاولاد الى الصدور ومعانقتهم، أو دسهم في الفرُش ولفّهم بالاغطية ليلا. وتفوتهم متع مشاهدة الولد يكبر كما تفوتهم متعة ملاعبة الأحفاد.

اني أستمتع باللهو من دون ريب. فأنا أهوى لعب كرة المضرب وممازحة الصغار والكبار، ولدي هوايات شتى. لكن ضروب اللهو هاته لا تزيد من سعادتي. فالأمور الاكثر صعوبة، مثل الكتابة وتربية الاطفال وحفظ رابط حميم مع زوجتي وعمل الخير في هذه الدنيا، تمنحني سعادة لا ألقاها في شؤون اللهو، أقل الأمور ديمومة.

ان فهم انفصال السعادة الحقّة عن اللهو وقبول هذه الحقيقة انجاز عظيم محرِّر. انه يحررنا من إسار الوقت، فنقوى على تكريس ساعات أكثر لنشاطات تزيدنا شعوراً بالسعادة. وهو يحررنا من غلّ المال، اذ ان شراء تلك السيارة الجديدة أو هذه الملابس المبهرجة لن يمنحنا احساساً بالسعادة وهو لذلك ضرب من العبث. وهو يحررنا من الحسد، فندرك أن جميع هؤلاء الاثرياء الاخاذين الذين كنا نوقن أنهم سعداء لأنهم يلهون كثيراً ويمرحون، ليسوا سعداء بتاتاً.

وما ان نعي أن اللهو لا يجيئنا بالسعادة حتى نسارع الى تسيير حياتنا في اتجاه مغاير. وتكون النتيجة أحياناً انقلاباً حقيقياً.

دنيس براغر ■

الوقت هو الحياة

اذا حكمنا على الانسان من طريقته في التعامل مع الوقت، خيِّل الينا أنه يعيش طويلا. فهو توّاق أبداً الى رؤية الايام تنقضي. ومن تعابيره الشائعة عبارة "قتل الوقت." وما الوقت إن لم يكن الحياة نفسها؟

ك.ف.

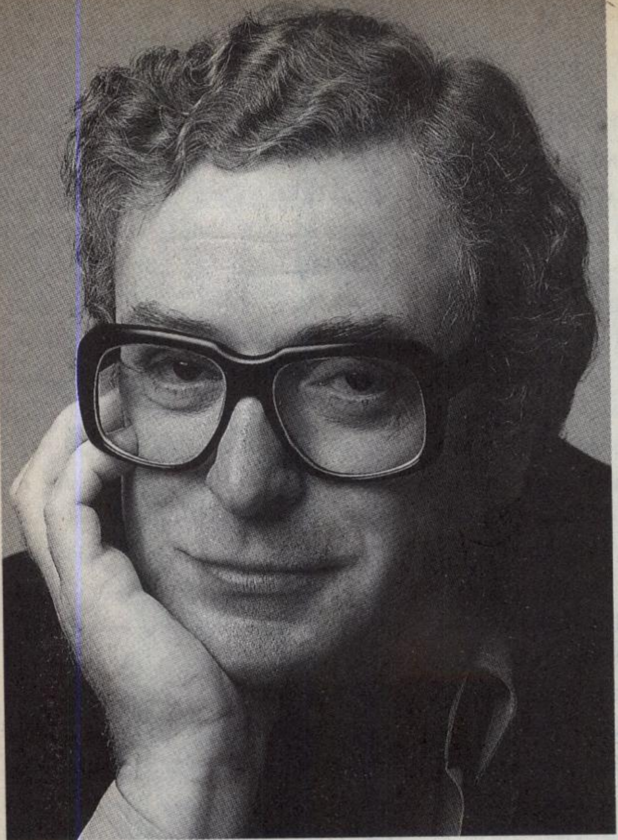
Douglas Kirkland /Sygma

مايكل كاين: التمثيل حياتي

نجم محبوب فاتن له مع السينما قصة عشق عمرها ٤٠ عاماً

توترت أعصاب العاملين في فيلم مليء بالمغامرات عنوانه "لا دليل" (١) خلال تصويره في لندن. اذ ان أحد الممثلين لم يستطع تأدية دوره على النحو المطلوب. وانقضت ساعة والممثل يعيد أداءه مرة تلو أخرى.

أمر المنتج والمخرج بوقف التصوير فترة وجيزة ليتداولا الأمر. فتقدم مايكل كاين، صاحب الدور الرئيسي في الفيلم، من الممثل المسكين وانتحى به جانباً وأعاد معه تمثيل الدور بروية. يقول

(١) Without a Clue

المنتج مارك ستيرديفانت معقباً: "لم يطلب أحد من مايكل أن يفعل ما فعل. لكنه أحس أن زميلا له في ورطة فأخذ على عاتقه أن يعينه. وجاءت النتيجة ممتازة، اذ عدنا الى التصوير بعد دقائق وجاء الاداء مرضياً."

يطلق الممثلون البريطانيون على مايكل كاين لقب "الحاكم" تحبباً. وهو اختير "ممثل العام" في فبراير (شباط) ١٩٨٨ لدى توزيع جوائز نادي "ڤارايتي"، وقد تحدثت الممثلة آنجيلا دوغلاس بلسان ألوف العاملين في السينما والتلفزيون مسمية اياه "الممثل المحبوب الفاتن."

كاين لندني أشقر يبلغ طول قامته ١٨٨ سنتيمتراً. وهو يحتفظ من صباه بآثار واضحة من لكنة سكان الأحياء الفقيرة في لندن، ويعدّها مكرمة له. انه أحد اللندنيين القلائل الذين تبوأوا مرتبة عالمية كنجم سينمائي. وخلال ٢٥ عاماً ظل اسمه على رأس ملصقات الاعلان ومثّل شخصيات الأبطال والأشرار وأدى أدواراً كوميدية صعبة في نحو ٧١ فيلماً.

وهو رُشح لجائزة أوسكار غير مرة عن أدواره التي لا تنسى في أفلام "آلفي" (١٩٦٦) و"الشرطي السري" (١٩٧٢) و"تربية ريتا" (١٩٨٣) (٢). وحصل أخيراً على الجائزة المشتهاة عن دوره الثانوي في فيلم وودي ألن "حنة وأختيها" (٣) عام ١٩٨٥. كما أنالته شخصية المحاضر في فيلم "تربية ريتا" جائزة أفضل ممثل من الاكاديمية البريطانية لفنون السينما والتلفزيون.

أسلوب كاين المحترف الهادىء غدا أحدوثة صناع الافلام السينمائية. فهو حاضر دوماً في الموعد المضروب، حافظاً سطور النصوص ومستعداً للتمثيل. يقول عنه نايجل هافرز الذي مثل دور ابنه في الفيلم الجاسوسي المثير "نافخ الصفارة" (٤): "ريقه لا يجف مهما طال الحديث. وأداؤه جيد جداً من اللقطة التصويرية الأولى. فلا داعي الى تصوير لقطة أخرى إلا لماماً. ان العمل معه يبعث السرور في النفس."

خلال الايام الطويلة المضنية في موقع التصوير يمكث كاين مع فريق العمل باثاً فيه روح الفكاهة. وهو يعضد الممثلين الآخرين بوقوفه خلف الكاميرا أثناء تصوير اللقطات المأخوذة من قرب، لكي يرى هؤلاء وجهاً انسانياً يتوجهون اليه فتدب الحياة في نصوصهم الجامدة. وفي ذلك يقول ستيرديفانت: "العمل السينمائي في نظره عمل جماعي ينبغي أن يتمتع به كل من حوله كما يتمتع هو."

ويعض كاين شفته قائلا: "اني أفضل الفيلم الذي يدر مالا على ذاك الذي يحوز أوسكاراً. فبهذا النجاح يطلب منك التمثيل في فيلم آخر."

وتمثيل كاين يأتي على السجيّة غير مكره، فيبدو سهلا ممتنعاً. وهو أخبرني في هدأة استراحة لدى تصوير فيلم "لا دليل": "يقول لي أحدهم: لا أدري لماذا يدفعون لك كل هذا المال، فلو تلقيت بضعة دروس لمثلت كما تمثل أنت."

ولقد أثبت كاين خطأ هذا القول عام ١٩٨٧ حين درب ممثلين شباباً في صف

(٢) Alfie; Sleuth; Educating Rita
(٣) Hannah and Her Sisters
(٤) The Whistle Blower

متقدم لتعليم التمثيل ترعاه شبكة التلفزيون البريطانية «BBC»، اذ قدم عرضاً للتمثيل السينمائي أخذ بألباب الحضور. وفي لقطة مأخوذة عن قرب أبرز الطاقة الوجدانية في الحركات الدقيقة، وبيّن بوضوح مقدرة الممثل على حصر فكره بالانصات والاستجابة أثناء حديث ممثل آخر. يقول كاشفاً مراده: "التمثيل المسرحي يشبه جراحة بالمشرط، فيما التمثيل السينمائي يشبه جراحة بأشعة ليزر."

والنقاد التلفزيونيون يصفون المقرر التعليمي الذي يعطيه كاين بأنه "حابس للأنفاس يستحوذ على العقل." وقد فوجىء كاين بموقفهم هذا، اذ يقول: "لم أعتبر نفسي أستاذاً قط. ولكن بعد ثلاثين عاماً ونيف من التمثيل السينمائي ألفيت نفسي أعرف أكثر مما ظننت."

لقد تعلّم كاين النجومية السينمائية بالأذن. ولد عام ١٩٣٣ باسم موريس ميكلوايت، وهو الابن الاكبر لحمّال من بيلنغزغيت. انزلق الى التمثيل متعثراً عندما كان تلميذاً في السادسة عشرة من مدرسة ولسون في بيكهام. فهو كان يسترق النظر الى صف للتمثيل المسرحي حيث كانت فتاة أعجبته، فتعثر مكباً على الباب الدوّار. وأدخله أستاذ تلك المادة في عداد تلاميذه لافتقاره الى الصبيان. لكن تردده الليلي الى دور السينما هو الذي أقنعه بأن حياة النجم السينمائي هي ما يصبو اليه.

لم تخبُ أحلامه أبداً، بل رافقته في مهن شتى مارسها، جابلا الاسمنت وحافراً الآبار وخابزاً الفطائر وخافقاً الزبدة. وهي شدت عزيمته أثناء خدمته في الحرب الكورية. وتعززّت أحلامه ابان عمله ساعياً لدى أحد مخرجي الأفلام، عندما أعطي دور صبي يقدم الشاي في فيلم قيد الاخراج.

استعار كاين كتباً عن التمثيل السينمائي من المكتبة العامة. وعلّمه كتاب ألّفه ممثل ومخرج روسي أن طرفة عين قد تفسد لقطة قريبة. وكانت أمه تسأله بالحاح اذ تراه يكره نفسه على الا يطرف بعينيه: "بم تحملق؟" وهو يتذكر ذلك: "كانت عيناي محوقتين بالاحمر وقد هيجهما الغبار والدخان، اذ ان طَرْف العين ينظفها." أما اليوم ففي وسع كاين أن يديم النظر متفرساً في عدسة الكاميرا في أطول لقطة تصويرية.

منتسب خام. لم يتلق كاين تدريباً مدرسياً في التمثيل، فعمد الى التقاط اشارات المنتجين وتوجيهاتهم. وأولهم آلوين فوكس الذي استخدمه عام ١٩٥٣ مساعداً في شركة الانتاج المسرحي التي يملكها. وأول دور مثله كاين متكلماً كان دور شرطي يلفظ سطراً وحيداً: "هلمّ يا سيدي." وسرعان ما رقّاه فوكس فأدّى أدواراً ذات شأن. واستقى مايكل اسمه الفني "كاين" من فيلم عرض آنذاك بعنوان "عصيان كاين."

عام ١٩٥٥ تكهنت المخرجة المسرحية الشهيرة جون ليتلوود بمستقبل كاين حين خطا الشاب المعدم ابن الثانية والعشرين على خشبة مسرحها. فهي زجرته آنذاك: "أعد تمثيل الدور يا مايكل، فإني لا أريد سخافة نجم في مسرحي."

ويقسم كاين أنه حتى اليوم لا يدرك مرمى قولها ذاك. لكنه تلقن درساً قيّماً من الوقت الذي أمضاه في اشرافها: قالت ذات يوم: "التمرين هو العمل، وما الاداء سوى استرخاء. وانها نصيحة لا تقدر بثمن لممثلي السينما. وكل الاهوال التي واجهتها في اشراف جون تهون أمام عظمة تلك الجملة التي قالتها."

على مدى عشر سنين مثّل كاين في مدن لويستوفت وليفربول ولندن، وظهر في تمثيليات تلفزيونية وأدى أدواراً صغيرة في عدد من الأفلام. وكان في الثلاثين حين سطع نجمه إثر تأديته دور الملازم الاريستوقراطي غونفيل برومهيد في فيلم "زولو" (٥). وأفضى به ذلك الى دوره الشهير صائد الجواسيس هاري بالمر في فيلم "ملف ايبكرس" (٦) فحاز شارة النجومية اذ وضع اسمه فوق عنوان الفيلم في الملصقات الاعلانية.

ويعتقد كاين أن الفيلم الوحيد الذي سيخلده بعد وفاته هو "الرجل الذي غدا

---

(٥) Zulu

(٦) The Ipcress File

Globe Photos

كاين مع أحد العاملين في فيلم "لا دليل."

Photographers International / Outline Press

كاين في دور مفتش اسكوتلنديارد في مسلسل تلفزيوني عن "جاك السفاح" صور عام ١٩٨٨.

83. Staatliche
Nordwestdeutsche
Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

"إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!"

ربح مضمون لكل ثالث ورقة تشتريها
خلال الستة أشهر لمدة سريان اليانصيب
٢٦ فرصة للربح!

Nordwestdeutsche Klassenlotterie Staatliche

إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، أو شيك عادي، أو شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- بدورنا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي حسم. كما أن إسم الرابح يبقى سريا تماما.
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم.

والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني ...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائز أخرى عديدة. إنه مدهش حقا! فأكثر من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨٣ حوالي ٢٤١ مليون مارك ألماني أو ١٣٧،٩ مليون دولار أمريكي، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٢ مليون مارك ألماني.

لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالإشتراك في هذا اليانصيب:
جوائز مالية بقيمة ٢٤١ مليون مارك ألماني
٢ × ٣ مليون مارك ألماني الجائزة الكبرى
٣ × ٢ مليون مارك ألماني
٢٢ × ١ مليون مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٧٩ ٩٩٩ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠٠٠٠ مارك ألماني

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٢ × ٣ مليون مارك ألماني.

تطرح ٧٠٠٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه السبعمائة ألف ورقة يربح ٢٨٠٠٢٥ رقم في دورة السحب: وبهذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث رقم!

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٦ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٦ سحبا وبالتالي ٢٦ فرصة لكي تصبح مليونيراً! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

---------- قسيمة الاشتراك ----------

83. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب ألمانيا * يجرى السحب ابتداء من ٢٩ سبتمبر ١٩٨٩ لغاية ٢٣ مارس ١٩٩٠

إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ١/٤ ورقة. ولا تنسى: على أي حال، كل ثالث رقم يربح مضمونا! جرب حظك!

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة

	* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقديرية فقط. للإطلاع على الأسعار بالتحديد الرجا الإتصال بمصرفكم المعتمد.	
	١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٣٩٥ دولار أمريكي أو ٢٤٧ جنيه إسترليني)*
	١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٠٥ دولار أمريكي أو ١٢٨ جنيه إسترليني)*
	١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١١٣ دولار أمريكي أو ٧٠ جنيه إسترليني)*

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أنحاء العالم.

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو ببطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستر كارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة بعد كل سحب. ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانونية!

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة ○
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name ____________ الإسم
Surname ____________ اللقب
Street ____________ الشارع
P.O.B. ____________ ص . ب
City ____________ المدينة
Country ____________ الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Handling charges for payment by credit card 6% رسوم المعاملة للدفع ببطاقة الإئتمان ٦ ٪

Name of Card Holder ____________
Acc. No. ____________
Expiration Date ____________
Signature ____________

فاجئوا من تحبّون بهديّة لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٤ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٤) خلال الفترة بين ١/٦/١٩٨٩ و٣٠/٥/١٩٩٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٤٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ________________

____

عنوانه ________________

____

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

مع أخلص تمنيّاتنا

ملكاً" (٧) حيث مثل مع شون كونري دور جنديين سابقين يسعيان الى الثروة في جبال حملايا، كما صورهما المؤلف رديارد كيبلنغ في روايته. لكن الدور الماثل في أذهان العامة هو أحد أدواره الباكرة في "آلفي" قصة المؤلف المسرحي بيل نوتون عن فتى من سكان الاحياء الفقيرة في لندن لا تقوى النساء على مقاومة سحره.

بعد "آلفي" مثل كاين في فيلم "شمس المغيب" (٨) من اخراج أوتو بريمنغر المعروف بقسوته. وقد واجهه كاين بنظرة صارمة من وراء نظارتيه قائلا: "سمعت أنك تزعق في وجوه الناس. لا تصرخنَّ في وجهي أبداً!" فابتسم بريمنغر قائلا: "لن أصرخ في وجه آلفي ما حييت."

وقد لاحظ الممثل الراحل بيتر سيلرز أن كاين يدأب على القول: "قليلون يعرفون ذلك" بعد أن يتلفظ بأمر غامض غير مفهوم. ويقرّ كاين بأنه مفتون بدقائق الأمور في الحياة، غير أنه ينكر استخدامه هذا التعبير. في أي حال، رد كاين المزاح بظرافة: ففي غضون خمس سنوات حشا أربعة كتب بوقائع وطرائف غريبة من خبرته، متبرعاً بريعها الى الجمعية الوطنية للتمثيل.

وذاكرة كاين القوية تربط حياته الحاضرة بماضيه. فلم ينس أبداً الضرب المبرح الذي أوسعته اياه امرأة وضع في عهدتها بعد إجلائه في السادسة من عمره في بداية الحرب. وعرفاناً بفضل "الجمعية الوطنية لحماية الاطفال" التي أنقذته، أعطى من وقته بسخاء لإعداد أشرطة فيديو حول ايذاء الاطفال تعرض على رجال الشرطة والعاملين الاجتماعيين.

موهبة ادارية. يوظف كاين أمواله في الأملاك والمطاعم. وهو مدير شركة "ماي بوكس" التي تسعى الى تعزيز ارتياد السينما بافتتاح دور على النمط الحديث تضم نحو ١٦ شاشة ومقاعد "حميمة" في كل صف خلفي.

عام ١٩٨٥، في هوليوود، شعرت زوجته الهندية "شاكرة" بحنينه الى بريطانيا، موطنه الاصلي، فقالت له: "لنعد الى هناك." وهكذا، بعد عقد من السنين أمضاه كاين في الولايات المتحدة حيث عمله، باع بيته في بيفرلي هيلز واشترى شقة سكنية في تشيلسي ومزرعة في أوكسفورد شاير على ضفة نهر التايمس.

ولكي لا يحرم ابنته ناتاشا (١٦ عاماً) الامسيات العائلية الدافئة التي عاشها في صباه، أرسلها الى مدرسة لندنية نهارية. وهو قال مرة للكاتب السينمائي ديفيد ليوين: "اني أبذل وسعي لأجعل ابنة مليونير تحيا كفرد من الطبقة الكادحة."

وبيته الريفي قرب والنغفورد يبعد نحو ساعة بالسيارة من بيت دومينيك (٣٢ عاماً) وهي ابنته من زواج سابق. وبيته قريب أيضاً من منزل أمه (٨٩ عاماً) التي يصفها بانها "أشبه بالأطهار. لقد عاشت ٥٠ عاماً في عَوَز، وأكبر ثواب لي أني أرحتها من همّ المال."

وصل كاين الى أوكسفورد شاير بعد

---

(٧) The Man Who Would Be King
(٨) Hurry Sundown

أشهر من التنقيب عن منزل مختلٍ في قرية ذات طرق غير نافذة وليس فيها حانات ولا دكاكين تنتشر فيها الأقاويل. بيته هناك يوحي نمطاً انكليزياً للحياة الراقية. وعلى ضفة النهر زرع كاين ١٠٠٠ متر مربع من الأسيجة النباتية، وحفر بحيرتين لتوفير مواضع لاعشاش الطير. وتكثر طيور الماء السابحة هناك. وحين ينهض كاين فجراً يسرِّح ناظريه بمرأى مالك الحزين واقفاً على جسر قريب.

لكن هذا الوصف ليس سيناريو للتقاعد. اذ بعد فراغ كاين من فيلم "لا دليل" مثل دور مفتش من اسكوتلنديارد في مسلسل تلفزيوني عن "جاك السفاح." ثم عكف على فيلمه الأخير "أوغاد خبثاء قذرون" (٩) الذي يمثل فيه مع ستيف مارتين دور محتالين في الريفييرا الفرنسية. وقد يحضه نجاح صفه التعليمي على دخول معترَك الاخراج السينمائي، وهو أنشأ شركة انطلاقاً من هذه الفكرة.

كاين، النجم السينمائي، ما زال مفتوناً بالافلام كعهده اذ كان صبياً يقدم الشاي وينظر بعينين واسعتين قبل ٤١ عاماً. يقول: "اني مولع بالتمثيل أمام الكاميرا وتمضية أسابيع مع فريق عمل، فحينئذ نكون أسرة واحدة كبيرة يتساند أفرادها لصنع عمل جميل. لقد كان التمثيل السينمائي حياتي لاكثر من ٢٥ عاماً. وليس في الدنيا شيء أقايضه به."

جون انيس ■

(٩) Dirty Rotten Scoundrels

الصيّاد والشبكة

خلال العطلة التي قضيناها في قرية اسكوتلندية لصيد السمك، لاحظت مع أخي صياداً يصلح شبكة كبيرة ذات حجم غير عادي. وكانت "عيونها" واسعة الى حد لم نستطع معه الاتفاق على نوع السمك الذي يعلق بها. ودفعنا فضولنا الى الاقتراب من الصياد وسؤاله: "لماذا تستعمل هذه الشبكة؟" فأتى ردّه: "لكرة القدم."

س.س.

حديث صيني

بينما كان أخي وزوجته يقومان برحلة في الصين، دخل رجل مقصورتهما في القطار وتجاذب الحديث معهما. وبعد أن تكلموا عن امور بلديهما، سألهما الصيني اذا كانا يحبّان الطعام الصيني مسمّياً أكثر من اثني عشر صنفاً. فاجابا انهما يحبانها كلها.

وبعد بضع ساعات دعيا الى مقصورة الطعام حيث اكتشفا دهشين، أنهما طلبا كل الاصناف التي تكلّما عنها مع زائرهما... النادل.

أ.ك.

لعبة الارقام

الارقام الاحصائية أشباه وقائع يتقبلها الناس من دون سؤال. لكن كثيراً منها غير صحيح

الاحصاءات هاجس عمومي. فالسياسيون يلوحون بها لتعزيز مراكزهم، والمعلنون لا ينفكون يقصفون بها المستهلكين، والشركات تأخذ في ضوئها قرارات بملايين الدولارات. في الماضي كانت دوائر إحصاء السكان تكتفي بتعداد الناس، أما الآن فهي ترتب كل شيء في جداول: من الكتب والأحذية الى الدمى والقبعات.

يقول بيتر رويتر وهو خبير اقتصادي في شركة "راند": "الارقام توحي الفهم." ويضيف مايكل جاي روبنسون مستشار مؤسسة "غالوب - تايمز ميرور" للاحصاءات: "في الارقام نوع من الامان، فحين يستعملها المرء لا يمكن أن يتهم بالتحيز العقائدي أو السياسي."

ولكن نادراً ما نشك في الحقيقة وراء الارقام، علماً أن التلاعب بها سهل جداً. ومهما يكن موقفك فهناك إحصاءات تدعمه: الجريمة؟ إنها تخفّ إلا إذا كنت مسؤولا أمنياً تطالب بموازنة أكبر، فعندئذ تصبح في ازدياد. التربية والتعليم؟ ان في وسع مديري المدارس في كل مكان أن يثبتوا أن علامات تلاميذهم أعلى من المعدّل العام.

أحياناً كثيرة تلفَّق الارقام من أجل دعم المواقف، مع أنها لا تخرج عن كونها تخمينات. لكنها ما ان تجد طريقها الى السجلات العامة حتى تصبح لها صفة راسخة. خذوا مثلا الرقم "١٤٠ مليار دولار" الذي قدرت به تجارة المخدرات غير المشروعة في الولايات المتحدة. ظهر هذا الرقم في الصحف وأبرزه النائب تشارلز راندل عام ١٩٨٨، وهو رئيس "لجنة ضبط المخدرات والحدّ من سوء استعمالها." ان دقّة الرقم الظاهرية - ١٤٠ وليس ١٠٠ أو ١٥٠ مثلا - توحي المعرفة. ولكن من أين أتى هذا الرقم؟

Condensed from U.S. News & World Report (July 11, '88), © 1988 by U.S. News & World Report, Inc., Washington, D.C. Photo: Ernest Coppolino

يعود هذا الرقم في الاصل الى العام ١٩٧٨ حينما قدرت "لجنة الاستخبارات الوطنية عن مستهلكي المخدرات" تجارة المخدرات بخمسين مليار دولار. وفي العام ١٩٨٠ قفز الرقم على نحو غامض الى ٨٠ مليار دولار. وما لبثت اللجنة أن تخلّت عنه بعد تعرّضها لجملة انتقادات. وفي وقت لاحق وضعت "لجنة رانغل" يدها على القضية. وحسب جون كوزاك، الرئيس السابق لفريق اللجنة، أن تقدير لجنة الاستخبارات الوطنية ارتفع ٣٠ مليار دولار في ثلاث سنوات، لذلك "فان زيادة ١٠ مليارات دولار في السنة أمر منطقي." وهذا ما درجت عليه اللجنة منذ ذلك التاريخ على رغم اعتراف كوزاك بأن الرقم "غير دقيق علمياً."

أما اعتبار نتائج جميع الامتحانات فوق المعدّل العام فهو مثل تقليدي على التلاعب بالاحصاءات. ففي العام ١٩٨٧ أعلنت جميع الولايات أن تلاميذها نالوا علامات فوق المعدّل العام في امتحانات القراءة والكتابة والحساب. وواضح أنه لو كان المعدّل العام معياراً إحصائياً صحيحاً لجاءت نتائج بعض الولايات أدنى منه حتماً. وقد تبين أن المعدلات العامة لهذه الامتحانات لم تراجع أو تعدل منذ عشر سنين. وبما أن هناك أكثر من عشر مجموعات من الامتحانات، فقد درجت كل مدرسة على اختيار الامتحان الذي يتوافق ومناهجها. وعمد المعلمون الى تفصيل الدروس وفق هذه الامتحانات.

والعبث بالعينات هو من الطرق الشائعة لجعل الاحصاءات تأتي داعمة للنتائج المرجوة. وهي الطريقة التي استخدمها طرفا المناظرة التي تناولت قضية رفع السرعة القصوى الى ٦٥ ميلا (١٠٥ كيلومترات) في الساعة. ولقد استخدم الفريقان المتقابلان البيانات نفسها ليثبت كلّ وجهة نظره. فوفقاً لطريقة ترتيب الولايات في العينة، يمكن المرء أن يثبت أن السرعة التي جاوزت الحد الاقصى تسببت في عدد أكبر، أو أصغر، من حوادث السير القاتلة.

لماذا يتأثر الناس بالارقام الى هذا الحد؟ "لأن أحكام البشر وحدسهم عرضة دائماً للخطأ،" يجيب ايموس تفيرسكي أستاذ علم النفس في جامعة ستانفورد. وهناك أخطاء شائعة نقع فيها لدى

تفسير الاحصاءات. ثمة قاعدة أولى هي النزعة الى تضخيم الخسارة أكثر من الربح. فالناس يصبحون أكثر استعداداً لدعم برنامج للصحة العامة اذا أخبروا كم من السكان سيموتون من دونه، وليس كم منهم سينجون به. ولقد وجد علماء النفس أن الناس قلما يشكون في القرائن المسوقة بالأرقام - فهم يتقبلون اعلاناً أن مسحوقاً للتنظيف هو "أفضل ٣٥ في المئة" من دون أن يسألوا: "أفضل من ماذا؟" وأهم من ذلك أن الارقام أصبحت تؤدي دور الطرفة أو الحكاية التي فرضت وجودها، تلك التي يتناقلها الناس من دون سؤال عن مصدرها.

بعد اختفاء ابنه، نظم جون والش حملة إعلامية عن الاولاد المفقودين. وعلى اثر مقابلات أجراها مع المنظمات المعنية بالاولاد المفقودين في انحاء الولايات المتحدة خرج برقم هو ٥٠ ألف حادث خطف سنوياً. فدبّ الخوف في نفوس الأهل، وظهرت صور الاطفال المفقودين على علب الحليب، وأنشأت وزارة العدل مركزاً خاصاً بالاطفال المفقودين والمستغلّين. ولم يعد المركز ينشر تقديرات. فخلال أربع سنوات من العمل لم يتلقَّ الا ٤٧١ تقريراً مصدَّقاً عن حوادث خطف نفذّها غرباء. وهناك رقم آخر ذو تاريخ غريب هو "ثلاثة ملايين أمريكي من دون مأوى." في العام ١٩٨٠ برز ميتش سنايدر، المدافع عن حقوق المشردين، وطلب من ١٠٠ هيئة ومنظمة تقدير نسبة المشردين في ٢٥ مدينة وولاية. وهو تلقى أرقاماً راوحت بين عُشر في المئة وواحد في المئة. وعندما كرر الاحصاء في العام ١٩٨٢ حصل على الارقام ذاتها. عندئذ راح يعلن أن "واحداً في المئة من السكان، أي مليونين و٢٠٠ ألف نسمة، هم من دون مأوى." ثم أضاف أن الرقم "ربما" وصل الى ثلاثة ملايين في العام ١٩٨٣. وتناقل الناس هذا الرقم.

وعمى الارقام يهدد حتى الخبراء. والانهيار المفاجىء في سوق القطع في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ فجَّرته الارقام التي نشرتها الحكومة وأظهرت عجزاً في الميزان التجاري (الامريكي) فاق توقعات وول ستريت(★) بمليار ونصف مليار دولار. صحيح أن الارقام التجارية معروفة بعدم دقتها بسبب صعوبة تعقب الصادرات ورؤوس الاموال، لكن هذا رقم أعلنته الدولة فاكتفى به الخبراء وأخذوا على أساسه قرارات بمليارات الدولارات. وفي وقت لاحق خُفض هذا الرقم الذي سبب انهيار السوق الى ٦٠٠ مليون دولار.

يقول بروس مايرز مدير قسم الابحاث في وكالة BBDO للاعلانات: "اننا نعتمد على الارقام أكثر من اللزوم. الابحاث تساعد في التوصل الى أحكام، الا أنها ليست بديلا منها."

ولكن اليكم هذا الرقم الذي يوضح كيف تتقبل دنيا الاعمال هذه النصيحة: يدرّ قطاع الاحصاء أكثر من ملياري دولار سنوياً، وهو ينمو بمعدل ١٥ في المئة سنوياً.

ستيفن بوديانسكي ■

(★) وول ستريت (Wall Street) هو شارع المال في نيويورك.

أضحت هذه المدينة الالمانية نموذجاً يُحتذى في مجال الاختراعات التكنولوجية والتخطيط الاقتصادي السليم. وتؤمِّن التقنيات الجديدة المُتبعة فيها طرقاً مثالية للحفاظ على البيئة

طَاقة «نظيفة» من أصْدقاء الطبيعَة

صورة من الجو لروتفيل تُظهر مشاريع الطاقة في أرجاء المدينة.

روتفيل مدينة تحوقها التلال في وادي نهر نيكار. وهي تفتن زوارها بمنظرها الخلاب اذ تبدو كأنها صورة على بطاقة بريدية. شوارعها الضيقة محفوفة ببيوت قرميد ذات واجهات ملونة وشرفات مقفلة ناتئة. وتتسامى قببها العالية فوق متاهة من السطوح.

يعود تاريخ هذه المدينة الى العام ٧٠ الميلادي. وهي غنية بالآثار الرومانية وبروائع فنية من العصور الوسطى. إلا إنها، في المقابل، تعتبر نموذجاً للتمدن في الطريقة التي تتبعها لتوفير الطاقة والحفاظ على البيئة. وقد تم توفير أكثر من مليون مارك ألماني (نحو ٥٠٠ ألف دولار) سنوياً منذ الشروع في برنامج فذّ للطاقة في منتصف السبعينات. ولا يزال سكانها الذين يبلغ عددهم ٢٣٥٠٠ نسمة، يتنشقون هواء نقياً نسبياً بفضل

سيغفريد ريتش.

مصادر الطاقة التي لا تطلق الا نزراً يسيراً من الغازات السامة التي تقلق المناطق الأخرى.

ولا عجب أن تصبح روتفيل قبلة خبراء الطاقة وعلماء البيئة ومهندسي المدن الذين يؤمونها من أنحاء اوروبا لكي يتعلموا تقنية انتاج الطاقة بطرق أنظف وأقل كلفة. ويهتم هؤلاء أيضاً بحقيقة بلوغ مدينة روتفيل مرحلة شبه استقلال عن محطة التوليد العمومية التي تحتكر كهرباء المنطقة.

طاقة "بلدية." يعود فضل كبير في انطلاقة مشروع المدينة وسيره السليم الى سيغفريد ريتش مدير شركة الخدمات البلدية.

ولد ريتش في شتوتغارت وبدأ حياته المهنية وقّاداً في قطار. ثم تقدم الى

bild der wissenschaft / Zeller
released by Reg. Präsidium Stuttgart Nr. 2/49228c. Aerial photo Albrecht Brugger, Stuttgart

فحص كسائق قاطرة في مصلحة السكك الحديد الالمانية الإتحادية. وكان يتلقى دروساً ليلية بهدف الحصول على شهادة في الهندسة. ثم نال شهادة في العلوم الاقتصادية. وفي العام ١٩٦٩، اختير مديراً لشركة الخدمات البلدية وهو في التاسعة والثلاثين من العمر.

وخلال أزمة النفط عام ١٩٧٣ اشتد طموح ريتش الى استعمال الطاقة التي كانت تشتريها روتفيل من محطة التوليد العمومية، على نحو أكثر فاعلية. فاستعان بخبراء وبأدمغة الكترونية لوضع برنامج لمراقبة الطاقة الكهربائية المرسلة الى سكان المدينة. وعندما كان الاستهلاك يرتفع كثيراً في ذروة ساعات العمل كانت معامل روتفيل الضخمة ومستشفياتها تُفصل تلقائياً عن الموزع الرئيسي وتستعمل مولداتها الخاصة بالحالات الطارئة. وقد جهَّز ريتش معامل وورشات أخرى بعدادات ذات أضواء أو أجراس للانذار. وكانت هذه الاشارات تنبِّه الصناعيين لدى استهلاكهم مقداراً كبيراً من الطاقة، فيعمدون الى توقيف بعض الآلات عن العمل. ونجحت التدابير التي اتخذها ريتش ولم تلبث المدينة أن بدأت توفر نحو مليون مارك سنوياً.

سيارات على الغاز. ظل ريتش يتطلع الى وسائل أخرى لتوفير الطاقة. وسرعان ما أقنع سكان روتفيل باستعمال الغاز الطبيعي للتدفئة عوض النفط والفحم الحجري. قال لهم: "الغاز الطبيعي ليس أقل كلفة فحسب، بل هو أنظف الى حد بعيد جداً. فهو يطلق نسبة أقل كثيراً من ثاني أوكسيد الكبريت، وأوكسيد النتريك وثاني أوكسيد الكربون."

واليوم يعتمد اكثر من ٦٠ في المئة من المنازل الغاز الطبيعي للتدفئة والطبخ.

ولجعل مصدر الطاقة هذا أكثر اغراء لمالكي البيوت، تُقدم شركة الخدمات البلدية تسهيلات في تأجير اجهزة التدفئة وصيانتها. وتسجل العدادات في كل بناية ما يستهلك من حرارة للتدفئة ومن مياه ساخنة. وتحصِّل الرسوم كل شهرين. وقد فضَّل كثيرون نظام الشركة هذا نظراً الى ارتفاع كلفة شراء الاجهزة وصيانتها. وفضلا عن ذلك، فهم يقولون إنهم يدفعون الآن رسوماً أقل ١٨ في المئة مما كانوا يدفعون سابقاً عندما كانوا يستعملون أفرانهم الخاصة.

ويوفر الغاز الطبيعي الطاقة لأربع سيارات تابعة للشركة، تسير كلٍ واحدة منها مئات الكيلومترات قبل أن تُعبأ من جديد. ويقول ريتش في هذا المجال: "انها رائعة للقيادة في المدينة. وأداؤها يضاهي أداء السيارات التي تعمل على البنزين.

أما ما تطلقه من غازات فيعادل ما تطلقه السيارات المزودة محولا حفّازاً (١)."

غاز حيوي. بذل ريتش مساعي أكثر ابتكاراً في جعل روتفيل أقل اعتماداً على الطاقة التي يزودها اياها المولد العمومي. ففي العام ١٩٧٨ بدأ يسعى لدى المجلس البلدي كي يوافق على بناء

(١) Catalytic converter

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض على المشتركين الجدد فيها بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠ اربعة اعداد اضافية مجاناً مع كل ١٢ عدداً. فالمشترك لمدة سنة (١٢ شهراً) يتلقى ١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً اي انه يربح ٣٣٪ فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار" الى عنوانكم، بادروا الى ملء هذه القسيمة وارسلوها مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً، وارسلوا القسيمة والشيك بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين المذكورين خلف هذه القسيمة.

الاسم ________________

____

العنوان ________________

____

التاريخ ________________

التوقيع ________________

الـرجاء ارسـال القسيمة والشيـك بالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

معملين لانتاج طاقة للتدفئة. ويولد هذان المعملان الكهرباء فيما يؤمنان الطاقة اللازمة للتدفئة.

وهذه التكنولوجيا سهلة نسبياً: هناك محرك يعمل على الغاز موصول بمولد. وهو، كبقية المحركات، يطلق حرارة في الجو وفي الماء الذي يبرد المحرك. وفي حال انتاج طاقة كهربائية وحرارية، في آن، فان فاعلية الطاقة الاولية(٢) التي يدار بها المحرك هي أعلى بضعفين مما في حال توليد الكهرباء فقط. وهذا يعني امكان استعمال ٨٥ في المئة من الطاقة، في مقابل ٣٨ في المئة فقط في المعامل التقليدية لتوليد الطاقة.

عام ١٩٧٨ بني أول معمل من أصل ٢٣. وتدير سلطات المدينة اليوم عشرين معملا من هذا النوع، وهناك ثلاثة تملكها مصانع خاصة تستخدمها. وتنتج هذه المصانع مجتمعة ٣٠٠٠ كيلوواط من الطاقة الكهربائية أي ١٤ في المئة من مجمل حاجة المدينة. وتؤمن المياه الساخنة لنحو ١٥٠٠ بيت ومكتب ومصلحة عبر أنابيب عازلة تمتد حوالى ١٥ كيلومتراً. والمعمل الذي يؤمن الطاقة لمجمَّع "أكواسول"، وهو مركز للتسلية والرياضة في المدينة، يوفر سنوياً نحو ٢٠ مليون ليتر من وقود التدفئة ولا يطلق ثاني أوكسيد الكبريت.

وقد بني مصنع لتوليد طاقة للتدفئة بالقرب من مركز تنقية مياه المجاري وتكرير المياه. ويفسر ريتش ذلك: "ما نقوم به هناك هو استخراج البقايا العضوية، وضخها في براميل، وتلويثها بجراثيم الميثان لانتاج غاز حيوي(٣) نستعمله وقوداً لمحرك معمل توليد طاقة التدفئة."

ويحتوي الغاز الذي يتم انتاجه بهذه الطريقة على نحو ٧٠ في المئة من الميثان. الا أنه يطلق أبخرة أكثر من الغاز الطبيعي المكوَّن من الميثان الصرف بنسبة تكاد تبلغ ١٠٠ في المئة. الا أن ما يطلقه من ثاني أوكسيد الكبريت، هو جزء يسير مما يطلقه الوقود النفطي (٠،٠٣٣ غرام في كل كيلوواط/ساعة في مقابل ٠،٥٠٤ غرام يطلقه الوقود المنزلي.)

تصنيع النفايات. لما كان موقع روتفيل مثالياً على ضفاف نهر نيكار، فلديها أيضاً معملان لتوليد الكهرباء من الطاقة المائية ينتجان مجتمعين ١٤٠ كيلوواط. وسيبنى معمل ثالث تبلغ طاقته الانتاجية ٢٧٠ كيلوواط. وعندما ينتهي بناؤه ستنتج المدينة ١٥،٥ في المئة من حاجتها الكهربائية. ويقول العمدة مايكل آرنولد: "هدفنا ان نؤمن لسكان المدينة طاقة رخيصة من دون أن نلوث البيئة حولنا. واننا نعتقد أن مشروعنا هذا يستحق توظيفاً ضخماً أكان من ناحية الجهد أم من ناحية التمويل."

ويعكف ريتش على درس تكنولوجيات جديدة. وقد ساهمت وزارة الابحاث والتكنولوجيا في بون في تمويل دراسة رائدة لامكانات تصنيع النفايات المنزلية وتحويلها طاقة مفيدة وفي الوقت نفسه تقليص تكاليف رمي النفايات وطمرها وتخفيف أثرها المؤذي في البيئة. وقد

(٢) Primary energy input

(٣) Biogas

شارك في هذا المشروع خمسة آلاف ملاّك في روتفيل وفي بلدتين مجاورتين.

طوال ١٨ شهراً جمع الورق والزجاج ونفايات الحدائق والمطابخ والفضلات الاخرى في مستوعبات منفصلة. حُوِّلت المواد العضوية غازاً حيوياً جرى اختباره كوقود محتمل لأحد معامل توليد الطاقة الحرارية. أما البقايا المتخمرة فأعطيت للمزارعين كأسمدة وأعيد تصنيع الورق والزجاج وغيرهما. أما ما تبقى من نفايات لا افادة منها فأقل كثيراً مما كان يُنقل سابقاً الى مرمى النفايات.

ومنذ انتهاء الدراسة يشغل ريتش أدمغة الكترونية لمعرفة ما اذا كان مشروع كهذا يحقق ربحاً لروتفيل. وفي هذه استشار تقنيين وفنيين لقياس سرعة الريح ووجهاتها في سهل يرتفع ٧٤٠ متراً على مقربة من المدينة. وأفيد أن محولات الطاقة التي تولدها الرياح ذات السرعة الخفيفة(٤) يمكنها أن تحول الريح كهرباء. وخُطط لبدء تشغيل أول محول من هذا النوع في ربيع ١٩٨٩. ويقرّ ريتش الذي اتخذ شعاراً هو عبارة "استعمل ولا تبدّد"، بأنه يفكر في تحويل الخشب غازاً أيضاً.

يقول ديتر سيفريد من معهد البيئة في فريبورغ: "ما أثبته لنا نموذج روتفيل هو امكان استعمال مصادر الطاقة بفاعلية أكبر وعلى نحو يضمن مصلحة السكان ويراعي البيئة، باتباع التخطيط الاقتصادي والابتكار التقني."

جون دورنبرغ ■

(٤) Low — velocity wind energy converters

الخاتم وحشوة الاسنان

كان جدّي طبيب أسنان وصاحب فكاهة. وبعد أن حصل الطلاق بينه وبين جدتي، زارته جدتي يوماً في عيادته لكي يحشو لها أسنانها. وفي نهاية المعاينة، رافقها الى الباب ثم قال لها: "لم أتوصل ابداً الى فهم سبب اعادتك خاتم الزواج الي بعد افتراقنا. على كل حال، لقد اعدته لك الآن فقد حشوت به اسنانك!"

للوهلة الاولى ذهلت جدتي، ثم ضحك الأثنان حتى فاضت الدموع على وجناتهما.

ج.ل.ب.

اسرار السفر

تذمّر ابي من عدد الحقائب التي كانت أمي تصر على نقلها في رحلتهما. وفي المطار، لاحظ أبي زوجين امامهما في الصف لا ينقلان سوى حقيبتي يد، فسألهما: "عفواً، هل في امكانكما أن تفسّرا لزوجتي سرّ السفر بحمل خفيف؟" فأجابه الزوج مبتسماً: "بالتأكيد، فكل ما عليكما فعله هو أن تدعا شركة الطيران تفقد امتعتكما كما ضيّعت امتعتنا."

د.س.

تأملات معاصرة

نجوم أمريكا

الامريكيون هم في صدد تكريس أبطال زائفين في مجتمعهم. أتخيل أحياناً اجتماعاً لمنظمة امريكية وأسمع أعضاءها يقولون: "من تريدون أن يكون الخطيب في الإجتماع المقبل؟ نحن لا نرغب في مفكّر عميق، اذاً، فلنقصد واحداً من نجوم التلفزيون". فيسأل أحدهم: "حسناً، كم تعتقدون سيبلغ بدل أتعاب المذيع التلفزيوني الفلاني؟" ويجيب آخر: "كذا ألف دولار." ويقترح البعض: "ما قولكم اذا منحناه جائزة أعظم رجل في الكون؟ كم تبلغ تكاليف لوحة الجائزة يا تشارلي؟"

يقلقني ما آل اليه المجتمع الامريكي. لقد عرف العالم حضارات، وربما ما زالت هناك مدنيات قائمة حيث الفلاسفة والشعراء وكبار المعلمين هم نجوم مجتمعاتهم. فانظروا مَن هم الآن نجوم المدنية الامريكية!"

تد كوبل، صحافي تلفزيوني أمريكي

دائرة الاسباب

قد تعتقد أن الحصان كان سبب وجود العربة وحملها. ولكن لو لم يكن هناك دواليب لما استطاعت العربة أن تتحرك. والدواليب لم تدر لو لم تُرصّ الطرق. وهل يستطيع الحصان أن يتحرك خطوة واحدة لولا العلف الذي يغذّيه؟ وهل كان العلف لينمو لولا عمل الشمس التي ترفع المياه من البحار لتصبّها فوق اليابسة؟ ما أصعب تعداد أسباب حدوث امر واحد. ومع ذلك يدّعي البعض انهم يفقهون لماذا ولأي هدف خلق الكون.

ك.ف.

لسانك حصانك

الحكيم من يضبط لسانه وقت الخطر. فالاسد، كما تعرفون، دعا النعجة ليسألها هل لنَفَسه رائحة كريهة، فاجابت بالموافقة، فالتهم رأس تلك المغفلة. ثم دعا الذئب وسأله، فاجاب بالنفي، فقطّع ذلك المتملق ارباً. اخيرا دعا الثعلب وسأله، فكان الجواب: "اعذرني، يا سيد الغاب، فانا مصاب بالزكام وحاسة الشم عندي معطلة."

ج.س.

نحن والآخرون

بالنظر الى تمادينا في مناقشة صفات الآخرين بروح بعيدة عن المحبة، يبدو استبعادنا امكان كلام الآخرين برداءة علينا امراً مستغرباً. وكم نغضب ونتأذى عندما يتأكد لنا انهم فعلوا ذلك.

أ.ت.

بالي
جَزيرة تُراثيَّة

على طول شارع، في منتجع كوتا البحري في جزيرة بالي الاندونيسية، تعرض محلات بيع الاسطوانات أحدث الأغاني الاجنبية. وتجد السياح السمر البشرة، بسبب تعرّضهم لأشعة الشمس، يتنزهون مرتدين الأزياء الشائعة في كوتا. الا انه سرعان ما يخف تأثير مشهد السياحة المزدهرة هذا عندما تظهر عشرات النسوة من سكان بالي في زيّهن التقليدي المتألق، وهن يحملن على رؤوسهن سلالاً مصنوعة من الخيزران المشبّك وقد ملأنها بالأزهار والرز والفاكهة. وتصدر من محلات بيع الاسطوانات انغام صاخبة ذات ايقاع متنافر تعزف على آلات محلية يمكن حملها والتجول بها.

ويحتفل الباليون بعيد نييبي، وهو بمثابة عيد رأس السنة، ومن أهم الأعياد لدى سكان بالي.

ومع ان هذا الموكب الزاهي الألوان يعبر وسط المركز السياحي في الجزيرة، إلا ان المشاركين فيه قلّما يعيرون اهتمامهم مئات السياح الذين يصادفونهم على طول الطريق التي تفضي

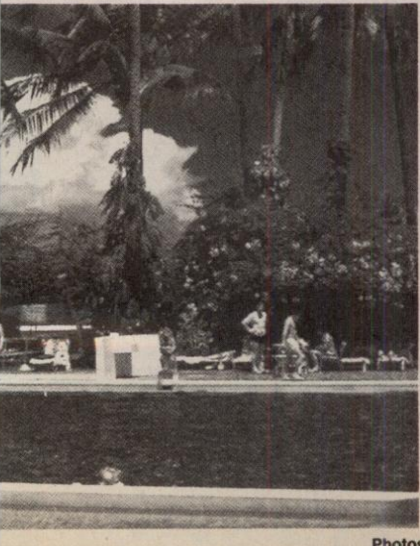

اقصى اليسار: راقصة بالية في زي تقليدي.
في الوسط: تجذب بالي نصف مليون سائح سنوياً.
في الأعلى: نقش لمخلوقات اسطورية على الحجر وهو فن بالي قديم.

Photos: Apa Photo Agency

لم يؤدِ الغزو السياحي
لهذه الجنة الإستوائية
الصغيرة إلا إلى زيادة
اعتزاز سكان الجـزيرة
بهـويتهم الثقافية

عوض ان يهدد طريقة العيش التقليدية فيها. وتقول ياني: "قبل قدوم السياح، لم يكن في امكاننا الذهاب الى بيساكيه لتمضية النهار الا مرة او مرتين في السنة. اما الان، وقد اصبحت لدينا سيارة، فيمكننا الذهاب الى بيساكيه متى نشاء."

وادت الحركة السياحية الى تعزيز الفنون في الجزيرة، خصوصاً الرقص الشعبي المشهور عالمياً. وساعدت اموال السياحة

بهم الى شاطىء كوتا الشهير برماله البيضاء. هناك، وبين حشود راكبي الحسكات والسياح المستقلين تحت اشعة الشمس، يُحيي باليو كوتا تقليدا يعود الى مئات السنين.

وبين المشتركين في الاحتفال، شابة رائعة الجمال في السابعة والعشرين من عمرها تُدعى مايد كارياني مايزن، وهي معروفة باسم "ياني"، وقد أمضت القسم الأكبر من حياتها بين السياح. ومكنها الدخل الذي جمعته من السياحة من الالتحاق بجامعة يودايانا في دنباسار. وقد سنحت لها، شأنها شأن الكثير من الفتيات اللواتي هن في سنها، كل فرصة ممكنة للتكيف وطريقة العيش الغربية. الا أن ياني، بقيت بالية حتى... العظم.

السياحة والتراث. وقد أغنى سيل الأموال الناتج من السياحة تراث الجزيرة

سكان كوتا في تصميم ازياء للرقص اجمل واعرق. كما امنت لهم وقت فراغ من اجل التدرب. ولفت النظر اداء الراقصين الجدد من كوتا - وهي في الاساس قرية صيد فقيرة - بالمقارنة مع فرق الرقص المحترفة في مراكز لتعليم اداء الفنون في أبود وبيلياتان التي طاف راقصوها انحاء العالم.

وقد بدأ الازدهار السياحي في جزيرة بالي في اوائل السبعينات مع بناء فنادق فخمة في سانور، واحداث تسهيلات خاصة بالسياح في كوتا المجاورة. وبحلول العام ١٩٨٧ كان قرابة نصف مليون سائح يتقاطرون على الجزيرة الصغيرة التي يقل عدد سكانها عن ثلاثة ملايين نسمة. ونتيجة لهذا الوضع بدت بالي كأنها سائرة وراء الجزر الخلابة الاخرى التي اندثر تراثها الثقافي تحت وطأة الرغبة التجارية لارضاء السياح.

الا ان بالي ادهشت الجميع. فقد حافظت على طابعها التقليدي. ويعود الفضل في ذلك إلى المرونة الطبيعية لدى سكان بالي وإلى المؤسسات الاجتماعية في الجزيرة واهمها "البانجار" وهو نوع من المجالس المحلية. وتحت خيمة كبيرة مفتوحة نُصِبَت في شارع هادىء في أبود، وهي قرية في بالي الوسطى، تربع عدد من سكان الجزيرة على حصير، يتحدثون وهم يدخنون سجائر كبش القرنفل. وما لبث نيومان سورادنيا الذي يرئس هذا البانجار، ان افتتح الاجتماع معلناً ان البند الاول في جدول الأعمال هو دفع الغرامات. فتقدم من نيومان شاب حسن الهندام وسلّمه ألفي روبيه (نحو دولار ونصف دولار) والشاب هو رجل اعمال ناجح غرّم مبلغ عشرين ألف روبيه مقسطة على عشر دفعات لأنه تغيّب عن اجتماعات عدة متتالية للبانجار.

وكلمة بانجار، في القاموس الشعبي، مشتقة من كلمتين باليتين هما: "بان" وتعني مؤسسة و"جار" وتعني سعادة وحزناً (كانت احدى الوظائف الاساسية للبانجار مساعدة الأعضاء على التغلب على مآسيهم الشخصية من خلال المساعدة المتبادلة). اما وظيفة البانجار الحالية فهي ترتيب الاحتفالات التي تُجرى خلال حياة الأنسان. الطقوس الدينية المتبعة عند الولادة والبلوغ والزواج والموت: وتنظيم شؤون البيئة كالمحافظة على نظافة الأسواق والطرق ومناطق السباحة. ويُعتبر البانجار مؤسسة ديموقراطية بكل معنى الكلمة. وكل شخص بالغ، أكان شاباً ام فتاةً، مدعو للانضمام الى البانجار التابع لمنطقته. وتؤخذ القرارات بالتوافق عوض الاكثرية.

واعضاء البانجار يساعد بعضهم بعضاً، عبر المناقشة، على ادخال عناصر جديدة الى حياة مجتمعهم، يساعدهم في ذلك اطار مرن من التقاليد.

وللبانجار وظيفة جديدة في مناطق الاستجمام السياحية وهي المساهمة في تنظيم "الرقصات التقليدية لجزيرة بالي." ويمكن اعضاء البانجار اداء رقصات في الفنادق أو ضمن التسهيلات التي يقدمها اليهم البانجار. ومع ان البعض يحاول الانتقاص من هذا العمل واصفا إياه بأنه مثال صارخ للإتجار بالتراث، إلا ان سكان الجزيرة لا يبالون بهذا الشأن. ويقول أغونغ اريب بيميكوتان، وهو مدرب فرقة للرقص. "ثلاثة اسباب تدفع سكان بالي الى الرقص. اولاً، نحن نرقص كجزء من طقوسنا الدينية ثم نرقص للمتعة واخيراً لكسب المال."

الاصالة. على نقيض الرقص، عانى الفن في الجزيرة سلبيات الغزو السياحي. فاللوحات الوطنية البالية التقليدية التي نجدها اليوم في عدد كبير من المتاجر وصالات العرض ليست سوى نتاج تجاري يحمله السائح تذكاراً من الجزيرة. وقد اثر هذا الوضع على انتاج عدد من الرسامين الموهوبين فجاء انتاجهم متفاوت الجودة، فهم يعلمون أن السائح مستعد لدفع الثمن نفسه للوحة عادية أو للوحة ذات مستوى فني رفيع.

بحلتها الجديد

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت :

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

الا أن الرسام آي مايد بودي يشكل استنثناءً في هذا المجال. إذ تبرز لوحاته التفاصيل الصعبة التحليل للفن الكلاسيكي في الجزيرة. ففي رسمه لاحتفال ديني نجد سائحاً يرتدي قميصاً من جزيرة هاواي وهو يصوّر المشاركين في المناسبة. وفي لوحة أخرى نجد هواة رياضة ركوب الأمواج يستمتعون بممارسة هوايتهم في بحر تتردد إليه الاخيلة. ويمثل فن بودي ردة الفعل الحقيقية لسكان جزيرة بالي ازاء السياحة.

ويقول أوكا بيمايون، رئيس مجلس بالي لتعزيز السياحة الذي تشرف عليه الحكومة: "بالي شبيهة بشجرة المنجا التي لا تتوقف عن الانتاج مهما تقادم عهدها وتغيرت ظروف التربة ومنسوب مياه الأمطار، وان اختلف لون قشرتها وتنوع مذاقها الا ان الثمرة التي تنتجها الشجرة تبقى المنجا."

وتبذل الحكومة قصارى جهدها لضمان استمرار بالي في انتاج ثمار المنجا المجازية هذه. ويعمل ممثلون للحكومة في المقاطعات، عبر نظام البانجار، على توعية السكان المحليين على أهمية كلٍ من السياحة والمحافظة على الهوية الثقافية. وتعلم اكاديميتان تديرهما الحكومة سكان بالي الرقص وأشكالاً أخرى من الفنون. بينما يراقب فريق من المفتشين الرقصات المخصصة للسياح بغية التأكد من محافظتها على مستويات لائقة. ويقول بيمايون: "يقصد السياح بالي لتراثها الفريد من نوعه. ونحن لن ندخر جهداً من اجل المحافظة على ما يجذب السياح في تراثنا".

الا أن للسياحة، بالطبع، بعض النواحي السلبية. فغالباً ما يعتلي السياح اماكن العبادة لالتقاط صور تروقهم. أو يشوشون على المصلين بثرثرتهم وبالنور الخاطف والساطع الذي ترسله آلات تصويرهم لدى التقاطهم صوراً فوتوغرافية، أو يرتدون ألبسة غير لائقة في المناسبات الدينية. وفي حال وجود مقيم اجنبي، يطلب منه الباليون، في الغالب، اطلاع السياح على العادات السائدة في الجزيرة ولفت نظرهم الى وجوب احترامها. وقد وجد السكان في منطقة أوبود حلًا من صميم الحياة في بالي، يقضي بانشاء هيئة للاعلام السياحي. وقد احدثت الـ"بينا ويزاتا" لتأمين المساعدة وشرح اصول التصرف اللائق للسياح من جهة، وارشاد السكان المحليين الى اساليب التعامل مع الاجانب الذين يزورون مناطقهم.

وينظر تجوكوردا راكا كيرثايازا، وهو احد مؤسسي البينا ويزاتا، الى هذه المهمة بجدية. ويرى ان أمل بالي هو في الأجيال الصاعدة. وينتهز كل سانحة لتشجيع الشباب في أوبود على التأمل في تراثهم والتراث الاجنبي. الا ان جهوده كانت تتعثر في بعض الاحيان. ففي احدى المرات وبخ راكا مجموعة من المراهقين يرتدون الجينز وقمصاناً قصيرة الأكمام. يتسكعون عند زاوية احد الشوارع وهم يصفّرون. وقال لهم إنهم يضيعون وقتهم. فأجابه احدهم "اننا لا نضيع حياتنا بل نتمتع بها."

ولاحظ راكا ان ما قاله الفتى ينطبق على سكان بالي اذ هم يعيرون دائماً امضاء وقت ممتع أهمية بالغة.

الا ان سنواتهم الخالية من الهموم لن تدوم طويلاً. واوضح راكا ان "تصرفهم هذا ليس سوى ثورة مراهقين."

وفي بعض مناطقِ بالي حيث للسياحة تأثير ضئيل، غالباً ما يحضر السكانِ اجتماعات البانجار وهم يرتدون ثياباً غربيةً. الا ان الجميع تقريباً في كوتا يرتدون السارُنغ. ويعير السكان الشباب في مجالس البانجار في منطقة كوتا تعلم الرقص البالي اهتماماً شديداً. كما يرتادون الصفوف التي تعلّم الكتابة السنسكريتية القديمة التي انتقل بواسطتها فولكلور الجزيرة من جيل الى جيل.

ويُعنى الباليون الذين يحتكون بالاجانب بالمحافظة على تقاليدهم وذلك في محاولةٍ منهم لتأكيد تمسكهم بهويتهم الثقافية.

يقول دارما بالغونا، وهو استاذ محاضر في جامعة يودايانا: "لا اشعر بانتمائي الى جزيرة بالي وحدي. الا انني فجأة أشعر بقوة انتمائي هذا لدى وجودي مع أجانب."

ان العيش بين الاجانب بالنسبة الى ياني في كوتا لم يقوِ هويتها الثقافية فحسب، بل دفعها إلى استكشاف ثقافتها الشخصية.

جريمي ألن ■

تحقيق الوجود

حاكم نيويورك ماريو كودمو لا يرغب ابداً في اخذ عطلة اذا استطاع الى ذلك سبيلا. فان هو ذهب في عطلة يقضي معظم وقته على الهاتف مع موظفيه.

ويعتقد كوومو "ان الخطيئة العظمى التي يقترفها المرء هي تبديد وجوده." وهو يفعل اي شيء لملء وقته، حتى وان يكن ذلك تنظيف الفرن. ولقد كتب في دفتر يومياته بعد انتخابه في العام ١٩٨٢: "اتطلع بلهفة الى ملء ايامي بالعمل. اياك ان تَدَعَ اويقاتك خاليةً تماماً. فاذا كنت شديدٍ التعب عاجزاً عن القراءة او الكتابة او التفكير قم بعمل لا يتطلب جهداً كبيراً. نظِّف البراد، إجمع اوراق الحديقة، أو لَمِّعْ الاحذية."

ر.س.م.

واقعية الفن

يتذكر الرسام الايطاليِ بياترو انّيغوني احد أفضل انجازاته الفنية:

"عندما قرر مالك المحترَف الذي استأجرته في فلورنسا بيعه، أصبت بخيبة. لكن فكرة خطرت لي. فعدة شقوق في الحائط من شأنها ان تجعل البيع صعباً، وهكذا رسمتها باسلوب واقعي، لاسيما شقاً مخيفاً ينزل مباشرة من السقف حتى اعلى احدى النوافذ.

جاءت النتائج تتخطى كل توقعاتي اذ لم يقدم احد على شرائه خلال ١٨ شهراً. وان كنت انجزت يوماً تحفة فنية فقد كانت تلك الشقوق.

د.ج.

دائرة المعارف

للاعلانات لغتها الخاصة تجذب بها الزبائن. هنا كلمات ترد في الاعلانات. وقد وضع امام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. نادر: ثمين - كريم - قليل - مسلّ.

٢. نظير: حبيب - بصير - قريب - مِثْل.

٣. نكهة: طعم - ريح الفم - بخار نوق.

٤. دَسَم: جمال - لبن - سمن - لب الثمرة.

٥. رفاه: طيب العيش - خصب - بَطَر - خفة.

٦. صقيل: كثيف - جيد النوعية - أبيض - جليّ أملس.

٧. فوّاح: غاسِل - سامّ - ظاهر - منتشر الرائحة.

٨. نوّاق: كثير الذوق - وقح سفيه - كريم - مشتهٍ.

٩. استجمام: سفر - استراحة - جمع - استرحام.

١٠. معقّم: ساخن - معبأ - خال من الجراثيم - ضارّ.

١١. رائد: رئيس - عائد - ساكن - رسول الى مكان جديد.

١٢. مهاودة: مساهلة في الثمن - تنويم - غناء - مشي متأنٍ.

١٣. شائع: ذائع - رخيص - وهّاج - مزيَّف.

١٤. وُضّاء: منير - حسن نظيف - مضياف - فضي.

١٥. أصيل: قديم - شامخ - شريف الاصل - عزيز.

١٦. يضاهي: يشاكل ويشابه - يباهي - يزيد - يشعّ.

١٧. منمَّق: فاسد - غشاش - مغلف - محسَّن ومزيَّن.

١٨. جودة: كرم - ضد رداءة - حداثة - فروسية.

١٩. صَنْف: زَغم - نوع - وجه بشوش - نصف.

٢٠. متين: ماهر - نشيط - نتن - شديد قوي.

٢١. أخّاذ: ساحر - سارق - متسوّل - برّاق.

٢٢. منمنَم: مكذَّب - صغير ناعم - موشّى - عذب.

٢٣. مأمون: محبوس - بعيد - موثوق به - محروس.

٢٤. متناسق: كامل - منتظم - متعالٍ - متلاصق.

٢٥. باهر: حنق - ناجح - سريع - غالب في الحسن.

الأجوبة الصحيحة

١. النادر: ما شذَّ وخالف القياس. أيضاً: ما قلَّ وجوده.
٢. النظير: المثل والمساوي.
٣. النكهة: ريح الفم. وتستعمل خطأ بمعنى المذاق.
٤. الدَسَم: الوَدَك (أي السمن) في اللحم أو الشحم.
٥. الرَفاه والرَفاهة والرَفاهِيَة: طيب العيش ولينه.
٦. الصقيل والمصقول: الجلي الأملس. الصَيْقل: شحّاذ السيوف.
٧. فاح المسك: تضوَّع وانتشرت رائحته، فهو فوّاح. قالوا ولا يقال فاح الا في الريح الطيبة خاصة، ولا يقال في الخبيثة والمنتنة فاحت بل يقال هبَّت ريحها.
٨. الذوّاق والذوّاقة: الكثير الذَوْق.
٩. استجمَّ استجماماً: استراح. يقال "اني لأستجمّ قلبي بشيء من اللهو" أي اني لأجعل قلبي يتفكّه بشيء من اللهو.
١٠. المعقَّم: ما أبيدت جراثيمه المرَضيَّة. يقال "حليب معقَّم."
١١. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه، فيكون الاول الذي يقصد المكان. والرائد أيضاً الجاسوس.
١٢. المهاودة: المساهلة في الثمن.
١٣. شاع الخبر: ذاع وفشا. الشائع: الذائع أيضاً: المشترك.
١٤. الوَضّاء: الحسن النظيف. وضُؤ: صار نظيفاً حسناً. توضأ بالماء للصلاة: اغتسل وتنظّف.
١٥. الاصيل: الشريف الاصل. أيضاً: من يتصرف عن نفسه من دون وكيل.
١٦. يضاهي: يشاكل ويشابه. الضهِيّ: الشبيه.
١٧. ثوب منمَّق: محسَّن ومزيَّن. مكان منمَّق:مزدان بأنواع التحاسين.
١٨. الجودة: حال الشيء الجيِّد، وهي ضد الرداءة.
١٩. الصَنْف: النوع والضرب. يقال "عنده أصناف من الامتعة."
٢٠. المتين: الصلب الشديد القوي.
٢١. أخَّذه: سحره. الاخّاذ: الساحر. المآخذ: المصايد. يقال "مآخذ اللؤلؤ في الخليج العربي." مآخذ الكتاب: مصادره.
٢٢. ثوب منمنم: مرقوم موشى. والعامة يستعملون المنمنم لما كان وشيُه صغيراً لطيفاً، وربما قالوا "جارية منمنمة" أي لطيفة الاعضاء صغيرتها.
٢٣. المأمون: الموثوق به.
٢٤. المتناسق: المنتظم، وما كان على نسق واحد.
٢٥. الباهر: الغالب في الحسن، والمضيء. أيضاً: ما يقطع النفَس.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

بة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

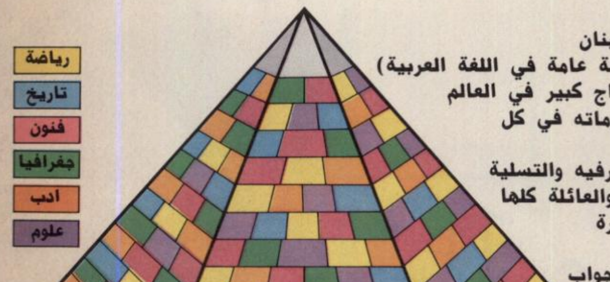

هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. .PROMEGA S.A.R.L
ت : ٩٣٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت : ٤١٤٤٦٧

ليس الرسم وقفاً على الفنانين الكبار. ان نفاذ البصيرة هو في متناول كل واحد منا

عَالَم على وَرَق

ليس رسم نبات القصعين ما أسميه رسماً جذاباً لافتاً. فهذه الجنبات المشذّبة بفعل الريح لا تستوقف النظر. ونبات القصعين يفتقر الى الزهور والاشواك المزوّقة؛ لكنه كيانٌ في ذاته. وكرسام وعالم طبيعي جمعتُ اغصاناً منه بحافز من شعوري بالواجب، لكني كنت أرسم أشياء أكثر ابهاجاً.

وفي النهاية التقطت غصيناً وشرعت أرسمه. وعندئذ اكتشفت أن هذه النبتة التي تكاد تخلو من أي وصف هي جميلة وفاتنة. فالسداة (العضو الذكر في الزهرة) مجموعة في أزرار صغيرة تتدلى كالمصابيح بين اناث الزهور. والاوراق معقدة التركيب. وقد اكتشفت لدى رؤيتها تحت عدسة مكبّرة نظام النصوص

© 1987 by Ann Zwinger. Condensed from Orion Nature Quarterly (Winter '87), New York, N.Y. Illustrations: Jeff Cornell

والعروق الرائع، ولاحظت أن الاوراق رمادية ومغطاة بشعيرات قاسية قصيرة تلمع في وهج الضوء.

وفيما كنت أرسم، رجعت بالذاكرة الى الصحراء حيث ينمو النبات بصعوبة وتكون الوقاية من الشمس الحارقة بواسطة غطاء سطحيّ من الشعيرات الدقيقة. ولو لم أرسم نبات القصعين الابيض لما استوعبت حقيقة الشعور بالنمو في الصحراء.

والحقيقة أن لا أهمية لاتقان الرسم، لأن مجرد تفحص زهرة بدقة وتقليبها بين أصابعك يفتح لك أبواباً جديدة. وفي الخطوة التالية، ما ترسمه من ملاحظات مدوّنة في مفكّرة أو على ظرف أو في دفتر رسوم أو حتى في الرمل ينشىء صلة بين اليد والعين تعزّز الصلة بين العين والذاكرة. الرسم هو اختبار لحقائق وصور وأشكال في عالم مرئي لا يمكن اختبارها بطريقة أخرى.

لا يتسع صدري لاولئك الذين يتأوهون قائلين: "أوه، ليت في استطاعتي أن أرسم!" الرسم حالة عقلية وطريقة للرؤية. فماذا يهم إن أخفقت في ابداع لوحة فنية رائعة معبّرة عن ذاتك؟ هناك أناس يسلّمون بعجزهم عن تأليف سيمفونية خلال أسبوع، لكنهم يطمحون الى انتاج رسم رائع في تجربتهم الاولى. ان نمو المهارات يتطلب وقتاً وجهداً.

تمتّع بشعورك بالقلم وهو يجري على الورق من دون أن تحدد أهدافاً تعجز عن بلوغها. واذا اخطأت في رسم خط فبادر الى محوه أو أعد المحاولة. إعترف بأنك غير معصوم عن الخطأ.

ان المناظر الطبيعية جميلة بمقدار ما تركز على مشاهد من دون سواها. أما أروع المناظر التي أعرفها فهي تلك التي رسمها رمبرانت (★) بألوان مائية خفيفة وببضع ضربات من الفرشاة، وأضفى عليها حياة بخطوط ريشة حادة واضحة. لكن ذلك استنفد سنين من التمرين ومقداراً كبيراً من العبقرية مما لا يدخل في موضوعنا هنا حيث ننادي بمتعة التعلم من الملاحظة الدقيقة.

حين ارسم نبتة أبدأ بالتفاصيل الصغيرة اذ ان المضي في الرسم لملء الفراغ أسهل من الانحصار في مخطط ضيق. أحياناً أرسم وريقة زهرة ثم أتوسع لاضافة كل ما يتصل بالزهرة الكاملة من تفاصيل.

واني لأتساءل عما اذا كانت هذه طريقة لفهم العالم أيضاً واعادة تشكيله من خلال جمع ملاحظات وتفاصيل من هنا وهناك. ولقد اعتقدت دوماً أنني أعمل بهذه الطريقة لاصابتي بقصر النظر، لكن الأمر أعمق من ذلك: فهو مرتبط بحكمة الرأي وبالتبصّر وبتكشف بنية النبات عن الفصول التي سبقت وعن الربيع الآتي.

ويبدو لي أن الاشياء الصغيرة التي تُرى بسهولة ويمكن امساكها باليد أو وضعها على الطاولة، هي الموضوع الأسهل للرسام الايضاحي المتبدىء. فلماذا الغوص في رسم أجزاء معقدة اذا لم يكن هناك من داع؟ ان النباتات تسرّ لانها جامدة، أما محاولة رسم حشرة متحركة فجهد يكلّل بالخيبة.

(★) رمبرانت رسام هولندي يعتبر من أساتذة الفن الكبار في العالم (١٦٠٦ - ١٦٦٩).

واذا كنت من الذين يراقبون الطيور ويتحلّون بالصبر وطول الأناة، فالرسم طريقة حسنة لتتعلم كيف تتحرك الطيور وتوجّه أبدانها وتلويها، ولتعرف الكثير عن تصرّف الحيوانات، لان المراقبة مركزة. والرسم عند الاصيل في حديقة الحيوان قد يذهل من لم يجربه قبلا.

وعلى الشاطىء تـوفـر الاصـداف وملفوظات البحر امكانات لا حصر لها. فكر في أنك منهمك في رسم عابث لا كأنك عاكف على تخليد صَدَفة للاجيال القادمة. واكتشف داخل الصدفة، باللون ونمط الخطوط، أين التصقت المحارة وكيف عاشت.

اني أفكر في الرسم لا كفاية في ذاتها وانما كوسيلة للتعلّم بعدسة مكبّرة وقلم رصاص بدلا من الكتب. وأرى فيه ما لم أره قبلا، وبه ألمس نبتة وأعرف "من" هي.

من خلال اللمس تنال المعرفة بطريقة فعلية مباشرة. فتكتشف سريعاً أن ورق الصنوبر يخز يدك وأن شجر العرعر شائك وأن ورقة أذن الدب ناعمة. وبذلك تنشىء اتصالا وعلاقة حميمة بين عقلك والنبتة.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٨ خرجت الى الصحراء لمدة ثلاثة أيام وملأت صندوقاً عازلا بالنباتات. وعمدت الى رسمها ذات صباح. ابتدأت برسم زنبقة ذات خمسة براعم: واحد لم يتفتح بعد واثنين متفتحين واثنين ذابلين. التقطت الزنبقة وقلبتها بيدي وتفحصتها من جميع جوانبها ثم أعدتها الى الصندوق.

قال لي أحدهم: "دعني أحضر لك اناء تضعها فيه فلا تضطر الى حملها."

فأجبت من دون تفكير: "كلا، شكراً. أريد أن أرى ماذا في الجانب الآخر." فمعرفة ما هو تحت الاشياء ووراءها لها أهميتها، اذ كيف تعرف الى أين أنت ذاهب اذا لم تعرف أين كنت قبلا؟

حين رأيت تلك الزنبقة بعين فكري وقلّبتها بيدي، رأيت زنابق الارض كلها، وعرفت الجفاف في جذوري والانبساط في اوراقي وأشعة الشمس تصقل ساقي. ومن معرفتي لتلك الزنبقة أدركت معنى الانتظار ريثما تدب الحرارة الكافية، والانتعاش بنسمات الفجر، والذبول في قيظ الظهيـرة، وهجـوع الشتـاء، ومقتضيات الصحراء.

تلك الزنبقة محفورة في ذاكرتي، على الورق وفي الصحراء. ومهما يكن الفصل فانها تزهر في خبرتي وادراكي وفي معـرفتي التي تعجـز الكلمـات عن تحديدها. وليس هناك ما يحيي الزنبقة ويزهرها في عقلي مثل تدوين انحنائها واستدارة محيطها، وتلك ذاكرة أبدعتها العين واليد بتدوير قلم رصاص برفق وتؤدة على صفحة من ورق.

آن زفنغر ■

تدركك الشيخوخة عندما تفقد الشعور بأن امرأ رائعاً هو في انتظارك. ويحدث هذا لدى البعض باكراً بينما لا يدرك آخرين البتة.

د.أ.ش.

كتاب الشهر

كارلوس

بقلم ناثان أدامسْ

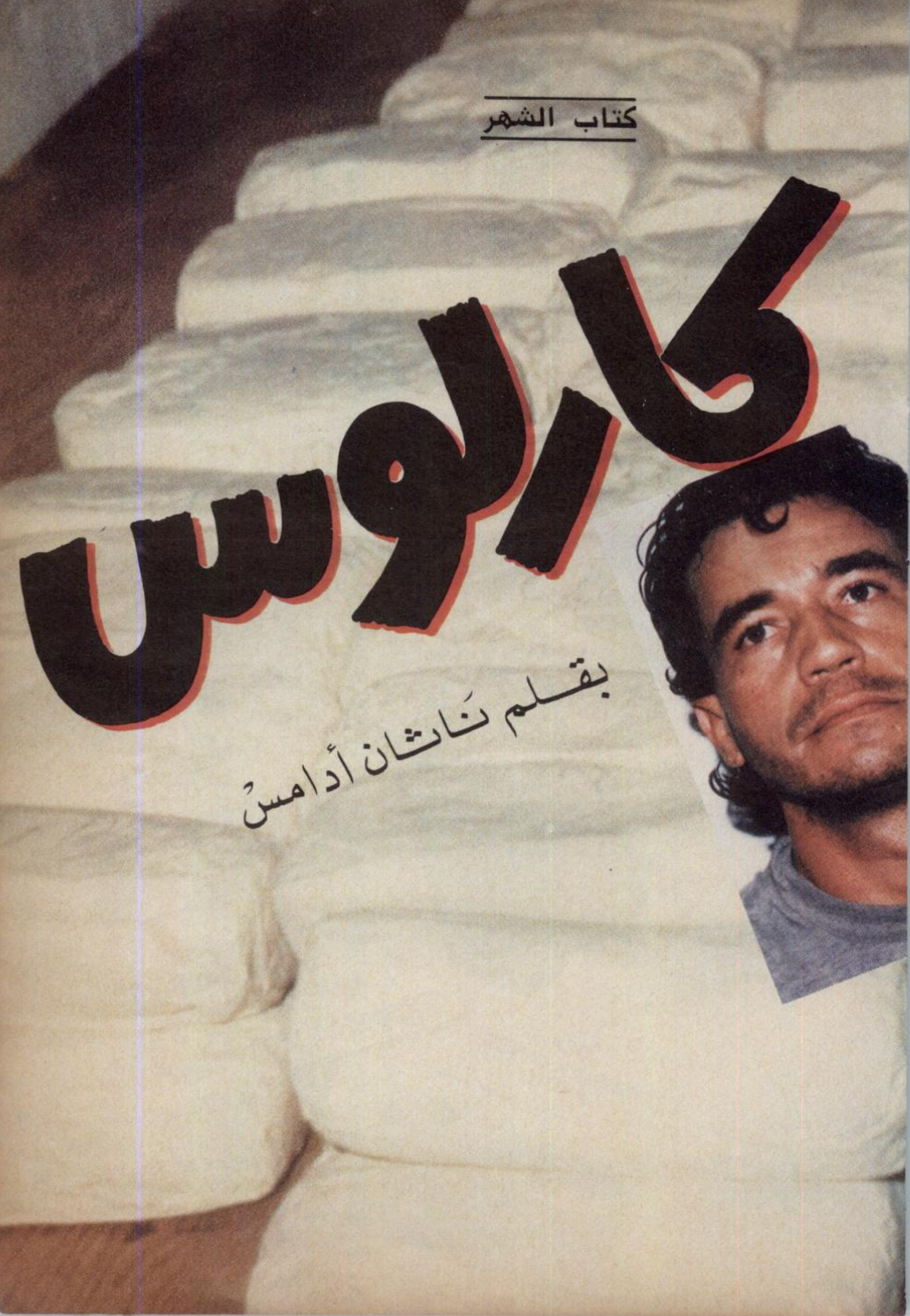

CARLOS LEHDER
VESSEL
DEA SURVEILLANCE PHOTO
CARLOS LEHDER SNORTING COKE
DEA SURVEILLANCE PHOTO
COCAINE SEIZED
DEA SURVEILLANCE PHOTO
PLANE USED TO TRANSPORT COKE
DEA SURVEILLANCE PHOTO
DOWN

كارلوس

لم يعرف تاريخ الجريمة المنظمة مثلها: أكثر من ٤٠ عائلة تمتهن تجارة المخدرات تكتلت في اتحاد اجرامي قوي جعلها، خلال العقد القصير من هيمنتها، شبه حكومة سرّية تفسد مجتمعات كاملة.

تعرف هذه العائلات بالـ"كارتيل" أي الاتحاد. ومن مقرها الرئيسي في مدينة ميدلين بكولومبيا، المستكينة في أحضان واد ظليل وارف في جبال الأندس، تحتكر سوق الكوكايين العالمية التي تطرح فيها مليارات الدولارات.

وتتمخض هذه التجارة عن كوارث حيثما راجت، وخصوصاً في الولايات

Inset photo: Sygma. All other photos: Courtesy Drug Enforcement Administration

المتحدة حيث يبلغ استهلاك هذا المخدر ١٥٠ طناً في السنة.

وأولئك الذين يتجرأون على معارضة الكارتيل يُقضى عليهم بلا شفقة. وقد دفع الكارتيل كولومبيا الى حافة الفوضى الاجرامية، وقتل مسلحوه أكثر من ٣٠٠٠ شخص بينهم قضاة ومسؤولون كبار في الحكومة. قتلوا المئات في الولايات المتحدة ما بين ميامي (فلوريدا) ولوس انجلس (كاليفورنيا).

ويعود الجانب الاكبر من نجاح الكارتيل الاجرامي الى رجل واحد يعتبر بعبقريته اللوجستية(١) صانع الكارتيل ورأسه المدبر. اسمه: كارلوس ليهدر، وكان في وقت ما سارق سيارات وبائع ماريوانا في الشوارع. مثاله الاعلى: أدولف هتلر. هدفه: تدمير الولايات المتحدة وحكم مملكة الكوكايين.

وهذه قصته.

نورمنز كاي، جزر باهاما. وقف شاب قوي البنية في منتصف العشرينات من العمر على منصة مشرفة على البحر، وراح يحدّق الى الافق متجهم القسمات قلق العينين، منتظراً هبوط الليل.

وكان في فترات منتظمة يلتقط جهاز اتصال لاسلكياً ويتكلم بصوت خفيض. وكانت مكالماته مرمّزة ولم تدم الا بضع ثوان.

بعيد هبوط الظلام أقبلت طائرة من جهة الجنوب محلقة على مستوى الموج وأنوارها مطفأة. لكن الطيارين كانا على معرفة جيدة بالجزيرة، وكانت الشعلات المضاءة التي تحدد المهبط الصغير كافية لارشادهما.

نهض الشاب وتكلم عبر اللاسلكي ثم مشى بسرعة الى سيارة "جيب" وُضع رشاش على مقعدها الامامي.

كانت حمولة الطائرة أفرغت لدى وصوله الى المهبط الذي يبعد بضعة كيلومترات في الطرف المقابل من الجزيرة. تكلم بايجاز مع الطيارين اللذين كانا في انتظاره بجانب المهبط وقد خطّ وجهيهما تعب شديد.

كانت الرحلة طويلة مرهقة تجاوزت ١٦٠٠ كيلومتر قطعاها من داخل كولومبيا ثم شمالا فوق البحر الكاريبي مجتنبين العواصف الرعدية والرادارات ومخترقين "ممر الرياح" الضيق بين كوبا وهاييتي.

بعدما اطمأن الشاب الى أن كل شيء على ما يرام مضى يدقق في الحمولة. كانت

(١) اللوجستية أو السَوْقيات هي فن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم.

هناك عشرات من أكياس القماش الناعم المنتفخة التي تساوي أكثر من وزنها ذهباً. فأخذ مشعلا كهربائياً وفتح أحدها وانحنى ليتفحص محتواه.

مرر أصابعه بين طبقات أكياس النايلون المرمّزة كلها بهويات مالكيها. وكان كل كيس يحتوي على كيلوغرام واحد مختوم من أجود أنواع الكوكايين الصرف.

في اليوم التالي سيشحن هذا الكوكايين الذي يثمّن بأكثر من ٢٥ مليون دولار، في طائرات أصغر الى الشمال الغربي عبر "جرف باهاما الكبير" ومضايق فلوريدا الى المطارات السرية داخل فلوريدا وفي عمق ريف جورجيا.

خلال اسبوع يبدأ تسليم الموزعين المنتشرين في الولايات المتحدة. وما هي الا عشرة أيام حتى يكون الكوكايين بيع واستهلك في الاحياء الفقيرة وفي المدارس الثانوية وفي قصور الاغنياء والمشاهير.

لم يلتقوه مرة ولا سمعوا باسمه. لكنهم جميعهم زبائنه: فنانون ورياضيون ووسطاء ماليون وبغايا وعمال وعاطلون عن العمل. كلهم جعلوا من كارلوس ليهدر مليارديراً وساهموا في تمويل امبراطورية امتدت فشملت نصف العالم.

جاكسونفيل، فلوريدا. جلس عميل المكافحة دوغلاس درايفر ضجراً في سيارته المعتمة مثبتاً على زجاج النافذة المفتوحة منظاراً قوياً مركّزاً على بيت في نهاية شارع يدعى "ممشى الاميرال." كان المساء حاراً في أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ وقد جثم الهواء فوق المدينة كبساط رطب. وفي أقل من ساعة كان درايفر يتصبب عرقاً، لكنه ظل يراقب وينتظر كما كان يفعل في الاسابيع الطويلة الماضية مغالباً الضجر والحر.

لم يكن على يقين عما يفتش، اللهم الا شكل صاحب المنزل الذي يشبه أشكال تجار المخدرات. فهو يعيش حياة مترفة من دون أن يمارس عملا ظاهراً يؤمن له دخلا مرموقاً. وما عدا ذلك مجرد وحي غريزي.

كان درايفر (٣٠ سنة) أحد ستة مخبرين يعملون في المكتب الاقليمي لمديرية مكافحة المخدرات في جاكسونفيل. ولم يكن انتشار الكوكايين عم الولايات المتحدة بكميات كبيرة، لذلك كان نشاط المخبرين موجهاً الى مهربي الماريوانا المحليين والى السفن غير المشروعة التي تموّنهم في نقاط التقاء بعيدة عن الشاطىء.

بدأ درايفر مراقبة ممشى الأميرال وفي اعتقاده أن ذلك سيقوده الى كشف عصابة من مهربي الماريوانا. لكنه في الواقع فتح الباب لتحقيق استنفد جهده طوال عقد وبات القضية العظمى في تاريخ مديرية مكافحة المخدرات.

بدأت قضية درايفر حين أسرّ اليه صديق يدير وكالة محلية لبيع السيارات: "ربما كلفني ما أخبرك به خسارة أفضل زبون عندي." وراح يصف له رجلا جاء الى صالة العرض واشترى منه عدة سيارات فخمة ودفع ثمنها أوراقاً مالية من فئتي المئة دولار والخمسين دولاراً تناولها من كيس للتسوّق. وقد تباهى بأنه أثرى كمن عثر على كنز، من طريق انماء جزيرة في باهاما تدعى نورمنز كاي.

لم يعنِ اسم نورمنز كاي شيئاً لدرايفر. ولكن لم يكن سراً خافياً أن الفساد المتفشي في حكومة باهاما حوّل هذه الجزر ملعباً لنخبة المتاجرين بالمخدرات.

فاقترح درايفر على صديقه: "اتصل بي حين يأتيك في المرة المقبلة، وحاول أن تؤخره مدة تكفيني للاسراع الى هنا ورؤيته."

ولم تمض عشرة ايام حتى كان لدى درايفر اسم ساكن المنزل في نهاية ممشى الاميرال. وكانت السيارة مسجلة باسم إرنست فون إبرشتاين الذي حفل سجله الطويل بالسرقة والسجن والتشرد، ولكن لم يعرف عنه ولا عن أخيه غريفوري الذي يملك المنزل، أنهما متورطان في المخدرات.

تابع درايفر مراقبة الجوار حيث منزل فون إبرشتاين الفخم. وكان يلاحظ ارقام السيارات التي تؤمه. كان كثير من الزائرين ربابنة طائرات، انما لم يظهر أن أحداً منهم يعمل. وكانوا جميعهم يعيشون كأصحاب ملايين، وقد دفعت أثمان منازلهم نقداً.

ومن المشتبه بهم إدوارد هايس ورد، وهو في منتصف الثلاثينات من عمره، عمل سابقاً بائعاً في أحد المتاجر الكبيرة، واكتشف درايفر أنه يملك طائرتين على الاقل ويشغلهما. كان يشتري ملابس الفرو والمجوهرات بعشرات ألوف الدولارات وبسخاء كمن يروي حديقة. وكان يختفي أياماً من منزله في جاكسونفيل ثم يعود الى الاسراف في فورة مشتريات. ولم يطل الامر حتى اكتشف درايفر أن له عنواناً ثانياً في نورمنز كاي.

شرع درايفر يدقق في اتصالات ورد الهاتفية المسجلة. وكثيراً ما عمل حتى ساعة متقدمة من الليل وفي عطلات نهاية الاسبوع، متحققاً من مئات الاتصالات ومقابلا بينها. وهو لم يعثر على ضالته الا في شهر يونيو (حزيران) بعد مضي ثمانية أشهر، وذلك من خلال مكالمتين الى موزعي كوكايين معروفين في جنوب فلوريدا.

وعيِّن عميل محنك من جاكسونفيل لمساعدة درايفر في التحقيق، وهو يدعى بوبي ستارات وعمره ٣٣ سنة. للوهلة الاولى بدا العميلان كأنهما فريق شاذ. كان درايفر طويل القامة متقلب المزاج يعمل بهدوء ونظام. أما ستارات فكان قصير القامة ناحلا وقوياً كأنه كتلة من الطاقة العصبية. وعلى رغم تباين شخصيتيهما فانهما عملا معاً في السابق وأصبحا صديقين حميمين.

وكانت مصلحة البريد تزود العميلين عناوين الرسائل التي يتسلمها المشبوهان ويرسلانها. وفحص العميلان نفايات ادوارد ورد أملا بالعثور على أدلة. ثم بدءا اعتراض الاتصالات اللاسلكية، لكن المحادثات كانت موجزة ولم تبحث فيها شؤون المخدرات. ولم يلبث درايفر أن اكتشف مخبراً ثبتت علاقته بالمجموعة فاعتقل وفي حوزته ٥٠ غراماً من الكوكايين. وهو أبدى استعداده لمساعدة الشرطة، ولكن حين سمع اسمي المستهدفين تجمّد هلعاً وآثر دخول السجن على البوح بأي شيء.

ظلت علاقة المجموعة بجزيرة نورمانز كاي لغزاً مغلقاً. واستوضح درايفر وستارات وكالات حكومية، لكن التقارير عن الجزيرة ظلت هزيلة.

وكانت هناك شركة بانامية تدعى "انترناشنال دوتش رسورسز" تملك مكتباً في باهاما وتشتري أراضي وأملاكاً تحيط بالميناء الصغير وبمهبط للطائرات طوله ٩٠٠ متر. وقيل ان ملكية الشركة تضم عدة مستثمرين من باهاما وأمريكا الجنوبية، لكن ادوارد ورد لم يكن واحداً منهم. الا أن مكتب مديرية المكافحة في ميامي أفاد أن ورد يشحن حمولات كبيرة من الاثاث الفخم ومعدات البناء وأجهزة الملاحة الجوية الى جزيرة نورمنز كاي.

ثم نقل مكتب التحقيق الاتحادي «FBI» معلومات استخبارية جعلت ستارات ينتصب جالساً في كرسيه.

ونمي الى مصدر في مكتب التحقيق الاتحادي أن مجموعة من المهربين الامريكيين بقيادة إدوارد هايس ورد التقت أخيراً في جزيرة نورمنز كاي مزود كوكايين كولومبياً كبيراً يدعى كارلوس ليهدر.

غرق درايفر في التفكير متسائلا: "ومن هو كارلوس ليهدر؟" ثم تذكر أن ليهدر هو أحد العاضدين الرئيسيين لشركة "إنترناشنال دوتش رسورسز" العاكفة على شراء نورمنز كاي.

لقّم درايفر المعلومات دماغاً الكترونياً لدى مديرية المكافحة للتدقيق في خلفيتها. فهاله ما قرأ، وشعر بوخز في جلدة رأسه. لقد ورد اسم كارلوس ليهدر في أكثر من ١٥ ملفاً لدى مديرية مكافحة المخدرات.

جزيرة محصنة

ولد كارلوس ليهدر عام ١٩٤٩ في مدينة أرمينيا الكولومبية الصغيرة، وهو ابن مهاجر ألماني قدم بعد الحرب العالمية الثانية. انفصل والداه وهو في سن المرهقة فلحق بأمه الى مدينة نيويورك. وفي ١٩٧٣ قبض عليه لسرقته سيارة، ثم أفرج عنه بكفالة ٢٥ ألف دولار. واختفى، ليظهر لاحقاً في ميامي حيث قبض عليه وهو يهرب الماريوانا من كولومبيا. فسجن لمدة عامين جرى بعدها ترحيله من البلاد.

ومن كولومبيا أفاد عملاء مديرية المكافحة الامريكية في مدينتي بوغوتا وميدلين عن علاقة متينة بين ليهدر وتجار الكوكايين الكبار هناك. وقد اعتاد هؤلاء ان يعملوا منفردين، ولكن كانت هناك أدلة واضحة لا لبس فيها على تعاون بين المنظمات ومشاركة في التسهيلات ومصادر التموين والنقل.

عرف عن ليهدر أنه بارع في الشؤون اللوجستية، وكان في ذلك الحين يفاوض لشراء احدى شركات الطيران الكولومبية الداخلية الكبيرة وتدعى "ايرولينياس سنتراليس دي كولومبيا." ولم يخامر أحداً شك في أنه سيستخدمها لتوسيع شبكة نقل المخدرات.

تمكن درايفر وستارات من التعرف الى سكان سابقين في نورمنز كاي. وعلما أن ليهدر شوهد للمرة الاولى في الجزيرة عام ١٩٧٧. ولم يمض عام حتى اشترى دارة منعزلة في طرفها الجنوبي وأخذ يبسط سيطرته بشراء دارة بعد أخرى وقطعة بعد

قطعة من الجزيرة. وما لم يقدر على شرائه استولى عليه عنوة. ونظراً الى التهديد والترهيب اللذين واجههما السكان، فقد هجر كثيرون المنازل التي شادوها لقضاء عطلاتهم.

في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ طار ستارات ودرايفر الى باهاما. وتوقفا في ناسو لاجراء المعاملات الجمركية. وكما يقضي البروتوكول، أبلغا الى السلطات الباهامية أنهما ضابطان في حكومة الولايات المتحدة وأنهما في طريقهما الى نورمنز كاي. وكانا يخشيان كشف خططهما لاشتهار رجال الشرطة الباهامية بالفساد.

وفي المرحلة الاخيرة من سفرتهما حلقت طائرتهما فوق سلسلة من الجزر المرصوفة المتقاربة حتى لتبدو كأنها أسطول بحري راس في المياه. وعندما أطلّت جزيرة نورمنز كاي في الأفق ظهرت بشكلها المميز معقوفة كشص صنارة صيد.

وحين رأى ستارات المهبط طلب من الربان أن يطير على علو منخفض ليتمكن من تصوير الطائرات الجاثمة خارج المدرج، وما هي الا دقائق حتى كانت الطائرة تحط بالعميلين.

لم يُرق درايفر الجو الذي طالعه في الجزيرة. فقد بانت كأنها غير حقيقية، كأنها جزيرة أحلام رائعة كاملة، بل كأنها صورة في ملصق سياحي أتمّت فيها الطبيعة ابداعها.

لم يرخّص لاي من العميلين حمل مسدس في باهاما. فاذا تعرضا لمشكلة فلن يتمكنا من الدفاع عن النفس، في حين اشتهر ليهدر بالعنف.

استأجرا دراجتين ناريتين صغيرتين وأخذا يطوفان على امتداد الطريق الساحلية الضيقة مفتشين عن دارة ادوارد ورد. فوجداها جاثمة على هضبة تبعد ثلاثة كيلومترات عن المهبط، وقد نبتت على سطح الدارة غابة فاضحة من هوائيات الاتصال اللاسلكي والملاحة.

التقط ستارات خفية صوراً سريعة للجهاز الالكتروني وأرقام تسجيل سيارة جيب وشاحنة صغيرة ومركب صيد راس على الرصيف. أما فخامة الدارة فكانت أخّاذة كمنزل ورد في جاكسونفيل.

وكان منزل ليهدر الفخم على بعد ستة كيلومترات من دارة ورد، ينتصب شامخاً منفرداً كحصن على رأس "الشصّ" عالياً فوق البحر. فالتقطا صورة للمنزل من بعد بواسطة عدسة قوية. وكانت هناك سيارة "ڤان" واحدة متوقفة خارجاً.

بعد رجوعهما الى الفندق حاول درايفر محادثة عامل باهامي كان يشذب الشجيرات. فعلم منه أن ليهدر لم يكن في الجزيرة، كذلك ورد. وقال الحدائقي انهما يأتيان ثم يغيبان نحو أسبوع ثم يعودان. وعن شركة "انترناشنال دوتش رسورسز" قال ان معاملتها حسنة وانها تدفع أعلى الرواتب لمستخدميها.

قبل مغادرة الجزيرة مشى ستارات ودرايفر على طول الشاطىء نحو ساعة وتبادلا التقاط الصور تضليلا لمهمتهما. ومع ذلك شعرا ببروزهما على لوحة الجزيرة كذبابتين سوداوين في صحن أبيض فارغ.

وفيما درجت طائرتهما الـ"سيسنا" استعداداً للاقلاع، اذا بشاحنة صغيرة وسيارة "ڤان" خضراء تظهران فجأة الى جانب الطائرة. وانفتح باب السيارة الخلفي فبان داخلها رجل رابض يحتضن بندقية "إم - ١٦" مستعداً لاطلاق النار.

ومن خبرته كضابط مشاة سابق في فيتنام، عرف ستارات أنهما مهددان جدياً، فصاح بالربان: "لنخرج من هذا الجحيم بأقصى سرعة! أسرع بربك! أسرع! أسرع!"

فدارت الطائرة على ذاتها ثم أطلق لها الربان العنان فاندفعت بأقصى قوتها الى الامام. وواكبتها الشاحنة حتى قاربت الاقلاع. كانت الرسالة واضحة لستارات ودرايفر: ستكون زياراتهما التالية محفوفة بالخطر.

غارة صباحية

لدى عودة العميلين الى جاكسونفيل تمكنا من تحديد مالكي الطائرات التي صوراها، وكان معظمهم مرتبطاً بمهربين أمريكيين وكولومبيين. وكان على رأسهم ربان من كاليفورنيا في أواسط الاربعينات من عمره يدعى جاك كارلتون ريد، يشتبه بأنه يغذي شبكة لتوزيع المخدرات في ولايته. وعلما أيضاً أن ريد يملك دارة في جزيرة نورمنز كاي، وبدا كأنه مدير عمليات ليهدر.

كان ريد يقود طائرة مسجلة باسم شركة "ايرمونتيس" التي تملك عناوين في ناسو وباناما مثل شركة "انترناشنال دوتش رسورسز." وتضم قائمة طائراتها بضع عشرة طائرة بما فيها نفّاثة ليهدر الشخصية وهي من نوع "سابرلاينر" ويفوق ثمنها مليون دولار وهي مجهزة بأحدث المعدات التكنولوجية التي توفر لها مزيداً من الفخامة والسرعة.

كان الاسم "مونتيس" مألوفاً لدى ستارات ودرايفر، اذ كان أحد أسماء ليهدر المستعارة. وأظهر التدقيق في رحلات ربابنة ليهدر أنها شملت مدناً في أنحاء الولايات المتحدة.

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ طلب ستارات ودرايفر امدادهما بالرجال. فوافقت مديرية المكافحة على تشكيل قوة ضاربة تستهدف كارلوس ليهدر ومنظمته، سميت "عملية كاريب."

وأُلحق مزيد من العملاء بالتحقيق، فيما تابع المنسقون تقصي الادلة وتعقب المشبوهين في مدينتي لوس انجلس وميامي. وتولت مصلحة ضريبة الدخل التدقيق في الضرائب التي يدفعها أعضاء منظمة ورد. وتابع ستارات ودرايفر جمع تسجيلات الاتصالات الهاتفية وكشف البريد المرسل والوارد. ولم تمض أسابيع حتى حددا هوية أكثر من ٥٠ مشبوهاً من الموزعين المنتشرين في مدن متباعدة مثل بوسطن ومونريال، ودنفِر وسان فرنسيسكو.

شُددت الرقابة على جزيرة نورمنز كاي. وكشفت الصور التي التقطتها طائرات مديرية مكافحة المخدرات، طائرات إضافية. وأفاد قائد زورق لخفر السواحل كان راسيا

طائرات لنقل المخدرات والاموال النقدية جاثمة قرب المدرج في نورمنز كاي.

على مقربة من الجزيرة، عن ٤٦ هبوطاً واقلاعاً في فترات آخر الليل خلال أسبوع واحد. وكشفت مقابلات مع أشخاص ما زالوا على اتصال بالسكان القلائل الباقين في الجزيرة أن ليهدر شدّد اجراءاته الأمنية. ويستعين رجاله العاملون بكلاب "دوبرمان" ضخمة ويحملون رشاشات من نوع "ماك - ١٠".

وتنكر عملاء مكافحة مدعين أنهم بحارة تعطلت مراكبهم، فرسوا على رصيف المرفأ بحجة اجراء الاصلاحات اللازمة وتنصتوا الى اتصالات ليهدر اللاسلكية وجمعوا الرموز (الشيفرة) التي يتخاطب بها ربابنته. لكنهم بقوا قيد المراقبة الدائمة لرجال ليهدر، ولم يسمح لاي منهم بالنزول الى الشاطىء.

وقام ستارات برحلات الى ناسو لمتابعة جمع الادلة، لكن جهوده كانت تنتهي بخيبة مؤلمة. وغالباً ما وقف عاجزاً يشاهد ليهدر نازلا من طائرته الخاصة في مطار ناسو، مرحاً متنقلا كيفما شاء بحرية ولا مبالاة.

مضت أشهر صادق درايفر وستارات خلالها أحد رجال الشرطة الباهامية اللذين اعتقدا أن في الامكان الوثوق به. فنزل هذا خفية في نورمنز كاي مجتنباً دوريات الشاطىء، ورصد تحركات ليهدر مباشرة. لكنه لم يلبث أن كشف خططه لادارة الشرطة، فاقترف بذلك خطأ سيندم عليه.

ففي الساعات الاولى السابقة للفجر في ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ هاجمت قوة من الشرطة الباهامية جزيرة نورمنزّ كاي في ما بدا خطة للقبض على رجال ليهدر في غفلة منهم. ولكن ما ان سمع هؤلاء طلقات الانذار الاولى حتى استسلموا للحال.

أما ليهدر فوثب الى يخته ورمى في البحر ٩١ كيلوغراماً من الكوكايين قبل أن يدهمه رجال الشرطة. وحين انتصف الصباح كان ٣٣ من المرتزقة الالمان والكولومبيين والامريكيين - بمن فيهم ورد وفون إبرشتاين - قد رحّلوا بطائرة الى ناسو تحت حراسة مشددة.

لكن ليهدر لم يكن بينهم، ففي الدقيقة الاخيرة عمد مسؤول عال في الشرطة الباهمية الى ابدال "صديق" العميلين بضابط أكثر "انقياداً". وأطلق ليهدر من دون توجيه أي تهمة اليه، بعدما سلّم حقيبة قيل إنها تحتوي على ٢٥٠ ألف دولار نقداً. أما المحتجزون فعادوا الى نورمنز كاي خلال ٤٨ ساعة.

بدت العملية لدرايفر وستارات كأنها تمثيلية أخرجت بحيث توفر حجة للسلطات الباهامية بأنها نفذت عملية وقامت بواجبها، مما يدحض اتهامات مديرية المكافحة.

ولاحظ درايفر بغضب: "ان كارلوس ليهدر لا يملك جزيرة نورمنز كاي فحسب، بل يسيطر على البلاد بأسرها."

اعتقالات أولى

فيما شدد درايفر وستارات الضغط على جزر باهاما، واصل رجال المكافحة الآخرون في منطقة الكاريبي مراقبة شركات ليهدر. وبحلول السنة الجديدة ١٩٨٠ تمت الاعتقالات الاولى.

في لوس انجلس تمكن رجال المكافحة من كسر حلقة أحد موزعي ليهدر وكانت تسوّق ١٨٠ كيلوغراماً من الكوكايين شهرياً. واعترف أحد الموقوفين بأنه حقق ربحاً "يناهز ٣٠ مليون دولار."

بدأت القوة الضاربة تخنق مصادر النقد الذي يجنيه ليهدر من الولايات المتحدة. ففي لوس انجلس صادر رجال المكافحة شحنة بقيمة ثلاثة ملايين دولار فيما كان يجري توضيبها لتسليمها الى "صرّاف" غير قانوني في هياليه بفلوريدا. وفي ٢٣ أغسطس (آب) ١٩٨٠ كشف عميل في الكاريبي شحنة أخرى موضبة داخل صناديق لعبة "مونوبولي" بقيمة مليون ونصف مليون دولار، كانت على وشك أن تسلّم باليد بواسطة ساعٍ خلال رحلة بالطائرة من بوغوتا الى ميامي.

وتحقق انجاز كبير في مايو (أيار) لدى اعتقال ربان ممشوق القامة يبلغ طوله ١٩٨ سنتيمتراً ويدعى جون فنلي روبنسون. وهو اعترف لستارات بأنه كان ينقل الكوكايين بالطائرة لحساب ليهدر وشركائه منذ ١٩٧٧. وقد نفذ رحلات جوية في أنحاء البحر الكاريبي ناقلا في رحلة واحدة اكثر من ٦٨ كيلوغراماً من الكوكايين. وفي رحلة أخرى نقل ليهدر بالطائرة الى ميدلين ومعه ٢،٧ مليون دولار.

وأوقف ربان آخر يدعى ليفريت ميريل فرنسيس، فحدد مع روبنسون مواقع التجميع في كولومبيا التي كان يديرها ليهدر واعوانه.

لم يكن الكوكايين والثروة ما دفع ليهدر الى هذه الاعمال. بل حافزه الرغبة في السلطان.

قال روبنسون لستارات: "أتعلم؟ انه يريد أن يحكم بلداً."

أوقف الربانانِ في انتظار الادلاء بشهادتهما أمام هيئة محلفين. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ أبلغ درايفر وستارات أن "عملية الكاريب" انتزعت انتباه ليهدر،

وتكوّنت لديه قناعة أن أخطاء ورد هي التي أتت برجال مكافحة المخدرات الامريكيين الى نورمنز كاي. لذلك عمد الى طرده ورجاله من الجزيرة.

وللتأكد من أن ورد تبلّغ الرسالة أطلق رجال ليهدر النار على طائرته النفاثة "ميرلين ٣". وخضوعاً لمشيئة ليهدر رفض المسؤولون الباهاميون تجديد اقامة ورد وشركائه. لقد كان ليهدر محترفاً، وحشياً، قاسياً، واقعياً، يعرف متى تتجاوز الشراكة مدة نفعها.

في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨١، بعد ثلاث سنوات ونصف سنة من التحقيقات الطويلة المتواصلة، صدر اتهام غيابي من ٣٩ بنداً في جاكسونفيل في حق ورد وليهدر و١٤ آخرين. اتهم ليهدر بالتآمر لتهريب الكوكايين في "مشروع اجرامي مستمر" قد يؤدي الى حكم بالسجن ٦٠ عاماً أو مدى الحياة. واكتشاف مكان ورد واعتقاله سيكونان المفتاح لادانة ليهدر. وكان درايفر وستارات يأملان أن ينهار ورد بفعل الضغط ويتعاون واياهما ضدّ "معلّمه" السابق.

ولما كانت لديهما قائمة بطائرات ورد فقد تعقباه الى بور - او برنس في هاييتي مروراً بالكاريبي. وهناك أفاد أحد المخبرين أن ورد اشترى اخيراً منزلا كبيراً في التلال المشرفة على المدينة.

لم تكن ثمة معاهدة لتبادل المتهمين بين الولايات المتحدة وهاييتي. ومع ذلك استعد درايفر في ١٩ فبراير (شباط) ليطير الى بور - او برنس، وقال لستارات: "سأعمل حسبما تملي الظروف."

إستدر وهاجم!

حين هبطت الطائرة في هاييتي لاحظ درايفر أربعاً من طائرات ورد جاثمة الى جانب أحد المدارج. وكان يعرف ارقامها عن ظهر قلب.

أبلغ درايفر الى سلطات هاييتي الغاية من مهمته. لكن المسؤولين أعلنوا أنهم لم يسمعوا بادوارد هايس ورد. فلفت نظرهم قائلا: "إن طائراته جاثمة الآن في المطار."

كان المسؤولون لطفاء لكنهم لم يساعدوه. وكانوا يعرفون انه لم يملك سلطة للاعتقال في هاييتي. وقال له أحدهم: "أنا أقترح أن تعود الى بيتك وتدعنا نحن نتولى تدبير هذا الأمر."

لكن درايفر كان مصمما على ألا يعود الى جاكسونفيل الا ومعه ورد. لذا ظل يرود موقف السيارات خارج مقر ادارة الشرطة في بور - او برنس فيمسك الضباط ويحييهم قائلا: "صباح الخير أما من أخبار عن السيد ورد الى الآن؟"

عرف درايفر أنه كان يغامر بعمله هذا. فقد يطرده المسؤولون الهاييتيون من البلاد، أو يعلمون ورد بأمره فيهرب.

وفي النهاية أثمرت مضايقاته اذ خرج أحد الضباط وناوله قصاصة ورق من دون ان ينبس بكلمة. وعلى الورقة كُتب عنوان منزل ورد.

في تلك الليلة قصد درايفر منزل ورد للتحقق. فسار في طريق ضيقة متعرجة منارة

بمصابيح قليلة، ونزل من السيارة العمومية التي أقلته على بعد مسافة آمنة من المنزل.

تسلّق درايفر جداراً حجرياً يرتفع ثلاثة أمتار وتطلع حوله، فرأى نورين يسطعان في الطبقة العليا. وكانت الساعة قاربت الثانية صباحاً فندم على عدم ابقائه السيارة الى حين عودته. كانت طريق العودة طويلة مشياً الى الفندق الذي نزل فيه. وبعدما قطع حوالى ٨٠٠ متر رأى حانة مفتوحة فدخلها.

كانت الحانة مزدحمة بالزبائن وقد عبق جوها بالدخان وما ان حاول أن يستقر حتى جمد اذ شاهد ادوارد ورد جالساً الى احدى الطاولات. انه هو من دون شك! وتلاقت نظرتاهما، وعرف ورد درايفر حالا من الصور التي التقطت له خفية حين كان مع ستارات في جزيرة نورمنز كاي.

انحنى درايفر وانسل من الباب وأخذ يعود في اتجاه المدينة، اذ خشي أن يبعث ورد أحد رجاله في اثره فيعود الى جاكسونفيل مسجى في تابوت. او ربما قررت جماعة ورد الفرار سريعاً من طريق المطار.

لم يبق له سوى سبيل واحد وهو أن يسبق ورد الى المطار. فجأة شعر بحركة وراءه فاستدار ورأى جماعة من الشبان الهاييتيين يتبعونه وقد خرجوا لتوهم من أحد الشوارع الجانبية.

ناداه أحدهم: "هاي! أيها الابيض! نريد أن نأخذ دراهمك."

زاد درايفر سرعة عدوه. كان خبيراً في لعبة الكاراتيه، وعرف ان في امكانه شل حركة واحد أو اثنين من مهاجميه. ولكن ماذا بعد؟ فقد تطبق عليه الجماعة كلها. فرأى أن أمله الوحيد هو في المخادعة.

كان كلما أحسّ أنهم اقتربوا كثيراً وقف واستدار وصرخ في وجههم صرخة هجومية فيتراجعون قليلا ثم يعودون الى المطاردة. بدأ داريفر يلهث، وغابَ عنه حس الوقت والوجهة التي يسير فيها، وشعر بالوهن يدب في رجليه، خصوصاً لأن الجماعة أخذت تفوقه سرعة وتزداد جرأة بعد كل توقف.

بلغ منه الاعياء أشده وكادت تخونه طاقته على الاحتمال ومتابعة السير واذا به يشاهد رجلا واقفاً الى جانب سيارته في مدخل أحد الازقة. فرمى له كدسة من الدولارات على المقعد الامامي للسيارة وصعد اليها وهو يلهث وقال: "يجب أن أصل الى المطار بأسرع وقت ممكن. لدي حالة طارئة!"

وصل درايفر الى المطار قبيل بزوغ الفجر، فرأى ورد وشركاءه يحمّلون طائراتهم على عجل. فما السبيل الى منعهم من الاقلاع؟ كانت المخادعة ساعدته الى الآن، فصمم على المضي. وثب الى برج المراقبة وأعلن للضباط هناك: "المطار مقفل حتى اشعار آخر."

سأله أحد المراقبين: "ولكن بأمر من؟"

فكر درايفر سريعاً وذكر لهم اسم رئيس الشرطة العسكرية. عندئذ اعترى المراقب خوف شديد فشحب وجهه وأمر بمنع كل الطائرات من الاقلاع. وتابع درايفر العمل

فاتصل هاتفيا بمديرية الشرطة محذراً: "ان هناك عصابة من المجرمين الخطرين تستعد للهرب من البلاد."

لم تمض نصف ساعة حتى قدم ضابط منفرد وبدأ استجواب ورد. وكان درايفر في برج المراقبة يشاهد ورد وهو يجادل ويلوح بيديه. من ثم اقتاد الضابط ورد والآخرين الى جهة مركز مديرية الشرطة.

عمل درايفر بسرعة، فنادى سيارة أجرة لتنقله الى مركز الشرطة، اذ كان يعرف النتيجة الحتمية. سيشرح ورد لرجال الشرطة حصول سوء تفاهم، ويدس لهم كمية كبيرة من النقد ويغادر البلاد بطائراته خلال ساعة واحدة.

وصل درايفر الى مركز الشرطة بعد ورد بدقائق. أهنئك، لقد قبضت على أخطر مجرم فار مطلوب في الولايات المتحدة."

فشهق القائد وقال: "هل فعلت ذلك حقاً؟"

أشرق وجه درايفر وصافح الرجل هازاً يده بقوة وأضاف: "ان حكومتي تعرب عن أعمق تقديرها لكم. ستكون صحفنا تبلغت الخبر الآن من دون شك."

- الصحف؟

قرأ درايفر علامة ذعر ترتسم على محيا القائد. لم يكن في الامكان معرفة المبلغ الذي دفعه ورد لاطلاق الجماعة، لكن الضجة الاعلامية قد تحمل خطرا لا تحمد عواقبه في حال اطلاق ورد.

أضاف درايفر: "وسيذاع الخبر في التلفزيون أيضاً، وستصبح أنت بطلا عالمياً."

فكر الضابط قليلا ثم اعتذر وخرج. وبعد لحظات سمع درايفر القرار الذي تمّ ابلاغه الى ورد. بعد ذلك عاد الضابط وأعلن لدرايفر أن لا داعي الى معاملات معقدة، فالأمور واضحة وتقضي بطرد ورد من هاييتي في اسرع ما أمكن.

وخلال ساعات أجرى درايفر تنسيقاً بين مكتب مديرية المكافحة في جاكسونفيل والمسؤولين في سفارة الولايات المتحدة في بور - أو برنس، وتم الاتفاق على التفاصيل. وفي تلك الليلة ذاتها وضعت اصفاد في أيدي ورد وإرنست وغريغوري فون إبرشتاين وأربعة متهمين آخرين، ونقلوا الى المطار ثم الى طائرة «DC — 3» أرسلتها مديرية مكافحة المخدرات.

وعلى رغم الانقلاب المفاجىء في حظ ورد فقد ظل يتحدث بهدوء ولطف مع شركائه خلال الرحلة الى فلوريدا. وبعد تعقبه طوال هذه المدة لم يجد فيه درايفر ذلك المغامر الذي تخيل، بل ان ظنه فيه خاب. كان يتوقع أن يرى سجيناً متجهماً، عدائياً، ذا ملامح قاسية، لكنه وجد بدل ذلك رجلا بديناً همه جمع المال بطرق غير شريفة، وقد بدا غير متأثر بما حلّ به.

وبعدما قرر ورد أن يتعاون مع السلطات، أفضى بمعلومات بما تكفي لادانة كارلوس ليهدر وتحميله أقصى العقوبات.

(★) حكم على ورد أصلا بالسجن ٣٠ عاماً، لكنه أطلق بعد خمسة أعوام لتعاونه مع الحكومة.

حكم الارهاب

ان اعتقال ورد والاخوين إبرشتاين والمعلومات التي أدلى بها روبنسون وفرنسيس دفعت ليهدر الى تقليص عملياته في جزيرة نورمنز كاي. فقد أصبحت الجزيرة عبئاً عليه ولا فائدة تجنى منها. لكنها أدت دورها على أحسن وجه، اذ درَّت مليارات الدولارات عليه وعلى شركائه الكولومبيين.

كانت نورمنز كاي الكور الذي صهر فيه ليهدر أقوى منظمة. اجرام في وقتنا الحاضر. وكان هدفه الرهيب توحيد العائلات المتاجرة بالكوكايين في كولومبيا في مجلس ادارة مشترك. وبرز أربعة من كبار مموّني الكوكايين في البلاد ليتبوأوا قيادة ما كان سيعرف قريباً في العالم بالـ"كارتيل." وكان عقلهم الموجِّه كارلوس ليهدر.

وشملت المقدرات المشتركة النفوذ السياسي، ومصادر "عجينة" الكوكايين التي تسمى "باستا" في البيرو وبوليفيا، وجيشاً من المسلحين غايته تهديد الحكومات. وأي انتهاك لقوانين الكارتيل غير المكتوبة يقابل بالعقاب السريع الصارم. وكانت احدى العقوبات تسمى "ربطة عنق ميدلين"(٢) وتقضي بشق حنجرة الضحية وانتزاع اللسان وتدليته على الصدر. وقد خصّت هذه العقوبة بالمخبرين.

خيّم حكم الكارتيل الارهابي امتداداً من أمريكا الوسطى والجنوبية الى الكاريبي والولايات المتحدة ذاتها. وكان قادته يعززون سيطرتهم. ولم يبد أن أحداً كان بمنأى عن انتقام الكارتيل. وقضي على عائلات بكاملها فيما السلطات القضائية والتنفيذية عاجزة عن التصدي. فلم يكن بد من الاذعان للواقع.

كان داء الفساد المستشري حليف ليهدر الذي لا غنى عنه. فكان رجال الكارتيل يحشون أكياسهم بالمال ويرشون السياسيين البارزين ورؤساء الحكومات، من بوليفيا الى المكسيك ومن هندوراس الى هاييتي.

وفي كولومبيا أصبح تصدير كوكايين الكارتيل مصدراً رئيسياً لادخال النقد النادر الى البلاد، وبات في أهمية تصدير النفط في دول أخرى. فمليارات الدولارات التي دخلت البلاد بفضل المخدرات ساعدت في انعاش الاقتصاد المنهار. وتوظيفات الكارتيل المالية شملت المستشفيات والفنادق وشركات الطيران، وحتى فرق كرة القدم. وكان هناك حوالى ٤٠ ألف شخص يعملون لحساب الكارتيل أو في صناعات تحت سيطرته.

وظل نهم أمريكا للكوكايين يزداد. وكان الكارتيل تواقاً لاشباع هذه الرغبة. وزاد استيراد الكوكايين ثلاثة أضعاف خلال أربع سنوات حتى بلغ ٦٠ ألف كيلوغرام عام ١٩٨١.

وبقي ليهدر يتنقل حراً بين كولومبيا ونورمنز كاي. وعلى رغم ادانته في الولايات المتحدة ظل يتمتع بحماية بعض المسؤولين في الحكومة الباهامية، كما أنه قدر أهمية البلاد الاستراتيجية. وهو أوصى مرة بصوغ حلية "بروش" من الزمرد بقيمة ٤٠٠ ألف

(٢) Medellin cravat

دولار، تنفذ ببراعة فنية بهدف تقديمها هدية مفاجئة الى زوجة مسؤول كبير.

وكانت أشغال ليهدر تفرض عليه تمضية وقت أطول في ميدلين، وفي احدى المناسبات حجز رؤساء الكارتيل طبقة كاملة في فندق "انتركونتيننتال" الفخم لعقد اجتماعات يضعون فيها خططاً استراتيجية ولتسوية خلافاتهم واقتسام امدادات الباستا. وكانوا في حراسة رجال من الشرطة، خارج دوام خدمتهم، استؤجروا للمناسبة.

وشاد ليهدر مجمّعاً للمركز الرئيسي لمنظمته على ملكية واسعة بالقرب من مسقط رأسه أرمينيا، وسمّاه "لا بوسادا أليمانا" (بيت الضيافة الالماني). وكانت تحرس بواباته دوريات على مدى ٢٤ ساعة يومياً، مجهزة بأسلحة أوتوماتيكية. وشملت التجهيزات حديقة حيوان صغيرة، ومدرجاً معبداً للطائرات كاملا مع برج مراقبة، ومرقصاً زين مدخله بتمثال برونزي بالحجم الطبيعي تظهر فيه جروح رصاص مفتوحة، لنجم الروك المقتول جون لينون، وهو أحد "أبطال" ليهدر.

ولكن كان لكارلوس ليهدر أيضاً مثال مختلف يقتدي به: ذلك هو أدولف هتلر. ولكونه نصف ألماني فقد رأى في تطلعاته تطابقاً مع قوة هتلر وأحلامه بالفتح والسيطرة. والى ذلك فان جذوره الآرية جعلته يشعر برفعة على شركائه الكولومبيين الذين كانوا في غالبيتهم من العرق الهندي المختلط. وفي مكتبه الضخم في المجمع تمثال نصفي لهتلر من الذهب الخالص وصليب معقوف لامع شارة الحزب النازي الألماني.

واشترى ليهدر صحيفة في أرمينيا لتكون حقل دعاية لخطته الاكثر جرأة الى ذلك الوقت، الا وهي حزب سياسي كان أسسه عام ١٩٨١ وسماه "الحركة الوطنية اللاتينية." وكان برنامجه مزيجا من "النازية الجديدة" والنقد العنيف المناهض للامبريالية والموجه غالباً الى الولايات المتحدة.

وكان حين يظهر لمخاطبة الجماعات المحلية يحيط نفسه بصور ضخمة لهتلر وموسوليني.

كان قسم من خطة ليهدر الكبيرة يعتمد على تأييد المنظمات الثورية التي كانت تزداد قوة في كولومبيا. وكانت هناك منظمتان رئيسيتان: حركة "م - ١٩" و"قوات الثورة الكولومبية المسلحة." وكلتاهما تعهدتا حماية المختبرات ومهابط الطائرات التي يملكها الكارتيل في مقابل المال. وجند ليهدر بنفسه عدة وحدات أخذت ببرنامجه السياسي المناهض للولايات المتحدة، وكان في نيته دمجها في النهاية لتؤلف جيشاً خاصاً.

وقوع في الفراغ

كان اندفاع درايفر وستارات في التحقيق سريعاً لا هوادة فيه. ولكن بعد ادانة ليهدر واعتقال ورد تضاءلت أهمية "عملية الكاريب" وخبا وهجها. فعين الرجلان لملاحقة قضايا أخرى، منها قضية تهريب ٥٠٠ طن من الماريوانا الى فلوريدا، لكن كارلوس ليهدر لم يكن متورطاً فيها.

وصعب على ستارات أن يتقبل خيبته. فشكا حاله الى درايفر قائلا: "ها اننا نعتقل زمرة من المهربين التافهين فيما يسرح صاحبنا ويمرح حراً طليقاً وهو يهزأ بنا."

وفي فبراير (شباط) ١٩٨٣ سمع درايفر نبأ سقوط احدى الطائرات التي كان ليهدر ينوي استخدامها في نقل الكوكايين قبالة نورمنز كاي. وكانت الجزيرة شبه مهجورة وقد نهب رجال ليهدر معظم داراتها. وهو نفسه لم يزرها منذ أشهر. وكان حطام الطائرة المنكوبة على الشاطىء رمزاً كئيباً صامتاً لمصير الجزيرة.

كانت أنباء مؤتمرات ليهدر الصحافية وتجمعاته السياسية ترسل الى درايفر وستارات من طريق مكتب المكافحة في بوغوتا. وهو تباهى في احدى اذاعات الراديو بأنه ساعد في تهريب ألوف الكيلوغرامات من الكوكايين الكولومبي عبر جزيرة نورمنز كاي الى الولايات المتحدة. وكرّر مباهاته في اليوم التالي متحديا الولايات المتحدة وكولومبيا أن يقوما بأي عمل ضده. لكنه هذه المرة جاوز حده في الصلف.

أمام التحدي المباشر للسلطة الشرعية، وواقع حكومة أفسدتها أموال الكارتيل أو أرهبها مسلحوه، بدأت السلطات القضائية الكولومبية تفكر في طرد ليهدر استناداً الى الادانة التي أصدرتها القوة الضاربة عام ١٩٨١.

ودب النشاط في جاكسونفيل اذ عاد درايفر وستارات الى جمع الادلة والشهادات المحلّفة وادانة هيئة المحلفين الكبرى ضد ليهدر. وفي ٢٦ يوليو (تموز) طار العميلان الى بوغوتا يرافقهما المدعي العام في الولايات المتحدة العام روبرت ميركل ومساعده إرنست مولر، في حراسة أمنية واحتياطات مشددة.

وأبلغت مكاتب مديرية المكافحة في أنحاء أمريكا اللاتينية وأوروبا بالامر ووضعت في أقصى حالات التأهب. وأفادت التقارير أن ليهدر يختبىء في احدى مزارعه النائية في كولومبيا. لكن عزلته لم توهن قدرته على ضخّ الكوكايين الى الولايات المتحدة. ففي أكتوبر (تشرين الاول) أظهر تحقيق لمديرية المكافحة، بعد تتبع عدة شحنات ضخمة للكارتيل في أريزونا، أنها شحنت جواً الى الجنوب الغربي من طريق المكسيك. وكانت تلك عملية التفاف وتملّص من جمارك الولايات المتحدة ودفاعات مديرية المكافحة، وقد اتقنها ليهدر وسيعاودها.

"انها لمزحة،" قال ستارات لدرايفر ذات صباح في اوائل ١٩٨٤. "علينا نحن أن نلعب مقيدين بالقوانين، وما عليهم هم ذلك. وها هم مواطنونا ينشقون الكوكايين كما لو أن أنوفهم مكانس كهربائية. قل لي بربك: هل سنغير نحن هذا الوضع؟"

القائد رامبو

في خريف ١٩٨٣ اطلقت مديرية المكافحة عملية تمويهية في شيكاغو بهدف اغراء شاري المواد الكيميائية المستخدمة في تحويل الكوكايين، مثل الأسيتون و"الايثر." وقبيل نهاية السنة باع رجال المكافحة ٤٨ برميلا من مادة الايثر الى اثنين من مموني الكارتيل. وغداة شحنها ثبت فنيو المكافحة جهاز تعقب داخل أحد البراميل.

وتولى قمر اصطناعي أمريكي لخفر السواحل تتبع الاشارات أولا الى نيو أوليتز ثم الى مزرعة كبيرة بالقرب من ميدلين يملكها هورهي أوتشوا وهو أحد قادة الكارتيل. ومن هناك تتابعت الاشارات وصولا الى فسحة في دغل ناء على ضفة نهر ياري تبعد مئات الكيلومترات الى الجنوب الشرقي من بوغوتا. وكانت البقعة معزولة وغابة المطر الاستوائية صعبة الاختراق الى حد أن رجال المكافحة ارتابوا في أن يكون جهاز التعقب اكتُشف وأنهم يضلّلون. لكن الصور الفوقية أكدت وجود عدة اكواخ هناك.

قبيل الفجر في ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٤ هبط في فسحة الغابة سرب من الطوافات حمل ٤٠ من رجال الكوماندوس الكولومبيين وفريق مراقبي من مديرية المكافحة. واذ وثب الرجال من الطوافات جُبهوا بنيران أسلحة أتوماتيكية من خلف الأشجار سمّرتهم في أماكنهم. كان القتال شرساً ولم يدم طويلا وانسحب القناصون على أثره. فتقدم الجنود ورجال المكافحة بحذر وفوجئوا بما اكتشفوه. كانت الغابة تخفي مجمعاً صناعياً كاملا لانتاج الكوكايين على نطاق واسع، لا مختبرات بديلة موقتة كانوا يتوقعون وجودها.

وحين أبرقت نتائج الغارة الى مديرية مكافحة المخدرات أذهل الاكتشاف حتى درايفر وستارات. فقد ضبطت كمية من الكوكاين تزيد على ١٥ طناً. وكان اسم المجمّع "ترانكيلانديا" (الارض الهادئة) وفيه قاعات نوم للعمال والكيميائيين ومستوصف وقاعات للطعام ومكتبة في تصرّف العمال خلال ساعات فراغهم. وكانت مخازن التموين تضم ألوف البراميل التي تحتوي على وقود للطائرات ومواد كيميائية للمعالجة. وكانت المختبرات تنتج طنين من الكوكايين كل أسبوع، أي ما يقدر بخمسة مليارات دولار في السنة.

اعتقل عدد كبير من العمال، لكن معظمه انسلّ الى الادغال مع المسلحين الذين عرف أنهم من "قوات الثورة الكولومبية المسلحة."

بعد سبعة أسابيع رد رجال الكارتيل بانتقام وحشي من الرجال الذين اعتقدوا أنهم المسؤولون عن الغارة. ففي السابعة والنصف بعد ظهر ٣٠ ابريل (نيسان) اغتيل وزير عدل كولومبيا رودريغو لارا بونيلا (٣٣ سنة) برصاص مسدس اوتوماتيكي من عيار ٠،٤٥ مزق جسده فيما كان عائداً من مكتبه الى بيته وهو يقود سيارته. فصعق الرئيس بيتانكور لهول الجريمة وأعلن أن كولومبيا هي في "حال حصار." وأذاع أسماء رجال الكارتيل البارزين الذين يستطع الجيش أن يحتجزهم من دون اتهامات رسمية.

وأبلغ الكارتيل الحكومة في بوغوتا استعداده لعقد صفقة هدنة مع الرئيس بيتانكور. وفي مايو (أيار) ١٩٨٤ أصدر قادة الكارتيل بياناً سلّم الى الحكومة يتعهدون فيه وقف عملياتهم في مقابل الغاء جميع مذكرات الاعتقال الصادرة في حقهم والغاء معاهدة تبادل المتهمين الموقعة مع الولايات المتحدة عام ١٩٧٩. وتعهد الكارتيل تقديم تبرعات لبرامج الصحة والتعليم في كولومبيا وتسديد الدين الخارجي على الحكومة الكولومبية بكامله والبالغ ١٠،٥ مليارات دولار!

لم تكن ثمة سابقة مماثلة لعرض الكارتيل، اذ لم تعمد أي منظمة اجرامية الى املاء شروطها على دولة مستقلة بمثل هذه الجسارة الوقحة. فرفض الرئيس بيتانكور العرض، ولم تمض مدة وجيزة حتى وقع موافقته على طلب تسليم ليهدر.

في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، بناء على معلومات سرية من مديرية المكافحة، اعتقل رجال الشرطة هورهي أوتشوا في مدريد باسبانيا. وكان فرّ الى هناك مع أحد القادة و١٥ "ملازماً" بعد رفض الحكومة الكولومبية معاهدة الصلح التي تقوم بها الكارتيل.

في واشنطن عمدت وزارة العدل الى التحرك بسرعة لطلب تسليمه رسمياً. لكن الكارتيل عمل بسرعة أيضاً. فأرسل بالبريد الى قضاة المجلس الاعلى للقضاء الكولومبي - الذين سيصدرون أحكامهم في قضايا تسليم أخرى - توابيت مصغّرة مع أكفان وصور لزوجاتهم وأولادهم. وكانت فرق من المسلحين تبحث عن رجال الشرطة والمخبرين المشبوهين وتصرعهم من دون خشية من الملاحقة أو العقاب.

وفي ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) دفعت اعمال العنف والتهديدات المستمرة سفارة الولايات المتحدة الى خفض عدد موظفيها الى الحد الادنى، وبات الديبلوماسيون يتنقلون في مواكب سيارات مصفحة. وجاءت هذه الترتيبات الأمنية في الوقت المناسب، ففي ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) انفجرت قنبلة في الشارع المجاور للسفارة وتسببت في مصرع امرأة كولومبية.

أبى الرئيس بيتانكور أن يخضع للتهديد. وتحدى الكارتيل فسلّم أربعة من أعضائه ليحاكموا في الولايات المتحدة.

وكانت الحكومة الكولومبية استنفرت جيشها وشرطتها في أنحاء البلاد، ومع ذلك ظل ليهدر يتملص من الاعتقال. وكان في نظر درايفر وستارات وسائر عملاء المكافحة الذين أشرفوا على القاء الشباك لاصطياده كالظل ينتقل من كوخ في الغابة الى آخر، فيظهر ويختفي وليس بينه وبين يد العدالة التي تطارده الا قيد خطوة.

وكانت حياة ليهدر بالهرب والاختباء بعيدة عن حياته المترفة الهانئة في نعيم جزيرة نورمنز كاي. وهو كان في البدء يتعاطى الكوكايين للانتعاش والترفيه، واذا به يصبح مدمناً لا غنى له عن المخدر. واذ كان عاجزاً عن الظهور علنا فقد تداعت حركته الوطنية اللاتينية في أرمينيا. وكان في العام ١٩٨٣ نال ١٢ ألفاً من أصوات الناخبين وكاد يحصل على مقعد في الهيئة التشريعية الكولومبية. أما الآن فما لم يحققه في الانتخابات قرر أن يحصل عليه بالقوة. ودفعته الهلوسة المتأتية من تعاطي الكوكايين الى تصور قيادة جيشه المؤلف من رجال العصابات والخروج به من الادغال لاكتساح دول العالم.

وسد شعره على كتفيه وتمنطق بلباس القتال. وكان حرسه الخاص، وكثير منهم يكاد لا يتعدى سني المراهقة، يهتفون له محيين: "كوماندانتي رامبو" على غرار شخصية مقاتل محنّك تتدلى بندقيته من كتفه في فيلم للممثل سيلفستر ستالون. وقد

استساغ ليهدر هذه الصورة وبات يشاهد أفلام "رامبو" تكراراً على الفيديو.

وكلما اشتدت عزلته نما كرهه للولايات المتحدة. فجنّد ارهابيين لمعرفة كل الديبلوماسيين والموظفين الامريكيين الباقين في بوغوتا. وهدد بقتل خمسة أمريكيين في مقابل كل مهرب مخدرات كولومبي تكشفه مديرية المكافحة ويسلّم الى الولايات المتحدة. وعرض مكافأة بـ٣٥٠ ألف دولار لمن يقتل رئيس مديرية المكافحة آنذاك فرنسيس مولن، ومبالغ أخرى لقتل أي عميل للمديرية في الولايات المتحدة أو كولومبيا.

وظل ليهدر على اتصال دائم مع قادة آخرين للكارتيل ما زالوا طليقين. وفي واشنطن قدرت مديرية المكافحة كمية الكوكايين التي سلّمت في الولايات المتحدة في الاشهر الاثني عشر الفائتة بـ١٣٧ طناً، منها ٨٠ في المئة للكارتيل.

بيت الوفرة

فيما كان بوبي ستارات يستمع الى نشرة الاخبار المسائية في التلفزيون شاهد كارلوس ليهدر على الشاشة. كان جالساً في كرسي فخم يشبه العرش وسط فسحة في الادغال، يصوره فريق تلفزيوني اسباني.

أعلن ليهدر أن الكوكايين هو القنبلة الذرية التي يملكها العالم الثالث، وسوف تحول أمريكا الى حال مخيفة من العجز والشلل بفعل تأثير المخدرات، وتدمرها في النهاية. كان يؤدي دور "المناضل في سبيل الحرية" المدافع عن المضطهدين.

كاد ستارات يختنق من الغضب. فتناول الهاتف واتصل بدرايفر.

هتف درايفر: "ماذا تقول؟ أنا لا أصدق."

فرد ستارات بحدة: "ها ان الجميع قد أضناهم البحث عن كارلوس في كل اتجاه، واذا به يظهر مع مصوري التلفزيون، أولئك لم يجدوا صعوبة في العثور عليه."

كذلك كان رد الفعل في مقر مديرية مكافحة المخدرات في واشنطن، فكثفت المطاردة بهمة اليائس. وامتنع مراسل التلفزيون الاسباني الذي قابل ليهدر عن البوح بمخبأه. ولم يملك رجال المكافحة لمتابعة بحثهم الا تقارير تفيد أنه كان مختبئاً في "هاسييندا أبوندانسيا" (مزرعة الوفرة) التي يقال انها في ناحية ما بعيدة الى الشرق من بوغوتا.

فهل هذا هو المكان حيث جرى تصوير ليهدر؟ اذا كان ذلك صحيحاً فهناك شعاع أمل ضئيل في العثور عليه. المفتاح هو شريط الفيديو، ولدى وكالة الاستخبارات المركزية «CIA» وحدها المهارة والاجهزة "لقراءة" الشريط وتحديد موقع تلك الفسحة في الادغال.

في مركز وكالة الاستخبارات الرئيسي في لانغلي بولاية فرجينيا التقى عميل من المكافحة وفني من قسم التصوير في الوكالة لمشاهدة الشريط. توسط ليهدر الشاشة وكان تركيز عدسات التصوير عليه. وشوهد رجال مسلحون يعتلون الخيل، وفي الخلفية

كارلوس ليهدر (الى اليمين) أصبح في النهاية مدمناً الكوكايين.

ومضة لخط نهر مجاور. وبعد انتهاء المقابلة تتبعت العدسات ليهدر وهو يتوارى داخل بناء أبيض من الجصّ.

ثم انتهى العرض.

سأل رجل الاستخبارات: "أهذا كل شيء؟"

أجاب رجل المكافحة: "هذا هو، أيمكنك أن تفعل شيئاً؟"

– سنحاول.

بعد عشرة أيام تلقى عميل المكافحة اتصالا في مكتبه من الخبير الفني. قال: "أعتقد أننا حددنا مكان صديقك."

التقى الاثنان في مختبر لوكالة الاستخبارات مغطى بالخرائط. وكانت هناك صور مكبّرة من شريط الفيديو، منضدة على طاولة والى جانبها لوحات بلاستيكية بيانية مرتبة لزيادة الايضاح.

وراح الخبير الفني يشرح معالم المنطقة الريفية الظاهرة في الشريط التلفزيوني: النهر، خط شجر نائياً وما ظهر كأنه أعمدة لأضواء الانارة الغامرة القوية التي ربما أقامها فريق التلفزيون الاسباني.

سأل الفني: "هل ترى الظلال التي تلقيها الاعمدة؟ بهذه نعرف الوقت التقريبي للمقابلة، وبقياس الظلال وزواياها يمكننا تحديد موقع الشمس مما يتيح لنا تخميناً قريباً من الواقع."

واشار باصبعه متتبعاً حدود النهر غير الواضحة تماماً، وقال: "هذه القطعة الطويلة الضيقة هي خط رملي. وبتفحص شكل التأكل الذي أحدثه مجرى الماء نستطيع معرفة اتجاه مجرى النهر."

وتقدم الخبير الفني من خريطة كولومبيا وحدّق الى منطقة طوقت بدائرة الى الجنوب من مدينة تدعى فيلافيسنشيو. وأخذ يقيس الكيلومترات، ثم وضع علامة بقلم رصاص

على الخريطة وأعلن: "يجب أن يكون في مكان ما هنا، لأن أوراق النبات التي تظهر في الفيديو تطابق تلك التي تنمو هناك."

ولكن ما السبيل الى تحديد الموقع بدقة؟ فاستخدام طائرة استطلاع في تلك الانحاء المنفردة ليس سوى كشف فاضح للمهمة. والبديل الوحيد هو "استئجار" قمر اصطناعي من "وكالة الامن القومي." وما هي الا أيام حتى نقل أحد الاقمار الى مدار فوق الجزء الشرقي من كولومبيا.

وفي عمق السكون في الفضاء كانت آلات التصوير تئزّ وتلتقط الصور ثم ترسلها الى محطات استقبال تنقلها الى مركز وكالة الامن القومي. وحين التقطت العدسات الفائقة الدقة منزل ليهدر المبني بالجصّ، برز كبقعة من الطلاء الأبيض الناصع على أرضية قاتمة.

في ساعات الصباح الأولى في ٨ أغسطس (آب) ١٩٨٥ تسلل فريق من الشرطة الاتحادية ورجال المكافحة داخل الغابة، مزودين أسلحة ثقيلة، واتخذوا مواقع لهم بالقرب من الموقع المقصود. ولم يكن يقطع السكون الا همهمة الحشرات.

وانبعث فجأة صوت تكسر زجاج ثم طلقات أسلحة أوتوماتيكية. فرد رجال المكافحة والشرطة على النار. واذا بصوت يرتفع من الداخل معلناً الاستسلام. وبعد لحظات خرج كثير من حرس ليهدر الخاص رافعين أيديهم.

أما ليهدر فلم يكن بينهم، اذ انه في اللحظة الاخيرة وثب من احدى النوافذ وهرب في الغابة لابساً سروالا قصيراً ومدلياً بندقيته من كتفه. فقد أتاحت له فترة القتال الوجيزة وقتاً كافياً للهرب.

داخل المنزل وجد رجال المكافحة ٥٤ كيلوغراماً من الكوكايين وقرابة مليوني دولار نقداً. لم يكن هناك من شك في أن ليهدر استقر في هاسييندا أبوندانسيا وفي نيته الاقامة طويلا. وكانت جدرانها مزينة بصور أدولف هتلر وعشيقته إيفا براون.

ثلاثة عشر قاضياً

كان فرار ليهدر بعد احكام الطوق حوله خيبة مريرة لمديرية مكافحة المخدرات. في هذه الاثناء كان مجلس القضاء الكولومبي الاعلى في بوغوتا يهم بأخذ القرار في شأن طلبات تسليم عدد من شركاء الكارتيل الى الولايات المتحدة.

في ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ أخذ الكارتيل اجراءات تهدف الى منع صدور أوامر بالتسليم. فاقتحمت قوة من رجال العصابات مبنى قصر العدل فيما القضاة يهمون بالاجتماع. وعقب ذلك "حمام دم" طوال النهار اضطر فيه الجيش الكولومبي الى استخدام المدافع ضد الارهابيين المتحصنين في الداخل. فقُتل ٩٥ رجلا وامرأة. وكان بين الضحايا ١١ قاضياً من مجلس القضاء الاعلى. وأتلفت كل الادلة الثبوتية التي تدين أعضاء الكارتيل.

وفيما كانت كولومبيا لا تزال لابسة ثوب الحداد استعد الكارتيل لانزال ضربة في

مكان آخر. ففي ١٩ فبراير (شباط) ١٩٨٦ قتل رجل برصاص رشاشات في باتون روج بولاية لويزيانا. وهو شاهِد لدى مديرية المكافحة يدعى باري سيل وكان رباناً للكارتيل أدت شهادته الى سجن ٣٠ مهرباً. واعتقل بضعة مسلحين كولومبيين ودينوا بتهمة القتل. وجاء في ادانة الحكومة الاتحادية أن فابيو شقيق هورهي أوتشوا هو أحد مأموري دفع الاجور للقتلة والتي بلغت ٥٠٠ ألف دولار.

رفضت اسبانيا تسليم المتهمين الى الولايات المتحدة وسلمت أوتشو الى السلطات في كولومبيا. وزُعم أن تسليمه الى وطنه مُهِّد بدفع رشوة زادت على ١١ مليون دولار. وفي ١٥ أغسطس (آب) أُطلق بحكم من أحد قضاة الجمارك الكولومبية بعد دفع كفالة بـ١١،٥٠٠ دولار بتهمة "استيراد ثيران للمصارعة بطرق غير مشروعة" من مزرعته في اسبانيا.

واستمر الكارتيل في التحدي. ففي ٢٢ أغسطس (آب) كشف تقرير استخباري لمديرية المكافحة ان منظمة الكارتيل تنوي شراء أربع مقاتلات نفاثة من طراز "هارير" لمهاجمة طائرات المكافحة حين تقترب من مختبراتها للمراقبة. ولم يكن ممكناً تجاهل المعلومات، اذ كان معلوماً أن ليهدر وقادة آخرين للكارتيل يملكون الوسائل للحصول على صواريخ أرض - جو من كوبا ومن نيكاراغوا.

واستمرت ذراع الكارتيل الطويل في الاجرام وخطف الارواح.

في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ اغتيل قاض آخر في كولومبيا رفض التعاون، وهو كان القاضي الثالث عشر يقتل خلال ١٣ شهراً. وخارج بوغوتا، بعد ثلاثة أسابيع، تعقّب مسلحون ضابط الشرطة جيمي راميريز الذي قاد الهجوم على "ترانكيلانديا" قبل سنتين فقتلوه أمام زوجته وأولاده.

وفي ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ اغتال قتلة الكارتيل غييرمو كانو رئيس تحرير الصحيفة الثانية الاكثر نفوذاً في كولومبيا، وكانت "جريمته" نشر سلسلة من المقالات تنتقد المنظمة. فعمد الرئيس الكولومبي الجديد فيرجيليو باركو الى عقد معاهدة تسليم أخرى مع الولايات المتحدة، متجاوزاً مجلس القضاء الاعلى الذي أصبح مروّعاً وخاضعاً كلياً لارهاب الكارتيل.

ومع نهاية العام ١٩٨٦ كان قتلة الكارتيل مسؤولين عن العدد الاكبر من قرابة ٢٥٠٠ حادث قتل سجلت تلك السنة في مدينتي ميدلين وكالي. وقد قتل ١٨٠ شرطياً في انحاء البلاد.

في اكتوبر (تشرين الاول) صادر عملاء المكافحة أضخم شحنة كوكايين فردية الى ذلك التاريخ، وهي أكثر من طنين مخبأة داخل حاويين في باخرة وصلت الى بالم بيتش في فلوريدا. وفي كاليفورنيا بلغ مجموع الكميات المصادرة ستة أطنان ونصف طن. وغمر الكوكايين الولايات المتحدة ولم يبق مكان آمن بمنأى من يد الكارتيل. فكان المجرمون يلاحقون المستهدفين في أماكن نائية مثل بودابست في هنغاريا حيث قتل أحدهم، صباح ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ العاصف بالثلج، السفير الكولومبي

إنريكي باريهو غونزاليس. أصيب السفير بخمس رصاصات لكنه نجا بأعجوبة. وكان جرمه أنه وقّع اوراق تسليم بعض أعضاء الكارتيل حين كان وزيراً للعدل.

"نادوه ليخرج!"

في صيف ١٩٨٥ نقل دوغلاس درايفر من جاكسونفيل الى مكتب مديرية المكافحة في بناما. واستمر في التنقيب في قصاصات المعلومات عله يكتشف مفتاحاً لحل القضية التي استنفدت نحو عشر سنين من حياته في المطاردة. وفي أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ تلقى كتاباً غفلا من التوقيع، ذكر فيه اسم يعود الى الماضي.

كان درايفر أدرك بحدسه أن جاك كارلتون ريد، مساعد ليهدر في جزيرة نورمنز كاي، سيعود الى الظهور، كما حصل فعلا. فقد كشف الكتاب أن ريد، بعدما اختفى مدة أربع سنوات، يعيش في كوخ بالقرب من القرية النائية بورتوبيلو في "برزخ بناما." وموقعها لا يبعد كثيراً عن خليج اورابا في كولومبيا وميناء توربو حيث خطط ليهدر، بحسب آخر التقارير، لانشاء مختبر للكوكايين وكانت كل المعلومات متطابقة.

نقل درايفر الخبر الى ستارات الذي كان رقّي لتوه الى وظيفة عميل مكلّف في مكتب مديرية المكافحة في برمنغهام بولاية ألاباما. فانتشى ستارات جذلا. وسأل درايفر: "وكيف ستتدبر لعبتك؟"

أجاب درايفر: "سأتحلّى بالهدوء والصبر وطول الأناة، فلا بد من أن يظهر كارلوس يوماً."

جنّد درايفر مخبريه لكي يطلعوه للحال على هوية أي شخص يأتي لزيارة ريد. ولم تمض أسابيع على اكتشاف ريد حتى قدم أحد أقدم شركاء ليهدر لزيارته في الكوخ، وفي رفقته عدد من تجار المخدرات الكولومبيين.

لكن درايفر اضطر الى وقف المراقبة. فصباح ٥ فبراير (شباط) ١٩٨٧ تلقى اتصالا هاتفياً ملحاً من مكتب المكافحة في بوغوتا يعلمه: "اسمع جيداً: لقد اعتقل الكولومبيون ليهدر!"

وأضاف المتكلم في أذن درايفر المذهول: "أمس دخل قروي مركز الشرطة في ميدلين وأفاد أن مجموعة من الرجال المسلحين بأعتدة ثقيلة تركزت في أحد الاكواخ على بعد ٢٥ كيلومتراً خارج المدينة. فاستكشف رجال الشرطة المحلة وأثبتوا صحة قصة القروي. فهاجموا المكان قبيل الخامسة صباحاً. وجرى قتال فسقط أحد المسلحين واستسلم الآخرون. وكان بينهم كارلوس ليهدر."

فسأل درايفر وهو يكتب بسرعة كل ما جاء في المكالمة: "وأين هو الآن؟"

فأخبره المتكلم، وهو أحد رجال المكافحة، أن ليهدر هو على متن طوافة للجيش ذاهبة به الى بوغوتا. وقد وافقت السلطات الكولومبية بسرعة خاطفة على تسليمه الى الولايات المتحدة للحؤول دون تدخل محتمل للكارتيل. وتقرر وضعه في الليلة ذاتها في طائرة خاصة بمديرية المكافحة تنقله الى فلوريدا.

طلب درايفر تبليغه لحظة تحليق الطائرة في الجو. ثم اتصل هاتفياً بستارات في برمنغهام.

قال شريكه السابق: "أنا أعرف ذلك، ولقد وددت لو أن القبض عليه تم على أيدينا."

قال درايفر انه سيبذل قصاراه لادانة ليهدر. فسأله ستارات هل ينوي ملاقاة الطائرة، فأجاب درايفر: "كلا. أنا ذاهب للقبض على جاك ريد قبل أن يبلغه الخبر فيهرب."

في الخامسة صباح ٦ فبراير (شباط) التقى درايفر وحدتين من كوماندوس بناما وانطلق معهما الى بورتوبيلو. فسدّت مجموعة طريق البحر، وقاد درايفر الاخرى براً في طريق متعرجة داخل غابة كثيفة ثم فوق جرف صخري شاهق يعلو الشاطىء المثلّم.

في الاولى بعد الظهر كان الجميع أخذوا مواقعهم. وأمكن درايفر مشاهدة الفريق الذي سدّ مدخل الخليج الصغير. فسحب مسدسه (ماغنوم من عيار ٠،٣٥٧ ملم) وأعطى الاشارة لقائد الوحدة البنامية.

قال له: "أوكي، ناده الآن ليخرج."

اندفع من وراء الكوخ شخص طويل نحيف يعتمر قبعة مزارع مسرعاً الى الغابة. لكنه توقف فجأة لدى مشاهدته البنادق المصوّبة اليه. أكد للرجال أن ثمة خطأ ما، اذ انه يدعى جون ويليمس دي لوبيز وهو مزارع عادي يكسب قوته ببيع جوز الهند.

ورأى درايفر أن الرجل يكاد يقنع الجنود بصحة كلامه. لقد تقدم كثيراً في العمر منذ ترك جزيرة نورمنز كاي.

وكان درايفر يعرف أن لدى ريد كلب صيد ذهبي اللون، وأن الكلب كان معه في جزر باهاما، حتى انه كان يعرف اسم الكلب أيضاً. وفيما هم وقوف خلف الكوخ دلف الكلب الى الفسحة وقعد بهدوء وهو في حيرة مما يجري من حركة. فصفر له درايفر وناداه: "الى هنا يا نورمان."

فأطاع الكلب وقفز مبختراً وهو يهزّ ذيله.

عندئذ أسقط في يد ريد.

ادانة صارخة

أرسل ريد الى جاكسونفيل حيث بدأت القصة قبل عشر سنين. فاحتجز هو وليهدر في زنزانتين منفردتين في غمرة احتياطات أمنية مشددة ومن دون القبول بدفع كفالة مالية لاطلاقهما. في هذه الاثناء أعيد تعيين درايفر وستارات في جاكسونفيل، حيث عكفا في أحد المكاتب التحتية لدار المحكمة الاتحادية على جمع الادلة الثبوتية ضد ليهدر وريد.

ولم يكن درايفر أو ستارات التقى ليهدر شخصياً. وفي مارس (آذار) اقتيد ليهدر الى قاعة مؤتمرات في المحكمة لكي يخط نموذجاً من كتابته اليدوية بهدف مقارنتها بالوثائق والرسائل التي اكتشفت خلال "عملية الكاريب."

قال درايفر وهو يدخل: "هالو كارلوس."

جلس ليهدر الى طاولة وهو يكاد يبدو رجلا آخر غير قائد العصابات الذي رآه العميلان في التلفزيون قبل سنتين. لقد غابت عنه صورة مقاتل الادغال بشعره الاشعث وحضوره الصاخب وتبجحه. بدا متأنقاً وشعره حسن الترتيب وأظافير يديه مقلمة.

عرف رجلا المكافحة أن محامي ليهدر - الذين قيل ان ليهدر وكلهم في مقابل مليون دولار - نصحوه أن يتلبس شخصية محافظة أثناء محاكمته. وهو بدا مطمئناً، متزناً، رابط الجأش، حتى ليصعب على المرء ان يصدق انه هو ذاته ذلك الرجل الذي نظم الكارتيل وأمر بقتل المئات واتسمت جرائمه بالوحشية واللامبالاة.

وما ان رفع ليهدر بصره ورأى درايفر وستارات حتى هتف وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة: "هاي! ألستما ذانك البطلان؟ انني أذكركما جيداً من جزر باهاما."

فقال ستارات: "أكتب فقط ما نمليه عليك."

مال ليهدر الى الوراء وصمت لحظة ثم قال: "حسناً، لقد غامرت في اللعبة وخسرت... في الوقت الحاضر."

بدأت محاكمة ليهدر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧. وكان رجال الاستخبارات وفريق الادعاء جمعوا ١١٥ شاهداً ضده، بينهم ادوارد ورد وغريغوري فون إبرشتاين وجون فنلي روبنسون وليفريت ميريل فرنسيس.

ظهر ليهدر مرتدياً بذلة تقليدية، واستمع الى الشهادات من غير أن يرف له جفن. وفيما هو يوزع ابتساماته وتحياته على العملاء والمعارف في شرفة النظّارة بدا كأنه رئيس مجلس ادارة يحضر اجتماعاً سنوياً لمالكي الاسهم... باستثناء عينيه اللتين تحولتا بركاناً من الحقد الوحشي القاتل كلما تعقبتا شاهداً أو عضواً في فريق الادعاء.

وفي سياق المحاكمة وردت أخبار طيبة من المكسيك. فاستناداً الى معلومات زودتها مديرية المكافحة، تمكنت السلطات المكسيكية من كسر حلقة تهريب كولومبية جديدة، وقبضت على اكثر من ٢٤ متاجراً بالمخدرات بمن فيهم ستة شركاء للكارتيل، وصودر أكثر من ألفي كيلوغرام من الكوكايين.

بعد أسابيع توجه الناخبون الكولومبيون الى صناديق الاقتراع للادلاء بأصواتهم. وفي بوغوتا انتُخب لمنصب العمدة رجل شجاع قاد حرباً شعواء ضد التهريب، وكان خطفه ارهابيو الكارتيل واحتجزوه لمدة أسبوع. وفي ميدلين حيث قاعدة المنظمة انتُخب لهذا المنصب محرر شجاع نجا من قنبلة ألقيت عليه قبل الانتخاب بثلاثة أيام.

أما في عمق كولومبيا فقد كان كارلوس ليهدر أحد المرشحين لعضوية المجلس التشريعي. لكنه لم ينل الا ٤١٥ صوتاً.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٨، بعد محاكمة دامت ستة أشهر ونصف شهر قدمت خلالها أدلة واستُمع الى شهادات، أصدر المحلفون حكمهم. فدين ليهدر وريد وجرّما بكل التهم الموجهة اليهما.

حُكم على ريد بالسجن ١٥ سنة. وفي ٢٠ يوليو (تموز) اقتيد ليهدر أمام قاضي

الولايات المتحدة هويل ملتون ليستمع الى تلاوة الحكم. كان وجهه شاحبا منتفخاً بعد أشهر من الاحتجاز، وقد خانته ثقته بنفسه ورأى أحلامه الواسعة تحطمت بسقوط امبراطورية المخدرات التي أنشأها، فغابت عنه تلك العجرفة التي اتسم بها في بدء المحاكمة.

وأصدر ملتون الحكم بسجنه مدى الحياة، مضافاً اليه ١٣٥ سنة وغير قابل لاخلاء مشروط.

أما درايفر الذي أشعل شرارة القضية فجلس هادئاً الى طاولة الادعاء محاولا اخفاء مشاعره العميقة. وراقب ليهدر وهو يخرج مخفوراً من قاعة المحكمة. بعد ذلك نهض وغادر بهدوء كما جاء، وكأنما اختصر عشر سنين من حياته في يوم.

ناثان أدامس ■

ترجمة الياس عقل

على رغم ادانة ليهدر يواصل الكارتيل ادخال كميات ضخمة من الكوكايين الى الولايات المتحدة. وقد تحولت المدن الامريكية، من لوس انجلس الى واشنطن، ميادين معارك دامية تتقاتل فيها العصابات للسيطرة المحلية على تجارة الكوكايين.

أما مكافحة المخدرات فترتكز جزئياً على شرطيين يكرسون أنفسهم لفرض القانون. ولكن على المواطنين أن يتحملوا مسؤولياتهم أيضاً. واذا لم يفعلوا فان كارلوس ليهدر يكون ربح في النهاية.

العلم على الطريق

بينما كنت أقود سيارتي على الطريق العامة، رأيت شاحنة قديمة محملة بالرمل وهي تكاد تعجز عن اكمال سيرها صعوداً الى اعلى التلة الشديدة الانحدار. وإذ اسرعت لاجتيازها، لمحت ملصقاً على مؤخر الشاحنة يقول: "اتحمل كل هذا التعب لأنني لم أتعلّم!"

ن.ت.غ.

الترغيب والترهيب

اشترى زوجي اخيراً آلة لجزّ العشب يقودها سائق. وعندما استعملناها للمرة الاولى، امتلأت حديقتنا بالأصدقاء والجيران، يطالب كل منهم بدور لركوبها، بينما وقف ابني المراهق الذي يكره جزّ العشب، يراقب باهتمام. وأخيراً سألته هل يريد أن يجرّب بدوره ركوب الآلة، فأجاب: "لا شكراً، فربما استمتعت واعتدت الامر."

هـ.هـ.

الضحك خير دواء

ميزان الحظ

فيما كان سام ينتظر ركوب طائرته في المطار لاحظ ميزاناً الكترونياً يحدد الوزن ويقرأ الحظ. أسقط ربع دولار في شق الآلة وأخذ يقرأ على الشاشة: "انت تزن ٨٨ كيلوغراماً ومتزوّج وفي طريقك الى مدينة سان دييغو بكاليفورنيا."
فشده سام وتسمّر في مكانه.
وضع رجل آخر قطعة معدنية في الميزان الالكتروني وقرأ: "تزن ٨٣ كيلوغراماً وأنت مطلق وتقصد مدينة شيكاغو في ولاية ايلينوي."

سأل سام الرجل: "هل أنت فعلا مطلّق وفي طريقك الى شيكاغو؟" فجاءه الجواب نعم.
أخذ العجب منه كل مأخذ. فاندفع الى حمام الرجال وبدّل ثيابه وغطى عينيه بنظارتين سوداوين. وعاد الى الآلة، فراحت تقرأ عليه: "لا تزال تزن ٨٨ كيلوغراماً، ولا تزال متزوجاً، لكنك تأخرت عن طائرتك المتجهة الى سان دييغو!"

س.و.

دراجة الاحلام

للدراجات النارية قوة السحر على ابننا ذي السنوات الخمس. وكلما رأى واحدة أطلق صيحات من البهجة. أرفقها بتعليق مثل: "أنظر الى هذه يا أبي! أنظر اليها! سوف أقتني واحدة منها يوماً."
وكان والده يجيبه دائماً: "لن تحصل عليها ما دمت على قيد الحياة."
ذات يوم، فيما كان ابننا يتحدث الى صديق صغير، مرت أمامهما دراجة نارية. فأخذته الحماسة كل مأخذ ودل رفيقه باصبعه على الدراجة وهو يصرخ: "أنظر الى هذه! أنظر اليها! سوف أقتني واحدة منها... حالما يموت أبي."

إ.ل.

Illustration: Chris Demarest

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

"غابة تريون" زيتية للرسام الامريكي لورنس مازانوفيتش